

العروبة والإسلام معًا

بقلم محمد الغزالي

قضايا الحضارة العربية

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

كوكب الخيرة

قصة جديدة بقلم د. عبد السلام العجيلي

لنتجاوز المحنـــــة:

لا مفرّ من مصالحة عربية مع النـــــفس

بقـلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

أن تحل بالأمم الكوارث والنكبات .. ذلك أمر طبيعي يحدث لكل أمة على وجه الأرض ، فى مختلف مراحل التاريخ .

ولكن ان يستمر الضياع .. ويستمر العجز أمام الكارثة ، ذلك ما ليس بطبيعى .. وذلك ما يبعث على القلق والتشاؤم والماساوية وما يتطلب مواجهة عاجلة باقصى درجات الوضوح الفكري واقصى درجات الانضباط والعمل الارادي الدائب .

والخطير ليس ان نصاب بالمرض .. الخطير ان نتهرب من واقع المرض ، وان نعجز عن تشخيصه بشكل صائب ، وان نخفق فى اتخاذ الخطوات الضرورية الفعلة على طريق العلاج .. وأن ينتقل المرض من الجسم الى النفس والعقل والروح والارادة .. فتلك هى الكارثة الحقيقية .

ويبدو ان القوى المعادية التى استغلت السلبيات العربية العديدة واوصلت الأمة العربية الى ما هى عليه الآن ، اى الى وضع المرض المستفحل المؤلم ، تعمل الآن بشراسة من اجل المرحلة التالية ، الاخطر والأفدح ، وهى مرحلة تعجيز العرب عن التفكير السليم فى الكوارث النازلة بهم ، وتعجيزهم عن اتخاذ اية خطوة فى سبيل استرداد العافية ، بعد أن تم تعجيزهم عن مواجهة التحديات الأجنبية التى احدقت بهم من كل جانب ونفذت الى عمق كيانهم .

ومرحلة التعجيز عن الوصول الى اى علاج سليم هى بمالا يقاس اخبث كثيرا من مرحلة التعجيز عن المواجهة الخارجية ، لأن ذلك يعني استمرار تحطيم الحصـانة الداخلية للجسم بعد ان اخترقته الجراثيم المندفعة من الخارج .

وما يحدث اليوم للعرب ، بعد ان تمت مرحلة اختراق الجسم العربى ابتداء بكارثة حزيران ١٩٦٧ وانتهاء بمذابح صبرا وشاتيلا ١٩٨٢ ، هو انه يراد الآن تشويه المعاناة العربية للكارثة ، وصرفها عن مواضع الوجع الحقيقى ومواضـــع السرطان المتنامي الى الانشغال بمضاعفات اخرى جانبية أو مصطنعة او الى علاجات خاطئة تزيد الداء استفحالا ، كل ذلك حتى لا تصحو هذه الأمة على وجعها الحقيقى وعلى المها الحقيقى وتقول هنا المى ، وهذا هو بالتحديد دائى ، ومن هنا يبدا العلاج ، وهكذا يكون الرد .

نعم .. لا يريدون لهذه الامة ان يكون جرحها نقيا . فبعد ان جرحوها فى العمق ، يريدون للجرح ان يتلوث ويتعفن ويبقى كذلك ، حتى يتسمم ويؤدى بها الى الموت .

هذه هى طبيعة المرحلة الراهنة ، وهذا هو شعارها : ان تحرم الامة من المعاناة النقية السليمة .. ان تمنع من التفكير السليم والتشخيص الصحيح لجرحها العميق ، تمهيداً لاكمال عملية الافتراس .

والعرب من جانبهم لا يمكنهم التهرب من واقع الجرح اليوم . الجرح موجود وقائم فى الصميم .

ولكنهم قادرون على منع تلويثه وتسميمه قادرون على تحويله الى معاناة نقية ، والى الم مطهر للنفس وجعله من تلك الالام

النبيلة التي تصيب الأمم فتجعلها اكثر وعياً ، واكثر مناعة ، واقدر على شرف المواجهة وعلى تحمل اعباء الحياة .

● المزيد من التشرذم أم الرد الوحدوى ؟

وكمثال واحد على تشويه المعاناة العربية ، بين امثلة كثيرة ، هو انهم عندما نجحوا فى استفراد كل بلد عربى وحيداً فى الساحة بمفرده ، واقتطعوا منه ما ارادوا ، وفرضوا عليه المخطط الموضوع ، بادروا فوراً الى تعميق خلافاته الداخلية واشعالها ليتحول كل كيان عربى الى عدة كيانات متصارعة ومتشرذمة ومنقسمة فيما بينها الى ما لا نهاية ، تدور بلا حول ولا قوة ، فى فلك الارادة المعادية والهادفة الى سلب ميراثها ذلك لانهم يدركون تماما ان كل قطر عربى ، تم استفراده تحت ظروف قاهرة لابد وان يعود الى اشقائه العرب الآخرين ، لوصل ما انقطع ، والتعويض عما تم التفريط فيه ، وإحياء الرابطة العربية الشاملة التى لا بديل عنها ولا علاج غيرها .

ولوأد هذا الإحياء ، وقطع الطريق على هذه العودة ، وتشويه رد الفعل العربى ، تاتى المرحلة التالية فى مخطط العدو لتفتيت كل قطر عربى بمختلف وسائل التقطيع من طائفية واقليمية ومن إرهاب وتكبيل وافقار ، لكى لا تتاح فرصة استرداد الأنفاس ، والعودة الى خط الارادة العربية المشتركة .

وهكذا يتحدد طابع الصراع الفكرى ـ النفسى بيننا وبين العدو فى المرحلة الراهنة : بعد شق الصف العربى يصمم العدو الآن على شق الصف الداخلى والارادة الداخلية فى كل قطر عربى ، ويتوجب أن يكون جوابنا عليه العودة الى الرابطة العربية الكبرى الواحدة حتى لا نجد كل بلد من بلداننا وقد تحول الى بلديات ومتصرفيات ومدن معزولة تدور فى فلك الارادة المعادية لنا جميعا ، لنا كأمة ، ولنا كاقطار ، ولنا كطوائف واقليات واغلبيات ، على حد سواء ، ودون تمييز . فالعدو ، كما اتضح فى سلوكه فى لبنان ، لا يميز فى حقيقة الأمر بين طائفة واخرى ، ولا بين مذهب واخر ولا بين اقلية واكثرية . انه يريد ارض الاقلية والاكثرية وسيادة الأقليـــة والأكثرية ، وخيرات الاقليـــة والأكثرية بلا استثناء .

فهل نستسلم للمخطط المكشوف ، ونترك العدو يفعل بنا ما يشاء ، ويوصلنا الى هدفه النهائى وهو تحويل كل جزء من أوطاننا الى محمية تابعة لفلكه ، ام نقلب مجرى الأحداث فى وجهـه باصرارنا على تنقية المعاناة وتصحيح العلاج وذلك بالعودة الى وحدة الوطن ، وحدة كل وطن من اوطان العرب ، ثم تسييج هذه الوحدة الوطنية بالرابطة العربية الأكبر والأشمل بعد تنقيتها من الشوائب التى علقت بها فى الماضى ، وتطويرها فى ضوء المتغيرات الجديدة لتتناسب مع طبيعة المواجهة واحتياجات الأمة ، وواقعها ، وتطلعاتها ؟

● ● ●

إن الاعداء يدركون بان امة عريقة ، واسعة الارجاء غنية التجربة ، راسخة الجذور ، كأمتنا لابد ان تنهض وان تستفيد من دروس الكارثة اذا عرفت كيف تعانى آلامها الحقيقية وكيف تعالج جروحها البليغة .

لهذا فهدفهم اليوم هو تشويه المعاناة واخفاء الداء الحقيقى الذى هو التجزئة والتفرقة والتخلف ، واصطناع اعراض مزيفـــة كالخلافات المذهبيـــة والمحليـــة والاقليميـــة ، وخلق صراعـــات مصطنعة كالجدل بين التقدميين والتراثيين ، وكالجفاء بين العروبيين والاسلاميين ، وبين القوميين والدينيين ، وما الى ذلك من معارك جانبية لتصبح هى الصراع الحقيقى وليتحول صراع الأمة ضد اعدائها وضد تخلفها الى الظل والى الهامش ، فيصبح العدو صديقا وشريكا ، ويصبح الأخ والشريك عدوا .. وهكذا .. تنقلب كل المفاهيم والبدائه والمسلّمات فلا يعرف العرب كيف يتحركون للخروج من المازق التاريخى الذى وقعوا فيه ، ولا فى اى اتجاه يتجهون ، فتكتمل مرحلة الكارثة بمرحلة الضياع وما بعد المرحلتين إلا مرحلة النهاية .. لا سمح الله .

ولننظر كيف فعل الغرب بمصير تركيا .. لندرك ولنتعظ . كانت تركيا تقود عالما اسلاميا واسع الأرجاء . وكانت تتصدى بقيادتها هذه لمخططات الغرب فى المنطقة الاسلامية كلها .

وادرك الغرب انه للاستفراد بالمنطقة يجب فصل تركيا عن جسمها الشرقى الاسلامى كله ، واستفرادها ثم استفراد كل بلد فى هذا الشرق على حدة .

وباسم الانتماء للحضارة والتقدم ، وباســـم التحـــالف مـــع الغرب وباسم المساعدات الغربية ، اغروا تركيا بالتنكر لاسلامها وتراثها وتاريخها العثمانى وحروف قرانها .. (كما يغرى الغرب اليوم دولا عربية بمساعداته ، وتحالفاته ، وصداقته) .. فوقعت تركيا فى الشرك .. ووقعت فى المصيدة . وهى اليوم لم تعد تنتمى لشرقها الاسلامى الكبير ، ولم يقبلها الغرب سوى تابع لحلف الأطلسى ، وحتى رفضوا دخولها السوق الأوربية المشتركة رغم انهم قبلوا جارتها اليونان .

واليوم تركيا الى اين بعد اكثر من خمسين سنة من الولاء للغرب والقطيعة مع الاسلام والعرب ؟

اى مصير ؟ اى مكانة ؟ اى شخصية وهوية وانتماء ؟؟

وليس سرا أن دولا عربية وقعت او على وشك ان تقع فى مصيدة شبيهة بالمصيدة التركية .. فهل ستقبل بهذا المصير .. وهل سترضى بالموضع الذى كبلوها به وفرضوه عليها ؟

ذلك سؤال مصيرى من اسئلة المعاناة الواجبة ومن وسائل تنقية الجرح ، كي يلتئم ، لا كي يبقى متسمما كما يريدونه .

والواقع انه كلما طال امد القطيعة العربية ، كلما طرأت ظروف ، وتراكمت مضاعفات تمنع العودة وتخلق واقعا انفصاليا جديداً .. كالواقع الذى وجدت تركيا نفسها فيه فى نهاية المطاف . وعلى العرب جميعاً أن يتحركوا باتجاه بعضهم قبل نسف الجسور نهائيا وقبل فوات الأوان .

● بين الأصولية والتقدمية : لا مفر من الحوار

ثم لننتبه الى لعبة اخرى ، بل مؤامرة اخرى مستمرة دائمة . لا تقل خطورة .

وهو ان اعداء الأمة ، بالاضافة الى تفريقهم لها على أساس الفروق الاقليمية والحساسيات الجغرافية بين قطر عربى

لامفر من مصالحة عربية مع النفس

واخر ـ وهذا هو التمزيق الافقى ـ عمدوا ايضا الى تمزيقها عموديا فى العمق باشعال النار فى كل مرحلة بين التيارين الرئيسيين فيها : التيار التقدمى والتيار الأصولى ، التيار العصرى والتيار السلفى ، التيار القومى والتيار الدينى .

وكان اللعبة تقتضى ان يقف الاعداء فى صف التيار الاضعف عندما يقوى التيار الآخر ويبدو انه على وشك توحيد الامة والأخذ بيدها نحو التحرر والخلاص .

فعندما كان التيار الدينى الأصولى هو السائد لدى الاغلبية او هو الغالب ، عمد الغرب الى تغذية التيار القومى العصرى ، لا حبا فيه ، ولا رغبة فى انتصاره ، وإنما لتفجير الصراع داخل جسم الامة بين العروبيين والاسلاميين ، وبين العصريين والسلفيين ومنع قيام الجبهة الموحدة الضرورية بين الجانبين .

وعندما بدا ان التيار القومى العصرى قد اصبح الصيغة الغالبة ، وانه على وشك احداث التغيير المنتظر فى مسار الامة ، تظاهر الغرب بتاييد التيار المحافظ ، لا حبا فيه ايضا بطبيعة الحال ، ولكن لموازنته فى الصراع المرير ضد التيار الآخر .. وهكذا ..

هكذا يريدون الصراع فى جسم الامة .. دائما مريرا لا هوادة فيه ولا رحمة ولا نهاية له ، حتى يسقط التياران معا ، وتسقط معهما الامة كلها .

ولقد ان الاوان لنكتشف هذه اللعبة الجهنمية التى يلعبونها بنا .

ان الأوان ان ندرك ان كل امة تنقسم فى عصر نهوضها الى من يرى رأى التقدميين ومن يرى رأى الأصوليين .. والى من يرى رأى القوميين ، ومن يرى رأى الدينيين ، وان هناك قواسم مشتركة ومصائر مشتركة وأهدافا مشتركة بين الجانبين ، وان لكل فكرة دورها المشروع فى نطاقها المشروع ، **فللتقـــدم مجـــاله فى العلـــوم والتقنيـــة** والمخترعات والتصنيع ، وللتراث مكانته فى نطاق الروح والقيم والاخلاق والتشريع .

كما للقومية مكانتها فى مجال الترابط الاجتماعى اللغوى الثقافى ،وللدين مكانته فى مجال العقيدة والايمان والعبادة والعمل الصالح والتوجيه السليم والتوحيد بين كل القوميات والأمم المسلمة .

فلماذا نندفع لخدعة الحرب الاهلية فيما بيننا فى الوقت الذى نتحدث فيه عن السلام مع الآخرين ؟!!

سلام مع الآخرين ، وحرب داخلية طاحنة مع النفس ؟ ان يتحارب العصرى العربى والسلفى العربى ليتصالحا مع العدو ؟؟ .. والى اين نريد ان نصل من هنا ؟ ايؤدى ذلك الى غير الكارثة النهائية ؟

● حقيقتان

ويبقى اخيرا ان نتنبه الى حقيقتين :

الأولى ان الخطر المحدق يشمل الجميع بلا استثناء . ولا يتصـــورنّ احد انه سيكون بمنجى من العاصفة لأن الفيضان لم يصل الى داره بعد . والذين يتحدثون اليوم عن سياسات اقليمية ومحلية منفصلة عن **الرابطة العربيـــة الاسلامية الشـــاملة** سيكونون الضحايا فى وقت اقرب مما يتصورون .

والحقيقة الثانية ان الكارثة هذه التى شملت مختلف اتجاهات الامة من عصرية واصولية ، ومن عروبية واسلامية ، يجب ان تدفع مختلف الاطراف المتصارعة الى الادراك انهم يجب ان يدافعوا أولا عن الأرض والمصير المشترك والوجود المشترك لهم جميعا ليبقى لهم فى النهاية وطن يختلفون فيما بعد ، بعد زوال الخطر ، على تقرير اتجاهه الفكرى ، عصريا او سلفيا .. عربيا ام اسلاميا ..

اما الصراع اليوم ، الصراع الاعمى من اجل التدمير الذاتى وقهر التيارالآخر باى ثمن .. فذلك ثمنه واضح لا شبهة فيه ، وستدفعه الامة كلها من مصيرها .. ثمنه هو **زوال الأرض كلهـــا ليجـــد العصريون والاصوليون انفسهم لاجئين معا فى لا مكان** .. فهل هذا ما يريده العصريون العرب .. والأصوليون العرب لأنفسهم ؟

إذن لا مفر من الحوار . لا مفر من الاحترام المتبادل والتفهم المتبادل بين جناحى الامة . لا مفر من التسامح فيما بيننا (طالما اننا نتسامح اليوم مع الآخرين) ولنقل لا للتخوين ولا للتجريح ، ولا للتكفير .. لا لكل الاساءات المتبادلة بين الجانبين ، فالأصوليون هم اساس الامة واصلها وسندها ، والمثقفون هم خيرة شباب الامة ورجالها وطلائعها ، واختلاف الرأى لا يفسد للود قضية .. فكيف إذا كانت هذه القضية هى قضية وجود الامة ومصيرها وخروجها من كل المحن الطاحنة التى تعتصرها ؟

وهادينا لمثل هذا الحوار الذى لا بديل عنه قوله تعالى :

«ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . وجادلهم بالتى هى احسن» .

واذا كان هذا الأدب الرفيع ملزما للمسلم فى تبليغه وفى اقناعه لغير المسلم .. فهل يليق والحالة هذه بالمسلمين ان يتعاملوا فيما بينهم ، ويتحاوروا فيما يخصهم ، بغير التى هى احسن ؟

هذا من حيث المثل الاعلى الذى ادبنا به الاسلام .

اما من حيث الضرورة التاريخية ، فليكن **واضـــحا لدى مختلف الاتجـــاهات** والاجتهادات العربية والاسلامية بان هذا هو زمن المصالحة التاريخية الحتمية فيما بينها لانقاذ وجود الامة .. وإلا فانه سيكون زمن الفناء المشترك لها جميعا .

د. محمد جابر الأنصارى

العروبة والإسلام معاً:

قِبلَة العالم في أرضنا.. فما معنى هذا؟

بقلم: محمد الغزالي

قبل بضعة اسابيع من معركة بدر وقع حدث له دلالته العميقة فى صلة المسلمين باهل الكتاب . فقد كان بيت المقدس القبلة التى يتجه إليها أصحاب الأديان السماوية جميعاً .

ثم صدر الأمر إلى المسلمين أن يتحولوا من بيت المقدس إلى مكة المكرمة !

ما سر هذا التحول ؟

الواقع ان اهل الكتاب ما كانوا سعداء بالدين الجديد ! ولا فهموا من وحدة القبلة ان قرابة مشتركة تربطهم باتباعه !

الذى حدث انهم ضاقوا اشد الضيق بالنبى العربى ، وعدوه منافسا محذورا كان الأمر صراع على مغنم عاجل ، أو مارب قريب !

ولو كان اهل الكتاب مخلصين لاديانهم لكان لهم موقف اخر ، فان العرب كانوا عبّاد اصنام ! حتى عرّفهم محمد بالاله الواحد . وكانوا يعيشون ليومهم حتى اقنعهم بالعمل لليوم الاخر . وكانوا لا يدرون شيئا عن نبوّةٍ سبقت حتى حدثهم عن موسى وعيسي وغيرهما من المرسلين !

فلم الضيق بهذه الرسالة ؟ ومخاصمة صاحبها ؟

بَيد ان الامر تجاوز الخصومة المحتملة إلى ضرب من اللَّدد يثير الاشمئزاز . تدبر قوله تعالى « وَدَّ كثيرٌ من اهل الكتابِ لو يَردُّونكم من بعد إيمانِكم كفاراً ، حَسَداً مِن عِندِ انفسِهم من بعدِ ما تبيَّن لهمُ الحقّ ، فاعفُوا واصفَحُوا حتى ياتِيَ اللهُ بامرِه .. » (١) .

وإذا كانت للمسلمين مساجد تنبعث من منائرها صيحات التوحيد وتستقبل ساحاتها الركع السجود ، فان اهل الكتاب تَواصَوْا بصرف الناس عن هذه المساجد ، وتامروا على تهديمها « وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ ان يُذكَرَ فيها اسمُهُ وَسَعَى فى خَرَابِهَا .. » (٢) ؟ .

فلم يبق بعدئذ مساغ لمشاركة هؤلاء الحاقدين قبلتهم ، وانبعثت فى نفس الرسول الكريم الرغبة فى الاتجاه إلى القبلة الأولى ، إلى الكعبة التى بناها جده الاكبر ابراهيم الخليل ، ولكنه لا يستطيع ذلك إلا باذن من الله ، فلينتظر ، وليؤمل ... !

ثم جاء – على تلهفٍ وشوقٍ – الامر الالهى « قد نَرَى تقلّبَ وجهِكَ فى السَّمَاءِ فلنوَلّينَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاها فَوَلِّ وجهَكَ شَطرَ المسْجِدِ الحَرَامِ ... » (٣) . فاتجه المسلمون إلى الكعبة المشرفة بعد قرابة سبعة عشر شهراً من الصلاة إلى بيت المقدس ..

كانت هذه المدة كافية لفضح ضغائن اليهود ، وأثرتهم المفرطة ، وظنهم ان الدين مؤسسة احتكارية يديرها حكماء صهيون كمصلحة جنس من الاجناس ، إنهم لا يفهمون ولا يريدون ان يفهموا ان الدين علاقة سمحة رحبة بين الناس ورب الناس

وقد بدا لى من تجارب كثيرة ان المتاجرين بالحق قد يكونون شراً من

المخدوعين بالباطل ، وان العرب الاميين كانوا - بنقاء سرائرهم - اصلح للحياة والأحياء من اهل الكتاب المستكبرين الشرهين ..

كان اولئك العرب يعتزون بكعبتهم ، ويرغبون طول عمرهم فى استقبالها ، وهم لم ينسوا ان الله حماها عندما اراد نصارى الحبشة هدمها ! وان قوى السماء هى التى تصدت للمغيرين لما عجز أهل الأرض عن الدفاع ، فاذا الجيش المعتدى يلقى « طيراً أَبَابِيلَ ، ترميهِمْ بِحِجَارَةٍ من سِجِّيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأكُولٍ » (٤) !!

مع ما كانَ للمسجِدِ الحرام من هذه المكانة الوطيدة ، فان الصحابة قبلوا عن طيب خاطر ترك استقباله لما هاجروا ، ولبوا امر الله باستقبال بيت المقدس !

كان امتحاناً صعباً غير انهم نجحوا فيه « وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ التى كنتَ عَلَيْهَا إلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يتَّبِعُ الرَّسُولَ ممن يَنْقَلِبُ على عَقِبَيْهِ ، وإن كانَتْ لكَبِيرَةً إلاَّ عَلَى الذين هَدَى اللهُ ... » (٥) .

وعندما يحتدم النقاش حول القبلة التى يتجه الناس إليها يذكر الاسلام حقائق رفيعة ، يلقيها فى مسامع كل من ينتسبون إلى دين ! حقائق لا يقررها إلا الاسلام وحده ! إنه يتساءل : ما هذا اللغط حول الاتجاه إلى شمال او جنوب ؟

إن الكمال البشرى لا يصنعه استقبال مكان هنا او مكان هناك ! الكمال المنشود عمل حقيقى داخل النفس الانسانية تزكو به وتسمو.

العظمة الانسانية ، هى اليقين الراسخ والإستمساك بالله وإن هاجت العواصف ! وبذل المعروف وإجابه الملهوف ، ومساندة الضعفاء وإيتاء المحرومين !

وهى الثبات على المبدأ وإن كثرت المغريات ، والمضى فى الجهاد وإن فدحت المغارم !

إن اتجاه المسلمين إلى المسجد الحرام فى صلواتهم حق لاريب فيه ، وهى قضية تنظيمية سنشرح بعد قليل ابعادها ، بيد ان ذلك لا يعنى نسيان الحقيقة فى الوصول إلى الكمال الانسانى والرضوان الالهى ، وتدبر قوله تبارك اسمه : « لَيْسَ البِرَّ ان تُوَلُّوا وجُوهَكُم قِبَلَ المشْرِقِ والمغْرِبِ ولكنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخِرِ والملائِكةِ والكِتَابِ والنبيِّين وآتَى المَالَ على حُبِّهِ ذَوِى القُرْبَى واليَتَامَى والمساكينَ وابنَ السبيلِ والسَّائلينَ وفى الرقابِ واقَامَ الصلاةَ وآتَى الزكاةَ والمُوْفُونَ بعهدِهِمْ إذا عاهَدُوا والصابرينَ فى البَاسَاءِ والضَّرَّاءِ وحينَ البأسِ أولئك الذين صَدَقُوا واولئك هم المتقُونَ » (٦) .

ان اليهود يلتمسون الشرف من الانتساب إلى نبى الله يعقوب ! والأب العظيم لا يرفع شان بنيه إذا كانت اعمالهم هابطة ! وهم يرتبطون بالقدس والارض المقدسة ، والأرض لا تقدس احداً ، إنما يتزكى المرء بالهدى والتقى والعفاف والعدالة !

والخلاف بين الناس باق إلى قيام الساعة ، إنه جزء من طبيعة الحياة ، وهو بعض الحكمة فى خلق الناس !

لكن الخلاف مهما اتسعت شقته لا يجوز ان يكون مثار عدوان وتظالم ، ولا يجوز ان يجعل الحيف حقاً ، ومن ثم قال الله لنبيه : « وَلَئِنْ أَتَيْتَ الذين اوتُوا الكتابَ بكلِّ آيةٍ ما تبعُوا قِبْلَتَكَ وما انت بتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وما بعضُهُمْ بتابِعٍ قِبْلَةَ بعضٍ ، ولئن اتَّبَعْتَ أهواءَهُمْ من بعد ما جَاءَكَ من العِلْمِ إِنك إذاً لَمِنَ الظالمِينَ » (٧) .

والجملة الاخيرة فى الآية الكريمة تشير إلى خصائص امتنا ، وإلى الرسالة التى كلفت بحملها إلى آخر الدهر ..

إن العرب عندما يحملون للناس حضارة فهذه تنفرد بأنها موصولة بالسماء ، تعرف الله ، وتلتزم هداه ، وترفض الفلسفات المادية ، والرغبات المجنونة فى عبادة الحياة ونسيان ما بعدها ..

وقد شاء الله ان يذكر للعرب وظيفتهم الدولية ، عندما جعل قبلة العالمين فى ارضهم ، وعندما طالب البشر فى كل مكان ان يولوا وجوههم شطر المسجد الحرام !

فما معنى هذا ؟

إذا قيل : إن موسكو قبلة الشيوعيين فى العالم ، فليس معنى ذلك اتجاه اليساريين إلى جدار فى « الكرملين » ! بل المعنى انهم يستقون افكارهم ويتلقون توجيهاتهم من هناك !

والواقع ان القرآن الكريم فى سياق تحديده للقبلة قال للعرب فى جلاء : « وكذلك جَعَلْنَاكُم أمَّةً وَسَطا لتكونوا شهداءَ على الناسِ ويكون الرسولُ عليكم شهيداً » (٨) . والآية توضح الوظيفة التى اختارها القدر لأمتنا ، فان الله اختار محمداً ليحمل أمانات الوحى ، وليكون بسيرته وسنته اسوة حسنة ! وقد تلقى العرب ذلك كله منه ليعلموا الناس كما تعلموا ، وليهدوهم كما اهتدوا ، او ليكونوا اساتذة للعالم كما كان محمد استاذاً لهم ! تلك وظيفتهم التى رفعهم الله إليها ، والتى لابد من حسابهم عليها ..

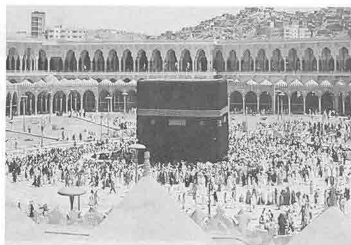
والشهادة على الناس منزلة فوق التبليغ العادى ! قد يكون المرء شاهداً فى قضية لا علاقة له بوقائعها ، كل دوره فيها انه راى وانه يقول الحق ، فهل هذا دور الأمة العربية فى تاريخ البشرية ؟ كلا ، ربما تحول الشاهد إلى متهم إذا تبين من التحقيق ان له اصابع فى وقوع الجريمة !!

والعرب مذ حملوا رسالة الاسلام وجب عليهم ان يستنيروا بها وان يرفعوا منارها ، وان يستطبوا بادويتها ، ويعالجوا علل العالم بدوائها ، فمسئوليتهم مضاعفة . الرسول أمام الله يشهد عليهم بانه علمهم من جهالة ، واقامهم من عوج ، وهم امام الله كذلك مطالبون بالشهادة على سكان الأرض ، انهم بلغوهم الوحي الأعلى ، وقدموا من انفسهم نماذج عملية للتقوى والاصلاح والانصاف ! ترى هل قام العرب بهذه الأمانات ؟

إن رباط العروبة بالاسلام وثيق ، وهذا الرباط وحده هو الذى يجعل العرب امة قائدة رائدة فاذا وهت صلتها به ، فهى تخون اساس وجودها ، وهي ستتحول حتما من راس إلى ذنب ! او من امة تدفع غيرها نحو الخير ، إلى امة يدحرجها الآخرون إلى الشر او إلى الهاوية !

وقد تاكد هذا المعنى مرة اخرى فى سياق تحويل القِبْلة من المسجد الاقصى إلى المسجد الحرام وذلك فى قوله تعالى « وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وجْهَكَ شَطْرَ المسجِدِ الحَرَامِ ، وحيثُمَا كنتُمْ فولُّوا وجوهَكُم شَطْرَه لئلاَّ يكونَ للناسِ حُجَّةٌ .. » (٩) اي حتى تنقطع حجج العرب الحراص على كعبتهم الضائقين بالاتجاه السابق إلى بيت المقدس ! اما اهل العناد والمتشبثون بالجاهلية الاولى ، فلا تخافوهم ، فامرهم إلى إدبار ونارهم إلى رماد « .. إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشَوْهُم واخْشَوْنِ ، وَلأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ ولعلكم تهتدون (١٠) » .

أى ان الله باختياره المسجد الحرام قبلة لكل مصل فى الدنيا ، يضاعف على العرب مِنَّته ، ويتم عليهم نعمته .. وقد بدا الانعام عليهم بانبعاث الرسول منهم « كَمَا ارسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكِّيكُم ويعلمُكُم الكِتَابَ والحِكْمَةَ ويعلمكمْ ما لم تكونوا تعلَمُون (١١) »



والمعنى أن العرب بهذا الدين أضحى لهم تاريخ جديد ، وافتتحوا به صفحة مجد باذخ ما كان لهم به عهد من قبل ، ذلك انهم يتلون ايات الحق ، ويمهدون طريق التربية الفاضلة ، ويخطوّنَ مُعَلّمَ الحكمة والرشد ، فليعرفوا لله حقـــه وليقـــدروه قـــدره « فاذكرونى اذكـــرْكُمْ واشـــكروا لى ولا تكفرون (١٢) » وهكذا يخاطب الله العرب ويشرح لهم ما أسدى إليهم من جميل ! فهل تذكر ونشكر ؟؟

والانبياء شهود على اممهم بالبلاغ المبين ، وقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس فى حجة الوداع يقول : اللهم قد بلغت ! اللهم اشهد !

وهناك قبل شهادة الانبياء مواثيق الفطرة التى اخذها الله على ابناء ادم . إن الله اودع فى كل ضمير صوتا يذكر بالله ويدفع إلى صراطه المستقيم . ويقاوم التقاليد المنحرفة والاصوات الزائفة ، وما من إنسان إلا وهو مسئول عن هذا الميثاق : « وإذا اخذ ربك من بنى ادمَ مِنْ ظهورِهِم ذرّيتَهُمْ واشْهَدَهُم على انفسِهِم الَسْتُ بِربكم قالوا بلى شهِدْنا ! ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافِلين . اَوْ تقولوا إنما اَشْرَكَ اباؤنا من قَبْلُ وكنا ذرِّيةً من بعدهم افتُهْلِكُنَا بما فَعَلَ المبطِلُون (١٣) » ؟

ويتضح من ذلك ان العدل الالهى يستظهر على كل مخطىء بشاهدين من العقل والنقل ! ومع ذلك ، فان ناسا يوم الحســـاب سيحاولون بالكذب الافلات من مصيرهم !

مشركون يقولون : « واللهِ ربِّنا ما كُنا مُشْرِكِينَ (١٤) » ويجللون مَرَنُوا على الاحتيال والمخادعة فى الدنيا يحاولون فى الآخِرة ان يقوموا بالدور القديم « يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسَبُونَ انهم على شيءٍ ألا إِنَّهُمْ هُمُ الكاذبون (١٥) »

وهيهات ان يجدي هذا التملص مهما صاحبه حلف ... !

ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم شهيداً على العرب فسيجاء به يوم القيامة وبالكتاب القيم الجامع الذي بلغه ، وسيرى عندئذ من وفى ومن غدر! ؟ بل من امن ومن كفر ؟ قال الله سبحانه « وَيَوْمَ نَبْعَثُ فى كلّ أمةٍ شَهِيداً عليهم من انفُسِهِم وجِئْنا بك شهيداً على هَؤُلاَء ، ونزّلنا عليك الكتاب تِبْيَانا لكل شيءٍ وهُدًى ورحْمَةً وبُشْرى للمسلمين (١٦) »

إننى احببت ان اشرح هذه القضية لان العرب من امد قريب أو بعيد شرعوا ينسون او يتناسون رسالتهم ! بل بدا لهم ان يستقيلوا من الوظيفة الشريفة التى اثرهم الله بها او اصطفاهم لها .

وسمعنا من يقول فى جهل فاضح : إن العروبة شيء ، والاسلام شيء اخر ! وإن العروبة يمكن أن تشق طريقها بغير دين إلى مستقبل مكين !

وقد استجاب نفر من الاغرار لهذه الفرية ، فاذا الامة المسكينة تتراجع فى كل ميدان ، وتلاحقها الهزائم الشائنة فى كل افق ، ولولا بقايا إيمان مبثوثة هنا وهناك لحل بها خزي الابد ، ولكنها تقاوم اليوم ببأس شديد معتمدة على مواريث الاسلام وحده .

هل للعرب فى قديم الزمان وحديثه رسالة اخرى غير الاسلام يمكن أن يؤدوها للعالم ؟

إن لمحمد كتابًا وسنة قامت عليهما دولة وأينعت حضارة ! وتصدرت قافلة البشرية امة تعتز بهما وتبنى عليهما ، فماذا لغيره فى الاولين والاخرين ؟ وما قدر العرب من غير محمد والاســلام ؟

قال شخص غر : وهل ضروري أن تكون لامة ما رسالة سماوية حتى تقتعد مكانة مرموقة فى العالم ؟ ما اكثر الشعوب التى استراحت واستقرت برسالات ارضية !!

قلت : هذا الكلام قرة عين الاستعمار والصهيونية ! إنهما ما يريدان اكثر من تجريد المسلمين من عقائدهم وتاريخهم حتى يقفوا امام أعدائهم عزلا من كل سلاح فعـــال .

وعندما يفقد عرب فلسطين اساسهم الديني امام اتباع التوراة فستضيع فلسطين !

وعندما يزهد غيرهم فى معتقداته الاسلامية فسينطلق التبشير العالمى دون عائق ، وتكسب الصليبية جولتها الجديدة

لا بل إن الوثنية التى ذبحت المسلمين فى « أسام » ستقطع شوطا أوسع فى الاجهاز على مبدا التوحيد !

إن تحقير الثقافة الاسلامية وتوهين أركانها لابد ان ينتهى بهذه النتائج !

اما يحق لنا ان نحصن الاجيال الجديدة ضد هذه الخيانات الفكرية والاجتماعية ؟؟

محمد الغــزالي

هوامش

(١) البقرة : ١٠٩ ـ (٢) البقرة : ١١٤ ـ (٣) البقرة : ١٤٤ ـ (٤) الفيل : ٣ ـ ٥ ـ (٥) البقرة : ١٤٣ ـ (٦) البقرة : ١٧٧ ـ (٧) البقرة : ١٤٥ ـ (٨) البقرة : ١٤٣ ـ (٩) و (١٠) البقرة : ١٥٠ ـ (١١) البقرة : ١٥١ ـ (١٢) البقرة : ١٥٢ ـ (١٣) الاعراف ١٧٢: ـ ١٧٣ ـ (١٤) الانعام : ٢٣ ـ (١٥) المجادلة : ١٨ ـ (١٦) النحل : ٨٩ ـ

اكتشاف مخطوطات عمرها تسعة قرون

كتب قيّمة من التراث ترى النور لأول مرّة

بقلم: وجيه الشربجي

ان الغوص العميق فى بحر التراث العربى ، طموحا الى وضعه تحت الضوء ، مدروسا ومنظما ، والبحث فى الصرح الثقافي المخطوط عن كنوز المعرفة ، والمنجزات الحضارية ، كشف لمزيد من الشواهد على اصالة الأمة العربية ، ودورها الحضارى عبر مسيرة الانسانية الى الامام . وان العمل على إحياء ثمار عقول السلف ، وابراز التراث العربى ثانية الى النور بعد إن طوته لزمن طويل قرون من العجمة والتخلف والامية ، تجذير متواصل لحضارتنا العربية والاسلامية ، تلك الحضارة التى تفيات الانسانية بظلال إشراقاتها ، حينا من الدهر كان مذكورا وخالدا .

من هنا .. نرى ان الانسان العربى بدافع من تاكيد هويته القومية ، يعيش مع العطاء الفكرى النابع من كتب التراث لحظات اتحاد ذاته مع اسلافه .

ويجد بين سطورها رائحة التاريخ وشذى الاوطان ، ويتوق لان يغرف من هذا التاريخ ما استطاع اليه سبيلا .

وعلى طريق إغناء المعرفة الانسانية والمراكز الثقافية العالمية بكنوز التراث العربى العلمى والادبى والفنى ، تقوم دار الكتب الظاهرية بدمشق بخطوات جادة وموضوعية لتصنيف وتوثيق المجموع المخطوطي الكامن تحت قبتها ، والذى قام بجمعه طائفة من العلماء من دور ومساجد ومدارس مدينة دمشق فى نهاية القرن الماضى .

وقد عهدت الظاهرية الى فئة من الأساتذة المحققين مهمة البحث العلمى فى تلك المخطوطات ولمّ شمل ما تناثر منها وما تبعثر .

ومدت جسورا ثقافية بينها وبين المؤسسات التراثية فى انحاء العالم لتبادل صور وافلام المخطوطات العربية والثروة الفكرية الاسلامية التى شردت الى دور الكتب الاجنبية فى ظروف خاصة وذلك تمهيدا لنشرها تباعا واخراجها من ظلمات الخزائن الى عالم القراء الواسع .

واستطاع الباحثون فى الظاهرية اكتشاف خمس وعشرين مخطوطة من انفس كتب التراث العربى موضوعا وفكرا وذلك خلال عملية التمحيص والاحاطة التى جرت فى العامين الاخيرين ١٩٨١ / ١٩٨٢ م .

وتستمد هذه المخطوطات قيمتها العلمية كونها لكبار قادة الفكر العربى ، ولجمهرة من اعلام الحضارة العربية والاسلامية ، اضافة الى ان بعضها كتب بخط يد العلماء انفسهم .

وقد تبين ان قسما منها يزيد عمره على تسعة قرون ، ولا يوجد منه الا نسخة وحيدة تحتفظ بها الظاهرية دون سواها من المكتبات العربية والاجنبية الاخرى .

ونضع فى متناول المهتمين بشؤون

تراثنا الفكرى تعريفا مكثفا لمخطوطتين هامتين الاولى فى الطب ، والثانية فى فقه اللغــة اخترناهمـا من تلك المخطوطـات الثمينة التى عثر عليها مؤخرا بعد جهد متواصل من التحقيق والتدقيق .

قاموس الأطبا وناموس الالبّا

مؤلف هذا المخطوط « مدين بن عبد الرحمن القوصوني » علم من اعلام الطب فى القرن الحادى عشر للهجرة . رفعه حذقه فى صناعة الطب الى ان اصبح رئيس الاطباء فى « دار الشفاء » بمصر التى انشـاها سيـف الديــن قـلاوون الالفــى الصالحى فى عام ٦٨٣ هـ ، وكان القوصونى الى جانب مهارته فى الطب ذا باع طويل فى التاريخ واللغة .

وقد جاء على هامش كتابه بخط يده انه ولد عام ٩٦٩ هـ فى مصر . اما تاريخ وفاته فموضع خلاف . فقد تحدث عنه المحبى فى خلاصة الاثر بقوله « سعيت جهدى فى تحصيل وفاة القوصوني فلم اظفر ، لكن غاية ما حققت من خبرة انه كان فى سنة اربع واربعين والف موجوداً مع الاحياء» .

يعتبر « قاموس الاطبا وناموس الالبا » من اجود كتب علم الامراض والتشريح . فقد اودعه القوصوني خلاصة ما توصل إليه الطب فى الحضارة الاسلامية حتى عصره من معارف،وعصارة ما قام به افذاذ الطب من تجارب وابحاث افاد منها الطب الحديث فى وقتنا الحاضر .

يقع الكتاب فى نحو سبعمائة صفحة من الحجـم المتوسـط . ويتالـف من مقدمـة وابواب وفصول نسقت حسب الحروف الهجائية . ومنهج القاموس المحيط . كتب بالمداد الاسود . وقد نسخ هذا المخطوط فى عام ١٣٤٠ هـ محمود صدقي النساخ بدار الكتب السلطانية نقلا عن نسخة الاصل المحفوظة بالدار المذكورة . وكتب عناوينه بالمداد الاحمر وبخط واضح جميل فارسي مشرق .

عرض المؤلف فى المقدمة اسباب تاليفه الكتاب وطريقة ترتيبه له . فقال فى شرح ذلك بعد ان ذكر ما يدل على شرف صناعة الطب « شرعت فى هذا الكتاب الذى لم اسبق الى مثاله ، ولم ينسج على منواله لما اشتمل عليه من ذكر انواع المفردات من المعدن والحيوان والنبات وما يحتاج اليه كل فرد منها من ماهية ضبط لفظه مما ذكره ائمة اللغة باصح ضبط واوضح تبيان . ومن ذكر اسماء المركبات وضبط كل فرد منها مع بيان . وقد ذكر صفة تركيب بعضها كالترياق . ايضاحا لما خفي من غامضه على الاذهان . ومن ذكر بدن الانسان ، وضبط كل فـرد منهـا مع ذكــر تعريفــه وتشريحه وتوضيحه باوضح بيان . ومن ذكر الامراض وضبط كل فرد منها . مع ذكر تعريفه وسببه وعلامته وعلاجه بحسب الوقت والزمان .

ومن ذكر امور مهمة وفوائد كثيرة جمة لها تعلق بما تقدم ذكره لمزيد زيادة الامعان وقـد رتبتــه على ترتيب القاموس ابوابــا وفصولا . وحذوت حذوه فروعا واصولا .. »

ثم ذكر على الهامش انه فرغ من تاليفه لهذا الكتاب فى العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين بعد الالف .



باب الخاء ٥٤ باب الدال ٦٣ باب الذال ٧٤ باب الراء ٧٥ باب الزاي ١٠٣ باب السين المهملة ١٠٥

بيان فهرست امراض هذا الكتاب من الرووس الى القدم واقع اولا

فهرس مخطوط « قاموس الاطبا » الذى يعتبر من كنوز التراث العربى العلمى

كتب قيمة من التراث ترى النور لأول مرة

وتحدث المؤلف فى فصول الكتاب عن امراض كثيرة منها :

الصداع ـ الفالج ـ السعال ـ القيء ـ الهيضة ـ البرص ـ السكتة ـ الحصبة ـ الصرع ـ النمش ـ الخفقان ـ الأرق ـ الطحال ـ الحــدب ـ الطرش ـ امراض المعدة ـ الطمث ـ اللثوع ـ الجرب ـ امراض العين .

وجاء فى بعض ابواب المخطوط وصف لاعضاء جسم الانسان مع تشريح دقيق لكل جهاز وذكر وظيفته وطريقة عمله .

وفيما يلي : فقرة يصف فيها القوصوني « حصاة الكلية » بموضوعية ويشرح أسباب تشكيلها وسبل التخلص منها ويفقد الداء ويصف الدواء .

حصــاة الكلية

« محركة رطوبة غليظة لزجة ، تتحجر فى الكلية والمثانة عن حرارة خارجـة عن الاعتدال . إما لازمة أو عارضة تعب أو تناول مسخن وسبب الرطوبة إما اغذية غليظة كالالبان . وخصوصا الخاترة ، والاجبان وخصوصا الرطبة ، واللحمان كلحم البقر والجاموس ولحوم الطير ، والطحينات كلها والخبز الفطير والنئ ، وإما فواكه عسرة الهضم كالتفاح ، والخوخ ، والكمثرى التى لم تنضج ، وإما مياه كدرة .

وعلامة حصاة الكلية بول فيه رمل يضرب الى الحمرة ، وثقل فى القطن حتى يجد العليل كان شيئا معلقا من قطنه وخصوصا اذا انبطح .

واشتداد الوجع عند امتلاء الامعـاء ، وخصوصا فى الكلية العليلة ، وربما عرض وجع فى الخصية المحاذية للكلية العليلة ، وفى الرجل المحاذية لها ، مع خدر ، وذلك لمشاركة ما بينهما من العروق .

اما علامة حصاة المثانة ، حكة فى العانة وبياض فى البول ، ورقة وعسر البول ، واكثر من يصيبه حصاة بالكلية يكون سمينا ، واكثر من يصيبه حصاة المثانة يكون نحيفا .

والعلاج : الحمية عن المغلظات وادامة الادرار ، قال بعضهم واما عند هيجان الوجع فينبغي ان يفصد ان كان الدم غالبا ، وتحقن ان كان الطبع يابسا ، اما الأدوية المفتتة لها والمخرجة لها ، فهى مثل القسط وماء الحمص الأسود ، والعنصل والكرفس وخصوصا الجبلى ، وبزره وحب البلسان ودهنه قوى جدا ، أو بزر الخيار البرى ، والبورق الأرمنى المعجون بالعسل ، يستعمل منه كل يوم قدر مثقال بماء الفجل ثلاثة ايام ، وذكر بعضهم أن زرق الديك ان سقي منه الكبير وزن درهمين ، وللصغير وزن نصف درهم مع مثله سكر ، اخرج كل حصاة ، وربما جعل معه شيء من النعنع والملح ، فى حصاة المثانة حب المحلب المقشر المدقوق ، اوقية زعفران من كل واحدة منهما ثلاثة دراهم ، الشربة مثقالان قال الشيخ «ابن سينا» والترياق يعنى الفاروق الذى لم يعتق ، بل هو الى الطراوة وقوة الافيون فيه باقية ، ينفع من وجوه كثيرة من جهة الترياقية ، ومن جهة الادرار وتفتيت الحصاة ومن تخدير الوجــع ...... انتهى)

وفى تشريحه لطبقات عين الانسان ووظيفتها يقول «العين بالفتح حاسة البصر والرؤية ، وقال ابن السكيت العين التى يبصر بها الانسان مؤنثة ، والجمع اعين ، وجمع الكثرة عيون ، وجمع الجمع اعينات ، والتصغير عينه ، وقال الأطباء : هى عضو الي حساس آلة للبصر ، كما أن اللسان آلة للذوق ، وليست باصرة وإلا لرؤى الشيء الواحد بالعينين اثنين ، وتتم منفعة هذه الآلة بالروح الباصر ، وهى للبدن كالطليعة والحارس ، وخلقت فى مقدمة البدن ، لأن ذلك هو من جهة تحركه ، وهى مؤلفة من ثلاث رطوبات وسبع طبقات ، اما الرطوبات فاولها الجليدية ، وهى نيرة مستديرة مفرطحة من قدام ومستـدقة من خلـف يسيرا ، موضوعة فى الوسط وبها الابصار ، وما عداها من جميع اجزاء العين فانما خلق لخدمتها ، إما لدفع افة عنها ، أو لجلب منفعة لها ، وثانيها الزجاجية وهى تحيط بالجليدية من ورائها الى نصفها ، وثالثها البيضة وهى امام الجليدية ، واما الطبقات فان العصب النورى الاجوف المشتمل على الروح الباصر إذا أخرج من القحف الى عظم العين صحبه العشا ن اللذان احدهما رقيق يلاقى الدماغ ويسمى بالام الرقيقة ، وثانيهما غليظ ويسمى بالام الغليظة ، واتسع وعرض طرف كل واحد منهما واحتوى على الزجاجية كاحتواء الشبكية وهى الاولى ، وينبت من طرفها نسيج عنكبوتى يتولد منه صفات لطيـف حاجـز بيـن الجليديـة والبيضية لئلا يختلطان ، يسمى بالعنكبوتية وهى الثانية ، ثم ينبسط طرف الرقيـق وينتـج عـروق كثيـرة ويحيط بالرطوبـات الثلاثـــة ، وبالشبكيـة والعنكبوتية ، والنصف الموجز من هذا الغشاء يلتحم عند التحام الشبكية ويسمى بالمشيمية ، لاشتمالها على الشبكية وهى الثالثة ، والنصف من هذا الغشاء يصير صفاقا الى غلظ كنصف عنبه وهى العنبية وهى الرابعة ، وفيها ثقب من قدام لئلا يمتنع الابصار ، وهذا الثقب يسمى بالحدقة وهو مملوء رطوبة ......» الخ ..

فى فقه اللغة

هذا الكتاب جوهرة من الجواهر الكامنة فى دار الكتب الظاهرية ، صاغها عالم اللغة الكبير ابو منصور الجواليقى ، وشاءت لها الظروف ان تبقى مخبوءة حتى يومنا هذا ، الى ان هُيِّىء لهذا الكتاب ان يرى النور اول مرة ، فيضيف الى قائمة العلماء الذين كتبوا في «فعلت وافعلت» اسما جديدا هو الجواليقى ، وسيزيد فى كتب الجواليقى المعروفة والكثيرة كتابا لم يات احد على ذكره من قبل.وقد جاء هذا الكتاب سهل المجتنى ، مستساغا ، يضع بين يدى كل حريص على سلامة استخدام اللغة افعالا عديدة مرتبة هجائيا ، يكثر تداولها على الألسنة ، ويحار المرء فى صيغتها «فعلت» او «افعلت».وقد تناول علماء العربية هذا الموضوع وكتبوا فيه امثال : ابن السكيت ٢٤٦ هـ وابن دريد ٣٢١ هـ ـ وابن درستويه ٣٤٧ هـ ـ والزّجّاج ٣١٠ هـ .

وصف المخطوطة : تقع ضمن مجموع فى الظاهرية رقمه ٧٣٠٥ يضم احد عشر كتابا ، تبدأ من الورقة ١١٣ «ا» وقد كتب فى هذه الصفحة العنوان «ما جاء على فعلت وافعلت بمعنى واحد مؤلف على حروف المعجم» وتنتهى المخطوطة بالورقة ١٢٣ «ب» .


قاموس الأطبا وناموس الألبا

الصفحة الأولى من «قاموس الأطبا» الذى ألفه عالم عربى فى القرن الحادى عشر للهجرة

– كتبت بالنقس «المداد» الأسود . بخط نسخى جميل مشكول شكلا تاماً . والعناوين بالنقس الاحمر . ووردت فى الهوامش كلمات قليلة كتبها الناسخ نفسه .

– عدد اوراقها عشرة مسطرتها ١٤×١١ والهامش ٢,٢٥ س.م وفى كل صفحة خمسة عشر سطراً . وورقها جيد لم يتاثر بشىء .

– تبدا بباب الباء وتنتهى بباب الياء . ويبدو انها منسوخة عام ٦٦٧ هـ .

– وتعتبر من مفاخر كتب التراث العربى اللغوى . فقد وصفها ابن الجوزى بانها «قطعة من اللغة» .

وتحتل مكانة تراثية خاصة . نظرا لعدم وجود نسخة ثانية . فالنسخة التى عثر عليها فى الظاهرية هى النسخة الوحيدة والفريدة فى مكتبات العالم .

اسم المؤلف ونسبه

موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر ابن الحسن ، ابو منصور الجواليقى . و «الجواليقى» نسبة الى عمل الجوالق ولبيعها . وهى نسبة شاذة لان الجموع لا ينسب اليها بل ينسب الى احادها . والجوالق بالعامية للشوال ..

ولد فى بغداد فى شهر ذى الحجة ٤٦٦ هـ الموافق شهر آب ١٠٧٣ م . وهو شيخ اللغة فى عصره . درس فى المدرسة النظامية فى العراق . وكانت له حلقة فى جامع القصر يقرىء فيها الأدب كل جمعة . قرا عليه اكثر فضلاء بغداد وكان فى اللغة امثل منه فى النحو .

من صفاته : انه ورع – ثقة – غزير الفضل – كثير الضبط – متواضع فى جلسته ورئاسته – كثير الصمت – وكان فيه لكنة – لا يقول الشىء إلا بعد التحقيق والفكر الطويل – وقد اخذ العلم عن الجواليقى كثير من العلماء الأئمة الكبار منهم : ابن الجوزى وهو امام كبير معروف – وابو اليمن الكندى المحدث الحافظ اللغوى – وابن الانبارى وهو مؤلف نزهة الالبا فى طبقات الادباء .

وقد اجمع الذين ترجموا للجواليقى ان له مصنفات كثيرة عرف منها : غلط الضعفاء من الفقهاء – شرح أدب الكاتب – العروض – وقد اضاف المستشرق بروكلمان – المختصر فى النحو – وشرح مقصورة ابن دريد . وعلى الرغم من الاجماع على علم الجواليقى وفضله . فانه لم ينج من لسان شاعر حاقد حاسد مستغلا كثرة نعاسه فى مجلسه .

كـون الجواليقـيِّ فيهـا ملقيـا أدبـا وكـون المغربـيِّ معبـراً
فاسـير لكنتـه يمـل فصاحـة وغـفـول يقظتـه يعبـر عن كَـرَى

وفيما يلي : فقرة من الفصل الأول باب (الحاء) . يذكر فيها بعض الأفعال التى وردت على فعلت وافعلت بمعنى واحد .

«خلَسَ رأسُ الرجل واخلَسَ فهو خليس ومخلَس ، اذا اختلط سواده ببياضه . خطئتُ الشىء اخطؤه خطا واخطاتُه إخطاء . خضعه الكبر واخضَعَه . خفق الطائرُ بجناحيه واخفق صفَّق بهما .

خبُثَ الرجل واختُبَ إذا قَلك – خمَّ اللحمُ واخم تغيَّرت رائحته – خلَق واخلَق صار خلقا . خَلَف فم الصائم واخلَف تغير – وعبد خالف ونبيذ خالف إذا خالف تقديرك فيه – خرطت الشاة واخرطت اذا تحدَّر لبنها فى ضرعها – خدَجَت الناقة واخدَجَت اذا القت ولدها لغير تمام» .

وجيه الشربجي
دمشق

أزمة الإنسان العربي في رواية معاصرة

بقلم : يوسف الشاروني

أحاول هذه الأيام ان اقاوم شعور الاحباط بسبب ما يجرى فى عالمنا العربى ، فالوذ بالتاريخ عسانى ارفع معنوياتى . لكم تعرضت منطقتنا لجحافل الغزاة ولمحاولات الابادة التى نجحت بعض الوقت لكنها لم تنجح ابداً كل الوقت . وما اشبه ما يحدث اليوم من استعمار استيطانى غربى اسرائيلى بما حدث منذ قرون من استعمار استيطانى غربى صليبى . لقد دام ذلك الاستعمار مئات السنين لكنه اندحر فى النهاية . هكذا اقول معزياً نفسى ، وانا بين التفاؤل والتشاؤم ، لا اريد ان اخدر نفسى ولا اريد ان ادعها فريسة الاحباط .

لكننى ككاتب اشعر باحباط اعمق متسائلا : ماذا فعل جيلى من الكتاب والادباء ، وماذا فعلت اجيال الكتاب من قبلنا وبعدنا ، ولمن نكتب بل ولماذا نكتب ؟ صحيح ان الاديب ليست مهمته ان يخطب او يعظ ، لكنه ـ على الاقل ـ كشاهد على عصره ، يامل عن طريق نظرته التى يدفعها الاحتجاج فى معظم الاحيان ان يتطور مجتمعه الى الافضل دائما . لكننا ـ ككتاب ـ نجد ان مجتمعنا العربى قد ازداد تاخرا ، وانه ما تخلص من استعمار إلا ليقع فى براثن استعمار اعتى ـ استعمار استيطانى هذه المرة كهذا الذى حاوله الايطاليون فى ليبيا والذى حاوله الفرنسيون فى الجزائر ـ وانه ما اغراه بهذا إلا ضعفنا وفرقتنا ، وانه يعمل على تحويلنا الى هنود حمر فى تفكيرنا وقوتنا فى محاولة للقضاء علينا حضاريا . لماذا نكتب إذن ؟ ويبلغ الاحباط ذروته حين يخيل للكاتب انه يكتب لمن هم مقتنعون من قبل بفكره لمجرد ان يؤكدوا ذواتهم ويشعروا انهم ينتمون الى مجتمع اعضاؤه هم قراء هذا الكاتب او ذاك ، هذا فضلا عن بحر الامية الهائل ، الامية الابجدية والامية الثقافية كما يقولون ، والتى تحول دون الكاتب ووصول كلماته الى السواد الاعظم من ابناء لغته .

وسط هذا الاحساس باعادة النظر فى مدى جدوى الكلمة العربية فى لحظتنا الحضارية ، أعدت اخيرا قراءة رواية عبد الرحمن منيف «الاشجار واغتيال مرزوق» . ورغم ان طبعتها الاولى كانت عام ١٩٧٣ إلا اننى وجدت انها ـ الى جانب انها عمل فنى متكامل ـ تلقى الضوء على كثير مما وصل اليه واقعنا العربى بعد اكثر من عشر سنوات من نشرها .

فالبطل منصور عبد السلام كان استاذا لمادة التاريخ الحديث بالجامعة . ثم احس ذات يوم ان محاضراته مراقبة ، ومنذ تلك اللحظة تعكرت حياته تماما . احس انه تحول الى قارىء للكتب الرسمية ولم يعد مدرسا للتاريخ . اصبح يرتد الى داخله مثل ارنب مذعور .. القط الاسود الرابض على سور الحديقة المجاورة مخبر فى جلد قط ، وبائع الحليب امسك بتلابيبه ذات صباح وقال له : إن دققت بابى مرة ثانية اطعمتك للجرذان .. اذهب لا اريد ان اراك . وتحولت قاعة المحاضرات الى سجن ، وكلماته قطع من الحديد الصدىء ، كما اصبح يرفض الاجابة عن اية اسئلة ، ومع ذلك لم يستطع ان يتجنب النهاية الكئيبة التى وصل اليها ، فقبل نهاية السنة الدراسية بثلاثة اشهر تلقى قرار التسريح . وحاول ان يجد عملا اخر لكنه وجد الكل يخافون ان يوظفوا شخصا سبق



الكاتب الروائى عبد الرحمن منيف



إلى جانب ان هذه الرواية عمل فنى متكامل .. فهى تلقى الضوء على كثير مما وصل إليه واقعنا العربى بعد اكثر من عشر سنوات من نشرها .

تسريحه ، ارسلوا له عن طريق صديق يقولون : لن نكرمك مثلما فعل غيرنا بان ندخلك السجن لكى تصبح بطلا وشهيدا ، ولكن لن نعطيك فرصة بان تعيش براحة مادمت عنيدا هكذا (عبد الرحمن منيف ، الأشجار واغتيال مرزوق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٧٩) . وقدم طلبا للحصول على جواز سفر فكانت اطول رحلة فى حياته ، لم يستطع أن يصل الى نهايتها إلا بعد سنتين وسبعة شهور حتى بدأ يستدين الى ان اصبح يخجل من اصدقائه متسائلا هل تحول الى شحاذ ؟ حتى عندما حاول ان يكسب لقمته عن طريق الترجمة رفض الناشرون نشر ترجمته . وهكذا لم يكن منصور عبد السلام إلا واحداً من ملايين المواطنين الذين خصتهم سلطاتهم فى معظم الدول فجعلت منهم شخصيـات سلبية كل مهمتها فى الحياة ان تهرب وان تختفى . وكان قد قرأ اعلانا يطلب مترجما للعمل مع إحدى البعثات الفرنسية للتنقيب عن الآثار ، فارسل طلبا قوبل بالموافقة . وحصل على جواز السفر اخيراً . وفى القطار تقابل مع شخصية اسطورية هى شخصية إلياس نخلة الذى قص تاريخ حياته على منصور عبد السلام فكانت قصة داخل القصة ، بحيث نستمع فى القسم الأول كله الى قصة إلياس نخلة ، وهى تشغل حوالى نصف حجم الرواية ، وروايتها تلتزم الترتيب الزمنى للأحداث بينما لا تلتزمه القصة الأخرى ، قصة منصور عبد السلام التى نسمع اطرافا منها تنبعث من عالمه الداخلى اثناء استماعنا لقصة إلياس نخلة . فنسمعه يقول : بقيت لي بضع ساعات فى هذا البلد ، وبعدها اغادره ، لن ارجع مرة اخرى . نعم لن ارجع ، وحتى لو رجعت فلن يكون قبل عشرين سنة . سأتلاءم مع عملى الجديد ، وإذا طردت منه فسوف اجد عملا ثانيا ، اما إذا لم يلائمنى البلد فسوف افتش عن بلد اخر . المهم : ان لا ارجع (ص ١٧) .. ما الوطن ؟ الارض ؟ التلال الجرداء ؟ العيون القاسية التى ينصهر منها الحقد والرصاص وكلمات السخرية ؟ الوطن ان يجوع الانسان ؟ ان يتيه فى الشوارع يبحث عن عمل ووراءه المخبرون ؟ ... الوطن المكان الذى يعمل فيه الانسان بين الرجال الذين يعرفهم ويحبهم (ص ٢٥) ثم يعود بنا الى الماضي حين سرح من الجامعة . وهكذا نستمع الى قصتين فى وقت واحد : قصة إلياس نخلة المرتبة ترتيباً زمنياً تتخللها قصة منصور عبد السلام التى تقفز بين ازمنة مختلفة .

وحتى عندما غادر الياس نخلة القطار وخلا الجو لمنصور عبد السلام «لان يقول شيئاً على حد تعبيره ، فقد ظل عدم الترتيب الزمنى سـائداً» والسبب فى ذلك منطقى . فقد كان إلياس نخلة يروى قصته على آخر ، وانت عندما تروى قصتك على اخر فعادة ما ترتب حوادث قصتك ترتيباً زمنياً حتى يمكن متابعتها . اما قصة منصور عبد السلام فهى منولوج طويل ، إنها مجرد ذكريات تطفو وتغيب ، إنه يتعرى بحرية بينه وبين نفسه ، والمؤلف يسمح لقارئه بان يطل عليه من احد الثقوب ليطلع على هذا العالم الداخلى الذى يموج بالانفعالات والذكريات حيناً ويضطرب بين عالمى الداخل والخارج حيناً اخر . «.. وعليكم ايها السادة ألا تصدقوا كل ما يقوله ، نعم لا تصدقوا ، لان الهلوسات تختلط بالوقائع الصغيرة .. بالاحلام ، واحيانا بالاكاذيب . ومن كل ذلك يتصور منصور عبد السلام حياته او يتوهمها .. فاحذروا (ص ١٥٨) .

وهكذا نتعرف على طفولة منصـــور عبد السلام ، وهى طفولة شقية لطفل يتيم الأب : عمل فى محل بيع اقمشة ثم فى إحدى المكتبات حيث لقى الاهانة هنا وهناك فهرب من كل منهما . ثم نتعرف عليه فى حاضره ، رجلا فى الخامسة والثلاثين ، كان يحتفظ بمكتبة صغيرة فى بيته حتى وقت قريب ، وكانت بعض كتبها تتمتع لديه بميزة تفوق اى شىء فى هذا الوجود «ولكنى تأكدت مؤخراً أن الكتب بلاء يجب أن يحاربه الانسان ويتخلص منه ، ومن اجل ذلك جعلت نفسى قدوة عندما احرقت اغلب الكتب التى احتفظت بها سنوات طويلة» (ص ١٨٤) ، ثم نعرف انه قبل تلك كان قد سجن بسبب افكاره ، وان اباه كان يحب السياسة رغم انه كان يقرأ الجرائد بصعوبة مما ادى الى نفيه الى الهند خمس سنوات ، فلما مرض عاد الى اهله ليموت بعد سبعة شهور .

ثم يحكى لنا عن علاقاته النسائية ، غراماً عاطفياً ، او حلم يقظة عاشه ، او محاولات زواج فاشلة ، ليلى .. وداد .. رحاب .. ممثلات السينما ، زوجات الأغنياء بنات الجامعة سهام زهدى الصناديقى ، اما كاترين البلجيكية فهى التى عن طريقها عبر المؤلف عن استحالة اللقاء بين الغرب والشرق ، تعرف بها اثناء دراسته التاريخ فى جامعة بروكسل ، كانت واضحة جريئة لها إرادتها وشخصيتها ، شانها فى ذلك



أزمة الإنسان العربي في رواية معاصرة

شان جميع بطلات الروايات التى عبرت فى ادبنا العربى المعاصر عن الصراع بين الشرق والغرب ، قنديل ام هاشم ليحيى حقى ، الحى اللاتينى لسهيل ادريس ، موسم الهجرة الى الشمال للطيب صالح .. الخ ، فحين يعلن لها ان حرارة بلاده قاسية تبلغ المائة قد لا تتحملها ترد عليه : لاتخف لتحمل الجحيم ، ولا اريد بعد الآن هذا الثلج اللعين (ص ٢١١) . لكنه اجابها : انتم فى نهاية الحضارة .. وتسامون .. ماذا نقول نحن ؟ الاشياء التى تكرهينها نشتاق اليها فى بلادنا ، نموت من اجل ان تكون .. والاشياء التى لا نحبها تتلهفين لكى تريها (ص ٢١٢) .. كاترين نحن عالمان ، التقينا بالصدفة ، وبعد قليل سنفترق ، إن لقاء مثل هذا لا يمكن ان يستمر مهما حاولنا» (ص ٢١٤) .. «لا اريد ان احزنك يا كاترين ، ولكن كل شيء فى بلادنا مقلوب على راسه .

وعندما عاد الى بلده واراد ان يتزوج سهام زهدى الصناديقى وكان ابوها يساومه على مقدار ما يدفع ، كانت سهام تنظر دون اهتمام كان الامر لا يعنيها . قالت : ليس لي راى ، المهم ان تتفق مع بابا .. ولكنك انت التى ستتزوجين يا سهام .. اعرف ولكن بابا هو الذى يقرر كل شيء .. وانت ماذا تقررين .. هل تريد ان تحرجنى (ص ٢٢٧) . علاقة هى الأخرى محكوم عليها بالفشل لأسباب تختلف تماما عن العلاقة السابقة . ترى ما الذى اغرى استاذ الجامعة المثقف بسهام زهدى الصناديقى وما الذى جذبه نحوها ؟ ليست هناك كلمة حتى عن جمالها الحسي . اما الحب فهو لا يشير اليه لانه ـ كما هو واضح ـ علاقة مستحيلة بينهما .

ويلوذ منصور عبد السلام بذكرياته باحثا عن صدر احتضنه ذات يوم ، فينقب فى ماضيه حتى يعثر على مغامرة صغيرة عاشها ثلاثة ايام حين كان على ضفاف البحر الأسود ، حين تشبثت به احدى الفتيات لكنه تملص منها عندما كان عليها ان تسافر لموعد مع امها فى بودابست .

ويخرجنا منصور عبد السلام من عالمه الداخلى ليشارك حاضره بدوره فى هذه المقارنات الحضارية ، إذ تدخل امراة الى حيث يجلس فى القطار ووراءها شابة لا تتجاوز العشرين ، نفهم من حديثهما انهما غادرتا مكانهما السابق بالقطار لان العجوز اعترضت على ان تتحدث الفتاة مع رجال يشاركونها المكان «فالبنت المؤدبة يجب الا تعطى عينا للرجال .. هذه عادة الرجال دائما : أول مرة يسال عن الوقت واخر شيء يعتدى عليك ، انا اعرف الرجال» (ص ٢٣٥) . وهكذا اغلقت البوابة وسدت فى وجهه الطرق على حد تعبيره .

وبعد عودة منصور عبد السلام من الخارج دعي لخدمة الوطن لمدة ثلاث سنوات أصيب بعدها بازمة نفسية . كان يقول : افهم ان نهزم مرة . وافهم ان نهزم مائة مرة . لكن الشيء الذى لا افهمه هو ان نتصور هزيمتنا انتصارا (ص ٢٤٨) . وقد ظل يعانى من حالة الكآبة والعزلة فترة طويلة ، ولم يتوازن إلا بعد أن عين فى الجامعة لتدريس مادة التاريخ المعاصر وهو يؤمن ان التاريخ قصة طويلة وحزينة تمتلىء بالاكاذيب (ص ٢٥١) .

وكان عليه أن يعبر الحدود لينضم الى بعثة التنقيب عن الآثار . وعند الحدود احس انهم يتطلعون اليه بسخرية قاسية . وبعد ان امطروه وابلا من الاسئلة واذنوا له بالسفر دخل عليه اثنان وبدءا استجوابه من جديد ، ثم اتضح انهما من رجال الجمارك يستفسران عن صديق رحلته إلياس نخلة الذى تعرف عليه فى رحلة القطار ونزل عند محطة الحدود ، لكنه ذعر منهما واصابه الخوف والتردد وهو يجيب على اسئلتهما مع انهما موظفان صغيران لا يستطيعان منعه من السفر . لهذا أحس انه تخلى عن إلياس نخلة عندما اعلن لهما انه لا يعرفه ابدا ، لم يره من قبل ، وحتى اسمه التقطه فى اللحظات الاخيرة والقطار يسير (ص ١٧٢) .

وهكذا نتعرف على قصتى الياس نخلة ومنصور عبد السلام من خلال حركة القطار رمز الحياة ، وإن كنا نتعرف على قصة الشخصية الثانوية اولا لتتكشف لنا من خلالها قصة الشخصية الرئيسية كانما عرضا . ثم تنتهى روايتنا بيوميات منصور عبد السلام عن عمله فى الموقع الذى يعمل به مع بعثة التنقيب عن الآثار . وهكذا تجمع روايتنا بين ثلاثة اساليب من اساليب الحكى الروائى : أسلوب الاعتراف او الافضاء الشفاهى الى شخص حاضر ، وأسلوب المنولوج او الافضاء الصامت ، واخيرا أسلوب اليوميات وهو إفضاء مكتوب الى شخص مجهول .

يكتب منصور عبد السلام فى يومياته انهم كانوا «ثلاثة عشر رجلا ، لا توجد رائحة امراة فى مساحة نصف قطرها خمسة عشر كيلو مترا» (ص ٢٨٩) . كان يقول للفرنسيين «نحن فى الشرق لا نحتمل فقط وإنما نهوى ان نعذب انفسنا .. الشرق موطن الاحتمال . لقد تحول الشرق الى حمار . ضحكوا للكلمة الاخيرة» (ص ٢٩٥) وقرا فى الصحف نبا قتل رفيق كفاحه مرزوق (ولعله يرمز بذلك الى قتله هو فمرزوق على وزن منصور الذى كان يبحث عن وسيلة للرزق ولم يكن منصورا فى حياته ابدا) ، فكتب يقول «الوطن هذا الوشاح الاسود الذى يلبسه كل الناس ، يلبسونه فى الليل ، فى النهار ، وهم نائمون وهم ياكلون .. الى متى تبقى كذلك ايها الوطن ؟ الجوع والعذاب ، واليوم : القتل (ص ٣٠١) . ويكتب فى يومية اخرى «يجب ان اخترع طريقة استطيع بواسطتها القضاء على كل شيء فى الوطن : الاشجار ، الماعز ، الخيانة ، الهزيمة ، الحفر فى الشوارع والبذاءة» (ص ٣١٦) .

ويبدو ان عبد الرحمن منيف كان يمهد بذلك لجنون بطله الذى لم يجد طريقة سواها لخلاصه .

واخيرا أطلق منصور عبد السلام النار على شبحه فى المرآة . وخلال نصف ساعة جاؤوا واخذوه الى مستشفى المجانين .

إن رواية الأشجار واغتيال مرزوق من روايات تانيب الذات الذى يجتاح الضمير العربى فى هذه الفترة التاريخية التى نمر بها . وهى بما تحتشد به من اساطير ورموز قد استطاعت ان تقدم واقعا وفنا ونبوءة .

يوسف الشارونى

مجمرة الرماد



شعر:
حسن عبد الله القرشي

قد تحجَّرتُ فالتمسي النّارَ
في غيرِ قلبي
ولا تغْرقي في شُعَاعِ النجوم
ولا تسالي لِمَ قلبي تحجَّرَ
من بعدِ ان كانَ يرقُصُ
فوق حدائقِ شمس النّهارِ ؟!

• • •



كان قلبي السؤالَ
وكنت إجابةَ هذا السؤالِ
وكنتِ المحبةَ
فانغلقت رؤيةُ الحبِّ
واختنقتْ
في خضمِّ المسافاتِ
في صمْتِ كل الجَنَائزِ
اجنحةُ الوردِ .. والياسمينْ !
كنتِ لي .. كنتِ
لكن اذرعةَ الغَيبِ
حينَ اختبأتِ
وحينَ تراكضَ في شَفَقِ الحُلْمِ
ظلك ، وانجابَ ظِلّي
وحين تغرّبتِ
فوقَ شَوَاهدِ كلِّ المقابرِ
قد عدتِ وَهْما
حقيقته انطمستْ وتعرّتْ
فاصبحتِ مطمورةَ الهمْسِ
غائبةً في مَدارِ السّنينْ

• • •

لَمْ أعُدْ ذلك المشفِقَ المتأنّي
فَتَحْتَ القِبَابِ
أرى النّهْرَ مستَخْذيا
واحِسُّكِ أبْعَدَ .. أبْعَدَ
راجفةً كدبيبِ النّمالِ
كمجمرة عُبِّئَتْ بالرّمادِ
فَلا فَوْحَ تَنْشُرُهُ
لا شُعَاعا
سوى قبْضَةٍ من هَبَاءٍ
وذَرّاتِ سَجْنَى التوابيتِ
ساقطةً من حُطَامٍ مهين !!



حاييم هيرتسوج



حاييم هيرتسوج على خط بن جوريون

بقلم : عصام شريح

بتاريخ ٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٨٣ ، انتخب الكنيست الاسرائيلي حاييم هيرتسوج رئيساً «سادساً» للكيان الصهيوني ، خلفاً لاسحق نافون الذى انتهت مدة رئاسته في الرابع من ايار (مايو) الماضي . وقد فاز هيرتسوج بمنصب الرئاسة كمرشح لحزب العمل المعارض وضد مرشح حزب الليكود الحاكم قاضى المحكمة العليا «مناحيم إيلون» ، وجاء فوزه على إيلون بأكثرية ٦١ صوتاً مقابل ٥٧ صوتاً لمنافسه ، وبعد أن «خان» خمسة من النواب الأعضاء فى الليكود حزبهم وصوتوا لصالح هيرتسوج . وقد احدث انتخاب هيرتسوج صدمة لحزب الليكود ورئيسه مناحيم بيجن ، لكن وزير الداخلية يوسف بورج وصف ما حدث بانه ليس اكثر من نكسة صغيرة ، أو «بنشر» فى سيارة الليكود ، وقد امكن اصلاح «البنشر» واقلعت السيارة من جديد

وقد عزا المراقبون نجاح هيرتسوج على مرشح الليكود ، الى مرونته وعدم تعصبه الحزبى حيث يعتبر من تيار الوسط داخل حزب العمل المعارض ، اضافة الى أن منافسه على المنصب القاضى «إيلون» لم يكن شخصاً معروفاً .

والمهم هنا أن نعرض لبعض مناحى تفكير هيرتسوج ، للاسهام فى تقييم واقعى لاتجاهاته السياسية والفكرية ، وذلك انطلاقاً من القاعدة التى تقول : «اعرف عدوك» .

من هو ؟

ولد حاييم هيرتسوج فى ١٩١٨/٩/١٧ بمدينة بلفاست عاصمة ايرلندا ، وكان والده الحاخام الاكبر فى ايرلندا ، واصبح فيما بعد الحاخام الأكبر فى الكيان الصهيونى . وهاجر هيرتسوج مع عائلته الى فلسطين فى عام ١٩٣٥ ، وانضم الى منظمة «الهاجانا» - احدى العصابات الصهيونية المسلحة التى شكلت فى فلسطين قبل الاعلان عن قيام اسرائيل فى عام ١٩٤٨ - وتجند فى الجيش البريطانى فى عام ١٩٣٩ ، وحارب فى صفوفه خلال الحرب العالمية الثانية ، وجرح على مشارف مدينة «بريمن» الالمانية الساحلية ، بعد ان شارك فى معركة «ارنهايم» لعبور نهر الراين ، وكان ضمن افراد اول فرقة للحلفاء دخلت الاراضى الالمانية ، وبسبب معرفته اللغة الالمانية ، تم تحويله الى وحدة الاستخبارات الخاصة التى طاردت زعماء النازيين ، وكان هيرتسوج ضمن الضباط الاربعة الذين القوا القبض على رئيس جهاز الاستخبارات الالمانى المعروف باسم «الجستابو» - هنريخ هيملر .

بعد ذلك عاد الى فلسطين ، ونشط داخل اجهزة الوكالة اليـهودية فعين فى عام ١٩٤٧ رئيسا لشعبة الامن فيها ، وخلال الحرب العربية - الاسرائيلية فى عام ١٩٤٨ ، عمل هيرتسوج ضابط عمليات فى اللواء السابع ، وحينما انشىء جهاز الاستخبارات العسكرية فى الجيش الاسرائيلى - كقسم من شعبة الاركان العامة فى اواخر عام ١٩٤٨ - عين رئيسا لهذا الجهاز ، وفى عام ١٩٥٠ نقل من هذا المنصب لكى يعين ملحقا عسكريا فى الولايات المتحدة وكندا ، وفى عام ١٩٥٤ ، عين قائدا للواء القدس ، ثم عين فى عام ١٩٥٧ رئيسا لأركان المنطقة الجنوبية ، وقائما باعمال قائدها انذاك ، وفى ايار (مايو) ١٩٥٩ ، عين رئيسا لشعبة الاستخبارات العسكرية ، وانهى خدمته فى هذا المنصب فى عام ١٩٦١ مختتما بذلك حياته العسكرية الرسمية .

بعد خروجه من الجيش عمل هيرتسوج فى عدة مجالات رسمية وغير رسمية ، ففى أعقاب احتلال الضفة الغربية فى حرب عام ١٩٦٧ ، عين أول حاكم عسكرى على الضفة الغربية المحتلة ، وكان قد عمل فى السنوات السابقة فى المجال الصناعى ، واشترك مع مجموعة من المحامين المتخصصين بقضايا الصناعة والاقتصاد ، كما عمل فى ميدانْ الصحافة والاعلام . وخلال حرب عام ١٩٧٣ ، اشتهر بتعليقاته عن هذه الحرب ، كما فعل فى اعقاب حرب عام ١٩٦٧ . وفى الفترة ما بين ١٩٧٥ - ١٩٧٨ شغل هيرتسوج منصب مندوب اسرائيل لدى الأمم المتحدة ، ومنذ عام ١٩٨١ وحتى انتخابه لرئاسة الكيان الصهيونى فى ٢٢ آذار (مارس) الماضى ، كان يحتل أحد مقاعد الكنيست عن حزب العمل المعارض .

هيرتسوج وأميركا

تشكل «رؤيا» هيرتسوج لنمط السياسة الاسرائيلية الواجب اتباعها نحو الولايات المتحدة ، ومعها ، جوهر فكر الرجل على الصعيد السياسى والاستراتيجى ، وهيرتسوج لا يبدو خلاقا فى هذا المضمار بقدر ما يبدو - مثل غالبية قادة حزب العمل - تلميذا نجيبا لـ «دافيد بن جوريون» صاحب الفكر السياسى الاستراتيجى الحقيقى حتى الآن فى الكيان الصهيونى .

وانطلاقا من «تعاليم» معلمه إبن جوريون ، يحاول هيرتسوج ان يصوغ مواقف سياسية تكتيكية لمعالجة المشاكل والأزمات الطارئة التى تواجه اسرائيل فى صراعها مع العرب ، ومن هذه المواقف التكتيكية على سبيل المثال - لا الحصر - دعوته الى وضع السياسة الاسرائيلية فى خط مواز للسياسة الاميركية والمصالح الاميركية فى المنطقة ، كما حدث مثلا عندما قامت حكومة مناحيم بيجن بضم هضبة الجولان السورية المحتلة رسميا الى الكيان الصهيونى ، فقد حمل هيرتسوج بشدة على حكومة بيجن بسبب هذا القرار ، لأنه عكس فى رأيه اخفاقا فى فهم نوعية ادارة الرئيس الأميركى السابق جيمى كارتر ،

ولأن بيجن وقف «فى مواجهة ادارة مختلفة كليا ، تعكس فى ردود فعلها الطبيعية معايير الحياة السياسية المحلية فى الولايات المتحدة» ، واتهم هيرتسوج بيجن فى مقال تحليلى كتبه فى صحيفة «معاريف» بتاريخ ٢٥ - ١٢ - ١٩٨١ ، بعدم فهم الخارطة السياسية فى واشنطن ، وبالتالى بانعدام القدرة على التقدير الصحيح للدوافع المؤثرة على التفكير السياسى الأميركى . وفى تقدير هيرتسوج ، انه ليس مهما ان تكون الخطوة السياسية التى تخطوها الحكومة الاسرائيلية «صحيحة ومحقة» ، بل ان المهم هو أن لا تتقاطع هذه الخطوة مع الخط السياسى الأميركى فى منطقة الشرق الاوسط أو غيرها من المناطق ، بحيث تؤثر سلبيا على الموقف الأميركى خاصة والموقف الغربى عامة إزاء السياسة السوفيتية ، او بحيث تقود الى تماثل فى الموقفين الاميركى والسوفيتى ، وهو اخطر ما يمكن ان يواجه اسرائيل - على حد قوله .

ويسوق هيرتسوج مثلين على ذلك فيقول «لقد عملت السياسة الاسرائيلية دائما بشكل يمنع حصول تماثل فى المصالح أو السياسات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، إذ لا توجد قوة فى العالم تستطيع الصمود على المدى البعيد فى وجه إجماع القوتين الاعظم ، وجميع إنجازات اسرائيل بعد حرب الأيام الستة - قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ونتائج حرب «يوم الغفران» ، والمفاوضات مع مصر خلال التسويات المرحلية وما تبعها - ما كان بالامكان تحقيقها بهذا الشكل لو لم تكن الدولتان الاعظم فى حالة مواجهة فيما بينهما حول قضية الشرق الأوسط» .

ويضيف هيرتسوج قائلا : «فى عام ١٩٤٨ ، وفى أعقاب القرار التاريخى لدافيد بن جوريون بالاعلان عن قيام دولة اسرائيل ، كان العامل السياسى الرئيسى الذى ساعد فى مسار إقامة الدولة ، موافقة الدولتين الاعظم ، وفى سنة ١٩٥٦ ، تشكل مرة اخرى تماثل فى التوجه بين الدولتين الأعظم - الأمر الذى جعل الانسحاب من سيناء إجباريا» .

الأستاذ ابن جوريون

من كل هذا يخلص حاييم هيرتسوج الى صياغة موقف استراتيجى هو فى الواقع موقف مستمد من الخط السياسى الاستراتيجى الذى وضعه بن جوريون . ويقوم الموقف الذى صاغه هيرتسوج على أساس أو أساسين متكاملين هما : إبقاء المشاكل معلقة دون حلول فيما يتعلق بالصراع مع العرب ، بحيث تبقى المبادرة فى يد اسرائيل دوما ، ثم العمل من خلال المفهوم المرحلى فى السياسة ، ونبذ العمل «الطفروى» او الانفعالى فى هذا المضمار .

ويشرح هيرتسوج هذين الاساسين فى بناء مواقفه - أو المواقف الاسرائيلية - فيقول : «لقد كان دافيد بن جوريون كبيرا بما فيه الكفاية ، ليعرف الى اى مدى يستحسن السير الى الأمام ، ثم الانتظار هناك ، حتى المرحلة التالية» .

حاييم هيرتسوج

على خطى بن جوريون

ويضيف « ان امام اسرائيل خطين مركزيين تجنبت الحكومات السابقة (حكومات حزب العمل) الخروج عليهما ، «فلقد حذر دافيد بن جوريون دائما من الاسهاب فى شرح المواقف اكثر مما يجب ، حيث فى تقديره ،

ان انعدام الوضوح فى الكلمات والعبارات من جهة ، ووجودنا (اى وجود الاسرائيليين) على الارض من جهة اخرى ،

هما «الثنائى الافضل» ـ حيث ان طابع المشكلات التى تواجه اسرائيل ، وانعدام الاستقرار فى المنطقة وصعوبة رؤية المستقبل وحساسية وضعنا ، اجتمعت معا لتفرض علينا سياسة تقضى بابقاء المشاكل معلقة فى الهواء ودون حل ـ من اجل الاحتفاظ بالمبادرة على الارض فى ايدينا» .

وفى سياق تبريره لهذه السياسة ، يقول هيرتسوج «ان ابن جوريون قد عارض بشدة تعيين حدود الدولة فى وثيقة الاستقلال ، ولقد وصلنا الى حافة حرب تهدد وجودنا ، ولم يقبل ابن جوريون بتكبيل ايدينا ، والامر نفسه ينطبق على اتفاقات الهدنة المتعلقة بالمناطق المعزولة ، حيث كان الموقف منها غامضا ، ولكن مع مرور السنوات ، اصبحت تلك المناطق جزءا لا يتجزأ من اسرائيل » .

من كل هذا نستنتج ان موقف حاييم هيرتسوج ـ الذى يعكس بالضرورة الموقف الرسمى لحزب العمل ـ لا يختلف عن موقف مناحيم بيجن وبالتالى حزب الليكود الحاكم حاليا ، من حيث الجوهر ، وان كان يختلف عنه من ناحية الشكل والمظهر ،

فهيرتسوج كما هو واضح فى اقواله يسعى الى قضم الاراضى العربية ، وتحقيق السياسة الصهيونية التوسعية ، ولكن دون حرق المراحل ، ودون اللجوء الى اساليب الدعاية والاثارة التى تضر فى نهاية المطاف بسمعة اسرائيل فى الخارج ، وتنعكس سلبا على علاقاتها مع حلفائها الغربيين ،

وتثير الراى العام العالمى ضدها ، اضافة الى انها تفتح عيون العرب على سياساتها التوسعية .



دافيد بن جوريون



مناحيم بيجن — اسحق نافون

تناقص عدد اليهود

فى اواسط السبعينات طرح هيرتسوج مسألة التكاثر الطبيعى للعرب الفلسطينيين فى مقابل الانخفاض الحاد فى عدد اليهود فى العالم ، وقال ان هذه المعادلة ليست فى صالح اسرائيل على المدى الطويل ، لأن الفلسطينيين سيتكاثرون باضطراد نتيجة لعملية الانجاب المبكر بالنسبة للزوجين وغير المحدودة ايضا ، فيما سيصبح اليهود اقلية فى المستقبل اذا استمر تناقصهم على المنوال الحالى ، سواء فى اسرائيل ، أو فى العالم . وعزا هيرتسوج هذا التناقص الى انخفاض عملية التكاثر الطبيعى اولا ، ثم للزواج المختلط ، واندماج اعداد من اليهود وانصهارها فى المجتمعات الأوروبية والأميركية ، وغيرها .. ولتعزيز وجهة نظره هذه قدم بعض الاحصاءات فى هذا المجال فقال انه قبل مائة سنة فى أوروبا الشرقية ،

وقبل بضع عشرات من السنين فى أوساط يهود آسيا وافريقيا ، كان متوسط عدد الأولاد الذين ولدوا لأم يهودية ، يبلغ سبعة أولاد ، فى مقابل ولدين فقط للأم اليهودية التى تعيش خارج اسرائيل ، واضاف هيرتسوج أن الزيادة السنوية بالألف بين اليهود فى العالم كانت قبل مائة سنة ١٧ ، وقبل خمسين سنة ٧ ، فيما انخفضت هذه النسبة الى ٤ قبل ربع قرن ، وغدت سلبية فى السنوات الأخيرة ، لأن الاحصاءات فى بعض الدول الأوروبية ،

تشير الى زيادة نسبة الوفيات على نسبة الولادات . وأشار ايضا الى انه عندما نترجم تلك المعطيات بالمقارنة مع عدد اليهود فى العالم ، فان النتيجة ستكون «مذهلة» ، إذ ان عدد اليهود فى العالم اليوم لا يزيد على تسعة ملايين ونصف المليون نسمة ، فاذا اضفنا اليهم يهود اسرائيل ، فان العدد لا يتجاوز اثنى عشر مليونا ونصف المليون نسمة . وطبقا لتوقعات هيرتسوج ، فان عدد يهود العالم باستثناء اسرائيل ، سينخفض إذا استمر التراجع الحالى فى حركة التكاثر الطبيعى من تسعة ملايين ونصف المليون الى حوالى ثمانية ملايين مع نهاية القرن الحالى ، والى خمسة ملايين ونصف المليون فى الربع الاول من القرن الحادى والعشرين . ومع ان هيرتسوج يتوقع ان يصل عدد اليهود فى اسرائيل بعد عشرين سنة ، الى أربعة ملايين ونصف المليون يهودى ، والى ستة ملايين ونصف المليون فى الربع الأول من القرن القادم ، بيد انه يعرب عن قلق عميق إزاء نسبة التكاثر الطبيعى العالية بين الفلسطينيين خاصة

والامة العربية بوجه عام ، ويدلل على ذلك بالاشارة الى ان التكاثر الطبيعى لدى الفلسطينيين حتى عام ١٩٧٧ ، كان اكثر من مثيله لدى اليهود بضعفين ونصف .

ومجمل القول هنا ان هيرتسوج لا يخفى خشيته وقلقه البالغ إزاء تزايد عدد الفلسطينيين المضطرد سنة بعد اخرى ، فى مقابل تناقص عدد اليهود ، لأن هيرتسوج يدرك ان عدد السكان له دور حاسم فى نهاية المطاف بالنسبة للصراع العربى - الصهيونى . وقد حذر رئيس المؤتمر اليهودى العالمى السابق ناحوم **جولدمان** من هذا الواقع ، ورأى فى «عقدة» التفوق العددى المطلق للعرب فى مقابل اقلية يهودية فى الكيان الصهيونى ، وضعا لا يمكن زحزحته وجعله ينقلب لصالح اسرائيل ، اضافة الى ان التفوق النوعى لاسرائيل لن يستمر طويلا ، وعندما يبدا العرب فى منافسة اسرائيل فى هذا المضمار فان تصفية الكيان الصهيونى ، تصبح مسالة وقت ، وتحصيل حاصل .

وهذه النتيجة التى وصل اليها **جولدمان** هى فى الواقع ما وصلت اليه سيئة الذكر ، جولدا مئير عندما قالت : «إن كل طفل فلسطينى يولد ، يشكل هاجسا بالنسبة الي» . ويبدو واضحا ان حاييم هيرتسوج يعانى هو ايضا من هذا الهاجس الفلسطينى والعربى الذى هو التكاثر الطبيعى ، كما يبدو واضحا من الصورة المرعبة التى طرحها هيرتسوج عن تناقص عدد اليهود ، وارتفاع عدد الفلسطينيين فى مقابل ذلك ، انه يشارك جولدمان فى تاكيده على استحالة مواجهة اسرائيل ، للعرب فى هذا المجال .

هيرتسوج رجل الاستخبارات

كان العمل الاستخبارى ابرز مجال حاز على اهتمام حاييم هيرتسوج ، ولهذا نراه يبدا حياته بصورة عملية بالعمل الاستخبارى ضمن الجيش البريطانى وقوات الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية ، حيث عمل ضمن وحدة المخابرات البريطانية الخاصة التى لاحقت زعماء اليهودية فى عام ١٩٤٧ ، قبل الاعلان عن قيام اسرائيل ، وبعد الاعلان عُيِّنَ اول رئيس لجهاز الاستخبارات العسكرية فى الجيش الاسرائيلى ، حيث قضى نحو عامين فى هذا المنصب ، وعاد الى رئاسة نفس جهاز الاستخبارات فى عام ١٩٥٩ ، حيث بقى على راس الجهاز زهاء ثلاث سنوات .

وفى الواقع فان هيرتسوج بنى القسط الأكبر من شهرته و «مجده» الشخصى على نشاطه الاستخباراتى ، ليس لانه رجل محب للظهور كما يصفه كثير من عارفيه فحسب ، وإنما لانه يقيم لهذا النشاط الوزن الأكبر فى «نجاح» اسرائيل فى حروبها مع العرب ، وفى اتقاء ضربة عربية قاضية .

ولذلك نرى هيرتسوج يحدد فهمه للعمل الاستخباراتى ولرئاسة جهاز الاستخبارات العسكرية على النحو التالى : «إن قضية الاستخبارات العسكرية ، هى احدى المهام الهامة جدا ، ولولا وجود جهاز استخبارات ممتاز ، لما كان بامكان اسرائيل قصف المفاعل الذرى العراقى وتدمير الصواريخ السورية فى البقاع .

اما بالنسبة لرئيس جهاز الاستخبارات العسكرية ، فانه يشعر دوما بانه مسئول عن خط الدفاع الاول فى الدولة ، التى هى معرضة دائما للخطر ، لهذا فان عليه واجبا يوميا ، بل واكثر من يومى ، انه واجب فى كل ساعة ، ولأن كل ما يفعله يتحمل مسئوليته ، فاننى اشك فى أن رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية يستطيع ان ينام ملء جفونه ولو ليلة واحدة . وفى هذا المنصب نكران للجميل فقد ينجح رئيس الجهاز فى ٩٩ بالمائة من عمله ، بينما يقضى فشله فى عمل واحد على كل هذا النجاح ، ففى مثل هذا الجهاز تشكل نسبة واحد بالمائة من الفشل امرا خطيرا جدا ، كما حدث فى حرب يوم الغفران ، حيث ينسى (المسئولون ...) الـ ٩٩ بالمائة من النجاحات التى حققت» .

وبالرغم من المبالغة فى الاطناب بدور جهاز الاستخبارات العسكرية ، فان هيرتسوج يعترف مع ذلك بان الجهاز اخطا اكثر من مرة ، وانه كانت هناك «اخطاء صعبة ، كما كانت هناك اخطاء اقل صعوبة» ، لكنه يعزو هذه الاخطاء غالبا ، الى أن الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة كان لديها ميل كبير جدا «للاعتماد على تقييمات جهاز الاستخبارات العسكرية ، دون القيام بتقييم منفصل لها» ، وكانت حرب عام ١٩٧٣ ، شاهدا على هذا الخلل ، الذى «بدا إصلاحه» بعد ذلك .

ومن خلال هذا الفهم لدور العمل الاستخبارى فى مسيرة الكيان الصهيونى ، فان هيرتسوج يلقى على جهاز الاستخبارات العسكرية جميع المهمات الصعبة والشائكة التى تواجهها اسرائيل فى الحاضر والمستقبل ، لان هذا الجهاز هو الذى يضع قرارات الحكومة الاسرائيلية عمليا عبر تقييماته ، التى تعتمد من قبل الحكومة دون مناقشة .

هيرتسوج .. الرئيس !!

على الرغم من ان منصب رئيس الكيان الصهيونى - «رئيس الدولة» - هو منصب فخرى ، يحاول الاسرائيليون من خلاله فرض وقار العلم والثقافة والادب على كيانهم المصطنع ، حيث حددت القوانين الاسرائيلية «وظيفة» الرئيس فى القيام باعمال بروتوكولية والانصراف الى النشاط الثقافى والادبى والعلمى ، فانه من الصعب ان يحصر هيرتسوج نفسه عمليا ضمن هذا الاطار الشكلى والمسرحى من المسئولية ، خاصة وانه شغل منصب رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية مرتين ، وقضى فى العمل بهذا الميدان القسط الاهم من حياته، واذا أخذنا بتصريحاته التى ادلى بها عقب انتخابه رئيسا ، وقال فيها انه سيعمل على مواجهة الفروقات الاجتماعية القائمة بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين ، ويخفف من حدة النزاع القائم بين الفئات المتدينة وغير المتدينة ، فان الرجل - الذى قضى سحابة عمره فى صفوف حزب العمل (حزب اليهود الغربيين) ، لا يمكن فى راينا ان يتنازل عن العمل لصالح حزبه وافكاره التى شغلته حوالى ستين عاما او اكثر ، ويقبل بالانزواء فى قصر صغير لا يمارس فيه سوى العمل البروتوكولى المحض ، وفى راينا ايضا ان فترة رئاسة هيرتسوج للسنوات الاربع القادمة سوف تشهد احتداما فى الصراع الحزبى والطائفى فى الكيان الصهيونى .

عصام شريح



بقلم: زكريا تامر



كانوا صقورا

يقال إن الصقر هو العاشق الاصيل للحرية ، والذي تتجسد فيه الانفة والكبرياء والشموخ ، فلا ياكل الا ما تصيده مخالبه . ولا يدنو من جيفة مهما تضور جوعا ، ولكنه ما إن يقتنصه الانسان حتى يتبدل ، فيتحول بعد أشهر من الترويض إلى مخلوق ذليل مستكين ، ينفذ اوامر سيده ، متجاهلا شوق اجنحته الى الانطلاق بعيدا عن اي قيد .

وكثيرون من الكتاب العرب يشبهون الصقور ، اذ كانوا فى بداية حياتهم الأدبية مفعمين بالحماسة لكل ما هو نبيل ورائع وجميل فى الكون ، تواقين الى حياة تسودها قيم تدرا الظلم عن البشر ، وتعيد إليهم حريتهم وفرحهم . ولكنهم بعد أعوام من الصدام مع الواقع ، انطفأت نارهم ، واتضحت حقيقتها ، فاذا هى نار اعواد ثقاب ، وليست نيران البراكين التى ستجتاح أنقاض العالم القديم المرفوض ، واذا هم جوارب عتيقة ، وليسوا أشجار السنديان القادرة على مواجهة أشد العواصف ضراوة ، فتساقطوا مهزومين ، تاركين راياتهم للوحل ، وباعوا سيوفهم وجيادهم ووردهم الأبيض ، وأمست اقلامهم لا تتقن سوى تنظيف الاحذية ، ولم تعد من الاقلام الحالمة بان تبني للانسان مدنا جديدة سعيدة ، واصبح كل ما يبغون الفوز به لا يتعدى المغنم الشخصي المادى ، فاستخدموا النفاق والكذب والرياء والخنوع والتملق أسلحة تمكنهم من الظفر بماربهم ، متاهبين دائما لتقديم الخدمات لكل من كان قادرا على دفع الثمن .

لقد تخلوا عن البيت الذى ولدوا فيه ، وتحولوا إلى حيوان مفترس ، محاولين تلطيخ كل اديب بالوحل حتى يصير شبيها بهم ، معلنين الحرب على الاصالة والموهبة والامكانات الحقيقية ، فكل اديب مازال يقاتل ، هو مراة يشاهدون فيها وجوههم المشوهة ، ولذا فهم يسعون لتحطيم تلك المراة حتى يصبح الشرخ فى المراة لا فى حياتهم .

ولكن وجودهم ليس ابديا لكونه مرتبطا بالتخلف السائد حاليا ، وهو تخلف لن يستمر حيا ، ولابد من ان الجياد الاصيلة ستطاهم يوما بسنابكها ، وتقذف بهم الى اكثر القبور ظلمة .

المثقفون الطبول

يتصف الوطن العربى بصفات كثيرة ، منها ان هناك اناسا مازالوا يعيشون فوق ارضه ، زاعمين بتجهم ووقار انهم المثقفون القائلون القول الفيصل ، ولا شىء ينال اعجابهم سوى ما يصدر عن اشخاصهم ، فاذا كتب كاتب ما نقدا صارما مرا لواقع فاسد ، فنقده فى رايهم تنفيس لنقمة الجماهير ، اما اذا كتبوا هم عن تربية الخنازير ، فما كتبوه هو الصوت الحقيقى للشعب والمعالجة البناءة لمشكلاته .

واذا امتدح شخص حديقة خضراء ، فهذا المديح تملق رخيص ، اما اذا اقدموا هم على تقبيل الأقدام ، فسلوكهم مجرد تكتيك مرحلى يخدم استراتيجية بعيدة المدى وخطيرة الشان .

واذا مات مواطن جوعا ، فموته تعبير عن هروب وتجاهل للتطور الحتمي لتاريخ الشعوب ونقص فى الوعى الصحى والايديولوجي ، اما اذا مس رؤوسهم طيف صداع ، فالامبريالية هى المتامرة والسبب الأوحد .

واذا دخن مواطن سيجارة اجنبية الصنع ، ففعله تفسخ ودعم لعالم الاستغلال .

اما اذا قاموا هم بجولة فى ملاهي اوربا تستمر اشهرا ، فان جولتهم تلك تصبح لا هدف لها الا الاطلاع على تحلل العالم الراسمالي وانهياره .

ان التخلف له نفوذه وقيمه وعاداته وتقاليده ، وله ايضا ممثلوه فى شتى مجالات الحياة اليومية ، كما ان التقدم له ايضا قيمه وسيطرته ، وله ممثلوه الصادقون والمزيفون ، وهؤلاء المثقفون المزعومون ليسوا إلا ممثلين متخلفين للتقدم ، ودورهم فى الحياة اليومية اكثر خطرا من المدافعين عن التخلف بالمخالب والانياب ، فمن المؤكد ان المتخلف المعتد بتخلفه أقل خطرا على قضية التقدم من متخلفين يختبئون تحت رايات التقدم ، مستمدين منها الحماية والحصانة ، فمتى تطرد تلك الرايات النائمين تحت ظلالها ، والذين لا يستيقظون الا فى اوقات توزيع الاسلاب ؟

الطوفان نائم أم مهمل؟

أي اجنبي يزور البلاد العربية بوصفه سائحا لا محتلا ، سيلاحظ ان ميزان العدل منصوب ، ولكنه لن يتمكن من التنبه إلى امر مهم طريف ، وهو التالي :

من يسرق مكنسة ، يعتقل ويستجوب ويحاكم ويسجن ، اما من يسرق قصة او قصيدة او دراسة نقدية ، وينشرها بعد تعديل طفيف او غير طفيف على انها من تاليفه ، فلا يطارد ولا يعتقل ولا يستجوب ولا يحاكم ولا يسجن ، بل يسارع بعض محررى الصفحات الادبية فى الجرائد والمجلات إلى تمجيده والثناء على مواهبه كانه نال جـــائزة نوبـــل للادب مرتين .

وما دامت المكنسة تجد من يدافع عنها ويحميها من اللصوص ، ومادام الادب لا يجد اى حماية ، فهل الادب اقل اهمية من المكنسة ؟

ولابد من المسارعة إلى التنويه بان هذا السؤال يخلو من التعريض بالمكنســـة ، ولا يحاول التقليل من مكانتها ، فالمكنسة لها دور بناء فى تطوير الحياة الادبية ، ولكنها تهمل القيام بدورها التاريخى بحجة ان الادعياء باتوا اغلبية وتاديبهم من مهمات الناقد المسمى بالطوفان .

ناطحو صخرة

من المعتقدات الشعبية الشائعة ان الحمار إذا وقع يوما فى حفرة ما ، فهو فى المرة الثانية سيتنبه إلى تلك الحفرة ، ويتجنبها ، ويحاذر الوقوع فيها ، ولذا فان الحياة الادبية العربية ستصبح أكثر اصالة وقوة وصحة ونظافة إذا قلد بعض ادبائها الحمار واتخذوا منه قدوة ، خاصة الأدباء الذين يزعمون انهم ينتجون ادبا متقيدا بالنظريات السياسية ، فهم منذ الخمسينات وحتى اليوم لم يحصدوا فى المجال الادبى سوى الاخفاق تلو الاخفاق ، وظل ادبهم مجرد جعجعة لها قراؤها الاميون فنيا وفكريا ، فالقصة مقال ، والقصيدة تعليق سياسي حماسي سطحي والمسرحية حوار سمج يتناول مسائل فكرية جامدة ، وينتهى بمقدم الفجر وصياح الديكة .

ولم يدرك هؤلاء الادباء حقيقة بالغة الخطورة وساطعة كشمس افريقية ، وهى ان الكتابة الرديئة فنيا إساءة كبرى الى الأفكار التى تتناولها ، فالتزام اديب مـــا بافكار معينة تمنح نتاجه قيمة اجتماعية ، اما القيمة الفنية فلا يمكن الحصول عليها الا عن طريق الموهبة والاصالة ، والاثر الادبى الذى لا يشتمل على قيمة فنية هو مجرد كلمات جوفاء تحيا اعواما بفضل الدعاية :

وهكذا فان النظريات السياسية اذا كانت تحارب فى الميادين الادبيـــــة ، فالناطقون باسمها هم الذين يحاربونها الحرب الحقيقة التى تشوه ، وتجعـــل القارئ الواعي يشهر سكينا لحظة يلمح اديبا يدعى انه المناضل من اجـــل عـالـم افضل .

ومن المستحسن التذكير بان الغراب اذا ظل مدة سنوات تلميذا فى مدرسة البلابل ، فانه حينما يفتح فمه لن يستطيع إلا ان ينعق فقط ، وسيظل مضطرا الى البحث عن معجبين بين الغربان .

وإذا كان عدد الغربان فى الاونة الأخيرة قد ازداد ، فهذا ليس بالدليل على انها من الفئة المغردة .

الحمار الذكي

فكر الحمار طويلا ، باحثا عن مهنـــة ما مناسبة لمواهبه وامكاناته ، ثم قرر ان يصبح مغنيا ، فاستنكر كثيرون اختياره ، واتهموه بالحمق والغباوة ، فقال لهم الحمار : « إذا لم اتصف بالحمق والغباوة فلن اكون حمارا ، فلماذا الاستنكار ؟ » .

ومن المؤكد ان جواب الحمار لا يعوزه الذكاء ، وجدير بالاعجاب .

النجاة في الكذب

الكتاب المؤمنون بالصدق وحده ، والذين فرض عليهم قدر غريب الاطوار ان يكتبوا باستمرار فى الجرائد ، يجدون انفسهم فى معظم الاحيان فريسة للهلع ذاته الذي يحس به من تعصب عيناه وينتظر سماع الامر باطلاق النار ، اما اذا دفنوا رؤوسهم فى الرمال ، وتجاهلوا القاتل والقتيل ، وقرروا الا يكتبوا إلا عن الفن والفنانين والفنانات ، فان المتاعب والاخطار تظل تطاردهم ايضا ، فاذا قالوا إن سعاد حسنى فى بعض افلامها جميلة شبيهة بشجرة خضراء فى شتاء قاس فان نجلاء فتحى تلطم الخدود ، وترسل برقيات الاحتجاج إلى مجلس الأمن الدولي .

واذا قالوا ان فاتن حمامة ممثلة بارعة ، فان ماجدة ترغي وتزبد ، وتعلن بمختلف اللغات عن مناقصة عالمية لاســـتئجار « ناقد محترف » .

واذا قالوا ان فهد بلان ملاكم ومصارع يغنى ، فهم العملاء الذين تبرهن الادلة على انهم قبضوا الرشاوى من بتهوفن وفاجنر وشركة لوكهيد .

واذا قالوا ان ماري منيب اكثر حياة من الكلام الذى يحكي عن وجود فن أصيل ، فان المرحومـــة ماري تغضب وتعتبر المقارنة إهانة لا يمحوها إلا الدم وحده .

ولذا فلعل الكتابة الوحيدة الكفيلة بان تتيح لكاتبها ان ينام قرير العين هى الكتابة التالية : « هذا وذاك واولئك وهاته وهاتان وهؤلاء وهاتيك وهنـــا وهناك وهنالك والذى واللواتى والتى ومهما ومتى واين وكيف واينما وكيفما ولكى وحتى وحيثما واوشك .. » .

ولكن حتى هذه الكتابة قد لا تنجو من منجم يتبرع بتفسيرها الذى يجعل شعر الراس يتحول إلى غابة شوك ، واسباب هذا التحول قد تكون غامضة قليلا ، ولكن غريزة حب البقاء تحتم الا يتناولها اي توضيح .

مسافر على الرصيف



.. وهكذا كان نعمان!

بقلم: محمود السعدني

لم يكن عمرى يتجاوز الثالثة عشر عندما رأيت نعمان عاشور لأول مرة . فقد كنت زميل دراسة لشقيقه الصغير . وكان يبدو على اسرته انها على شىء من اليسر ! لم يكونوا اثرياء ولم يكونوا فقراء ، ولكنهم كانوا «ناس طيبين» بالتعبير المصرى الفلاحى . ثم اعتدت رؤية نعمان بعد ذلك وهو جالس فى ندوة انور المعداوى على قهوة عبد الله ، فقد كان عضواً اصيلا فى الندوة ، بينما كنت اجلس مع شلتى بعيداً عنها ، فلم يكن السن يسمح بعد بالاقتراب من مجلس الاساتذة الكبار ! ولكن عندما حدث اللقاء بينى وبين الندوة عن طريق العم زكريا الحجاوى ، اكتشفت ان نعمان عاشور هو اقرب اعضاء الندوة الى العبد لله ، فقد كان فى منتصف الطريق بينى وبين زكريا الحجـــاوى وعبد القادر القط والشيخ قطامش . وكانت تعليقاته حارة وساخرة ، ولكنه كان يتلفت حوله فى حركة غير ارادية كلما صدر عنه تعليق من هذا النوع . ثم ادركت السر عندما علمت انه كان ضمن المعتقلين الذين ساقهم اسماعيل صدقى باشا الى السجن ، وكان نعمان ضمن الذين افرج عنهم رهن المحاكمة ! وبالرغم من استقراره النسبى فى وظيفة حكومية محترمة إلا انه كان دائم القلق . وربما كان خوفه الدائم من الحكومة هو الذى دفعه الى العمل كسكرتير صحفى للدكتور زهير جرانة وزير الشئون الاجتماعية فى عهد فاروق ! ومن المؤكد ان قيام ثورة جمال عبد الناصر قد خففت من قلقه ، وكان فى اسعد ايامه عندما جاء الى وزارة الشئون الاجتماعية رجل فاضل من ريف مصر ، تثقف فى جامعات اوروبا وامريكا ، وانبهر بنظم الحياة ، وعاش على امل ان يسود مصر مناخ مثل هذا المناخ الذى عاش فيه يوما ما فى الغرب . كان الدكتور عباس عمار هو الذى بث الطمانينة فى قلب نعمان عاشور . ومن المؤكد ان نعمان بدا يمارس الكتابة للمسرح فى تلك الايام المبكرة من ثورة جمال عبد الناصر . وعندما كتب «وابور الطحين» لم تحدث الأثر الذى كان يرجوه . كانت اول تجربة . ولذلك جاءت باهتة ، ليصدق عليه المثل المصرى «المليح يبطىء» ومعناه ان الحصان الجيد لا يتقدم فى أول الشوط ! ولم يراوده الياس بعد الشحوب الذى لازم تجربته الأولى ، فكتب «الناس اللى تحت» . وكانت هذه المسرحية هى شهادة ميلاد أب المسرح المصرى الحديث . كان المسرح قبل نعمان عاشور روايات شعرية على طريقة روايات المدارس الثانوية للشاعر عزيز اباظة الذى كان يتولى لمدة طويلة من الزمان وظيفة مدير مديرية اسيوط ، وهى وظيفة بوليسية لان الأمن العام كان اهم المسئوليات المنوطة بالمدير ! وكانت مسرحيات توفيق الحكيم لونا من الترف الثقافى تصلح للقراءة ولا تصلح للتمثيل .



نعمان عاشور

والى جانب هذه المسرحيات كانت هناك مسرحيات الريحانى وعلي الكسار . وهى كلها مسرحيات فرنسية ممصرة ، ولكنها ابدا لم تتناول مشاكل مصر الحقيقية ، ولم تتعرض لهموم المصريين من قريب او بعيد ! لم يكن قبل نعمان عاشور إلا مسرحيات يوسف وهبى ، وهى مسرحيات خطابية اغلبها ، وإن كان بعضها قد تعرض لمشاكل مصرية حقيقية ، غير ان الفنان يوسف وهبى كان من المؤمنين بشعار «خف تعوم» ولذلك لم يحاول الغوص فى الأعماق قط ! كانت مسرحية «الناس اللى تحت» هى اول مسرحية مصرية حقيقية تعرض على المسرح المصرى وكان حوارها الموحى الذكى هو اول حوار ينطق بلسان الناس العاديين ، البواب والكمسارى وصاحبة البيت والنصاب ورجائى الثرى الذى تدحرجت به الاحوال الى السرداب ، واحدثت المسرحية زلزالا فى عموم مصر ، وكانت هى السبب المباشر الذى فتح الطريق امام مواهب كثيرة اقتحمت المسرح المصرى بعد نعمان : الفريد فرج ، وسعد وهبه ، ويوسف إدريس ، وعلي سالم ، ومحمود دياب . ولكن ما كاد نعمان يستقر ويشمر عن ساعده استعدادا للكتابة ، حتى حدث ما لخبط كيانه من جديد وافقده التوازن ! لقد اختفى الدكتور عباس عمار وجاء الصاغ كمال الدين حسين الى الوزارة ومعه طاقم من ضباط المخابرات احتلوا مكتب نعمـــان عاشـور وراحوا يصدرون الاوامر . وكان نعمان مستعدا فى كل لحظة الى التنازل عن مقعده خلف المكتب لأى واحد من هؤلاء حتى «سيادة الصول» الذى لم يكن يؤدى عملا معينا فى الوزارة !

وعندما غاب كمال الدين حسين وانتقل الى وزارة التربية والتعليم حل محله البكباشى حسين الشافعى . وجاء حسين




إسماعيل صدقى






عزيز اباظة

نجيب الريحانى

يوسف وهبى

على سالم

الشافعى ومن خلفه مجموعة من صغار الضباط الذين خدموا معه فى المعسكرات . واحتل هؤلاء مكاتب وزارة الشئون ، وكان مكتب نعمان عاشور فى مقدمة المكاتب التى احتلت ، وانزوى نعمان يجلس احيانا فى مكتبه ولكن فى المكان المخصص لجلوس الضيوف-وعاوده الشعور بالقلق والخوف من المستقبل . وفى تلك الأيام عكف على كتابة «الناس اللي فوق» وجاءت صورتها فى النهاية مهزوزة كحالة نعمان سواء بسواء ! ولكن حظ نعمان الحسن أوقعه فى طريق زميلين من كبار الموظفين ، كانا السبب المباشر فى تهدئة روح نعمان القلقة . سعيد قدرى الذى كان مديرا للعلاقات العامة بالوزارة ، ومدحت حمدى الذى كان سكرتيرا خاصا للوزير . وكان سعيد قدرى واحدا من الموظفين الذين اشتركوا فى تاسيس وزارة الشئون الاجتماعية . وكان بفكره ومعتقداته تلميذا مخلصا لحزب الفلاح الذى ضم نخبة من المثقفين الذين تناقضوا مع العهد قبل الثورة. وهو الحزب الذى تعاون مع الثورة فى بداية عهدها ، ومثله فى الحكم الدكتور احمد حسين ، والدكتور عباس عمار ، والدكتور فؤاد جلال . وكان رجال هذا الحزب قد تلقوا تعليمهم فى امريكا وتاثروا باسلوب الحياة هناك . وكلنوا يحلمون بمجتمع عصرى وسلوك حضارى . ولذلك كانوا يذهبون الى مكاتبهم بالقميص والبنطلون . وبعضهم كان يرتدى القبعة لحماية راسه من الشمس الحارقة . وكان سعيد قدرى يتعامل مع موظفيه كانهم مجموعة من الاصدقاء . وبالطبع وجد سعيد قدرى فى نعمان عاشور ما هو اكثر من الصديق . فقد كان نعمان هو الفنان الوحيد الذى يعمل بالوزارة ، وهو المثقف الوحيد أيضا الذى يهتم بما هو اوسع من قوانين العمل وخطوات تطبيق الضمان الاجتماعى ! وكان مدحت حمدى من جيل نعمان ، وكان من اسرة تشبه اسرة نعمان ، الفرق الوحيد ان نعمان كان ينحدر من اصول ريفية بينما مدحت كان من اسرة عاشت فى المدينة وشغل افرادها المناصب العليا فى الادارة والشرطة وقيادة الجيش . وبقدر ما كان نعمان قلقا كان مدحت حمدى واثقا من نفسه ، وبقدر ما كان نعمان مترددا كان مدحت مقداما . وكان يتعامل مع الوزراء الذين عمل معهم من موقع الند . وكان لا يخفى رايه فى احرج المواقف واشدها حساسية ؛ يردد رايه فى اسلوب العمل وينتقد ممارسات الثورة امام ضباطها . وكان لهذه الصحبة اثرها فى نفس نعمان ، ولعل هذا الشعور الجديد بالاطمئنان هو الذى انتج فى النهاية اعظم روائع نعمان عاشور وهى مسرحية «عيلة الدوغرى» ! ولقد خسر نعمان عاشور كثيرا حين ترك مجال الوظيفة واتجه الى غابة الصحافة . خصوصا وان نعمان ليس صحفيا ولكنه فنان واديب ومفكر . كما ان اى كاتب صحفى تمرس على هذا العمل واعتاده كان باستطاعته ان يخطف انتباه القراء من نعمان عاشور . ولذلك اصبح نعمان هو القلق بعينه بعد ان كان يعانى القلق فحسب !

وضاع نعمان عاشور فى خضم التيارات المتضاربة ، ولم يرحمه هؤلاء الذين كانوا يكافحون ضد السلطة ويمنون على الناس كفاحهم ويعيرونهم احيانا . ولم يرحمه ايضا هؤلاء الذين كانوا يؤمنون بان السلطة هى روح الشعب ، وان الشرف الحقيقى يكمن فى الوقوف معها ومطاردة اعدائها . واخيرا وجد نعمان نفسه فى الشارع مفصولا مع عشرات غيره من الصحفيين ، ولم ينقذه من هذه الورطة إلا مصطفى امين ، فقد كان يقدر مواهبه ويعتقد انه الطبعة العصرية والشعبية من توفيق الحكيم !

واشتغل نعمان عاشور كاتبا فى اخبار اليوم ولايزال . وكان هو الوحيد الذى اشتغل بالكتابة من افراد الدفعة التى فصلت فى العام ١٩٦٥ . ولكنه عاد الى شرنقته القديمة محتميا بحذره وقلقه وتطيره الشديد . وكتب مسرحيات كثيرة بعضها صادف نجاحا ، والبعض الآخر لم يلمع ، ولكنه بكل المقاييس والمواصفات عراب المسرح المصرى الحديث ، وبالتالى فهو عراب المسرح العربى الحديث كله . وهو رائد النهضة المسرحية الحديثة التى انفجرت كالقنبلة فى الستينات من هذا القرن ولايزال صداها يتردد عبر السنين . و «رجائى بك» فى «الناس اللي تحت» و «الطواف» فى «عيلة الدوغرى» سيخلدان فى تاريخ مسرحنا طالما هناك مسرح ورواد وعاشقون ! وليس هناك احد ممن تبعوه ومضوا على طريقه استطاع ان ينافسه او يقترب من قمته . ولو كان لنعمان عاشور جسارة يوسف ادريس ، واعصاب سعد وهبة لصار للعرب نجم لامع وعلى قدم المساواة مع إبسن ! ولقد استطاع نعمان عاشور بفضل حذره الشديد ان ينجو من المعتقلات والسجون ، فى الوقت الذى ضمت فيه هذه السجون كل ادباء مصر تقريبا ما عدا قلة قليلة . إلا انه استطاع بالرغم من كل شيء ان يكتب مسرحيات لامعة ، وتعرض لمشاكل اجتماعية شائكة . ولكن نعمان غاب فى العصر الساداتى فلم يكتب شيئا ذا قيمة حقيقية . فقد اغلق مسرح الدولة ابوابه فى وجهه ، وعندما اتجه الى المسرح الخاص لم يستطع ان يثبت اقدامه عليه ، فقد كان الانهيار قد شمل كل شيء فى البلاد ، وحط

..وهكذا كان نعمان!







سعد الدين وهبه — صلاح عبد الصبور — محمود دياب

الخراب على كل مجالات الفنون وخصوصا مجال المسرح . واكتفى نعمان فى النهاية بتدوين مذكراته او ذكرياته .

ونعمان هو افقر الادباء المصريين «الكبار» فكلهم والحمد لله يرفلون فى العز . وبعضهم يملك الضياع والقصور . ولكن نعمان خرج من الدنيا بفيلا على حافة الصحراء الشرقية فى ضاحية المعادى ، ويعيش وحيدا تقريبا بعد أن رحلت السيدة زوجته منذ اعوام عن دنيانا . والسبب أنّ نعمان لم تسمح له ظروف «كتابته» بالاسترزاق الواسع . فهو كتب للمسرح اعظم انتاجه عندما كانت اعظم مسرحية تباع بخمسمائة جنيه . وكتب بعض انتاجه للاذاعة عندما كانت المسلسلة الشهرية يدفع عنها ثلثمائة جنيه ! وهو اهتم فى بداية حياته بكتابة فصول عن تاريخ مصر، وهو لا يخفى إعجابه بالمعلم الاكبر عبد الرحمن الجبرتى الذى كتب تاريخ مصر فى يوميـــات قصيرة اشبه بالمسرحيـــات . ثم حاول كتابة القصة القصيرة ولكنه لم يوفق فيها ، وان كان من خلالها قد اثبت مقدرته الفذة على رسم الشخصيات . كما ان حوار الشخصيات فى قصصه القصيرة كان حوارا مسرحيا بلاشك . ولعل اشهر اصدقائه هو العم «ابوعبادة» وكان صعيديا يبيع القازوزة على مقربة من منزل نعمان فى صباه . وكان «ابو عباده» يتمتع بمواصفات جسدية تؤهله لبطولة العالم فى الملاكمة ، ولكنه كان غبيا الى الحد الذى لم يكن يستطيع الحصول على قوت يومه إلابصعوبة . وهذا التناقض الحاد فى شخصية «ابو عبادة» ، سيكون هو محور شخصيات نعمان عاشور ، كما ان «عبادة» مجنون قهوة عبد الله الهم نعمان بدون شك اشياء كثيرة . ولكن شخصية نعمان الحذرة المترددة المتوجسة من كل شىء منعته من ان يكون له صلات واسعة بالشارع المصرى كزكريا الحجاوى ، كما حالت بينه وبين عقد صلات قوية بالوسط الادبى كانور المعداوى ، واكتفى كتوفيق ـ الحكيم بالمشاهدة دون المشاركة ، وبالمراقبة دون الالتحام . ولكنه على عكس توفيق الحكيم لم يلجا الى برجه العاجى قط ، ولم يفقد وعيه لحظة ، بل كان يتامل من الشارع نفسه ، ويراقب وهو وسط الجماهير ، ويحلم واحدى عينيه مفتوحة والاخرى نصف مغلقة !! ولذلك حمل قضية الجماهير على كتفيه ، وحارب فى صفها ، ولم يكتب حرفا واحدا فى حياته ضد مصالحها .

وبالرغم مما قدمه نعمان عاشور للمسرح العربى بقدر ما تجاهله نقاد النظريات إياها التى روجت كثيرا لاعمال اقل شانا من اعمال نعمان عاشور ، والتى ذهب بعضها بعيدا فرفع ميخائيل رومان ــ وهو للعلم كاتب مصرى وليس كاتبا اجنبيا ــ درجات فوق نعمان عاشور ، وهو موقف غريب من هذه الاقلام سبق ان وقفت موقفا مشابها له حين توجت عبد الرحمن الشرقاوى اميرا للرواية العربية ، واغفلت ذكر نجيب محفوظ !! وفى المقابل تخصصت اقلام من نوع آخر فى مهاجمة نعمان عاشور ، وطاردته تلك الاقلام العفنة حتى فى الفترات التى اعتكف فيها نعمان ، وكف فيها عن الكتابة ! ولكن المؤكد انه سيذكر فى تاريخ مصر الجديدة انها انجبت نجيب محفوظ فى الرواية ويوسف ادريس فى القصة القصيرة ونعمان عاشور فى المسرح وصلاح عبد الصبور فى الشعر . وإذا كان سعد وهبة قد تحول الى منتج ، ويوسف ادريس الى كاتب مقالات سياسية ، ومحمود دياب الى راهب ، والفريد فرج إلى مهاجر بدون سـبب ، فان نعمـان عاشـور وحده هو الذى بقى فى المسرح وحده ، يعانى اللهب والوحدة والصراخ ، وهو الذى سقطت على راسه شظايا البيت المسرحى عندما نسفه المتامرون ، ومع ذلك ظل يصرخ بقدر ما اوتى من قوة ، غير ان صراخه كان خافتا ، وربما لم يكن مسموعا وسط ضجيج الانفجارات ! وللتاريخ اقول انه لم يقف مع نعمان ولم يثبت مكانه إلا على سالم ، وإن كان هو الآخر قد اضطر الى الهجرة بعض الوقت ، وعندما اشتدت الضربات ، وتم احكام الحصار حول اصحاب المواهب .

واذا كان لنا ان نضيف شيئا لامجاد نعمان فلابد ان نقرر مطمئنين انه كان صاحب الفضل الاول على بزوغ نجم فرقة المسرح الحر ، وهى التى كانت البـــداية الحقيقيـة للنهضة المسرحية التى بلغت ذروتها فى الخمسينيات . والتى انجبت فرقة الخميسى ، وهى الفرقة التى لفتت نظر السلطة الى خطورة المسرح ، فكانت فكرة انشاء مســارح التليفزيون ، التى بدات بشكل جيد وانتهت بكارثة حقيقية ، بسبب تدخل عدم الموهـوبين واشراف الجهلاء من « دكاترة » السلطة !

ولو كان فى مصر رغبة حقيقيــة الآن فى اعادة الروح الى المسرح المصرى ، فان مكان نعمان عاشور الطبيعى اليوم هو حجرة المدير فى المسرح القومى ، او حجرة رئيس مجلس الادارة فى مؤسسة المسرح . ولكن عيب الذين يظهرون الرغبة فى تجديد المسرح المصرى ، انهم يريدون التجديد ولكن فى اطار نفس الوجوه التى اغلقت المسرح وشردت ابناءه !

وعلى كل حال ، واذا كانت العبرة بالخواتيم ، فان خاتمة نعمان كانت على خير ما يرام . فهو قد ادى واجبه نحو امته ، وبذل كل ما لديه للمسرح ، وإن كانت ظروف استثنائية قد حرمت المسرح من كل ما لديه . وهو احد ابناء مصر العظام الذين اسهموا بجهد خلاق فى إثراء روح مصر العظيمة ، وهو واحد من بناة مصر الحديثة واثره فيها لا يقل عن اثر مختار فى النحت وحسن فتحى فى العمارة . وهو فى النهاية واحد من شلة ندوة قهوة عبد الله ، زميل انور المعداوى وزكريا الحجاوى والشيخ عبد الحميد قطامش . ولكنه وحده كان له الفضل فى الصعود على خشبة المسرح بالناس العاديين. صعد بهم وبمشاكلهم وباحلامهم وبالامهم ، ومنحهم الفرصة ليعرضوا مشاكلهم تحت الاضواء وبمصاحبة المؤثرات الصوتية والضوئية ، ولعل هذا هو السبب الذى جعله موضع اضطهاد من السادة أصحاب المصلحة فى كل العهود .

طوبى لنعمان عاشور .

محمود السعدنى

مراثي الشهداء

شعر: محمد الظاهر

(مهداة للشهيد وليد أحمد جبريل المناصرة ، الذى استشهد فى الجنوب اللبناني بتاريخ ٢٠ / ٣ / ١٩٨٢)

لوليـــدْ
لانفجارِ اللحظةِ البكرِ منَ الموتِ المحتَّمْ
للشـــهيدْ
للدَّمِ النازفِ من جرحِ المخيم
يورقُ الحرفُ
وينحازُ النشيدْ

●

كانَ تلميذاً على دربِ القضيَّةْ
يتهجَّى السَّطرَ من أوَّلِهِ
فَيَرى فيما يَرى
شارَةَ النصرِ على زندِ مقاتِلْ
وحديدِ البندقيَّةْ
وَيَرى
وطناً يخفقُ فى تِلْكَ الذُّرى
خارجاً من فورةِ الدَّمْ
على شكلِ هويَّةْ
كان مسكوناً بأوجاعِ الوطَنْ
وصُدَاعِ الأسئلةْ
كان يلوى عنقَ الوهْمِ
ويجتازُ التخُومَ المهْمَلَةْ
يسحبُ التاريخَ من أكفانِهِ
ويعرِّى الزيْفَ من عُنْوانِهِ
ويلاقى الشـــهداءْ
فى مداراتِ النضالِ المقبلةْ
كان فى الصمْتِ الذى يسكُنُهُ
موسمُ الخصبِ
وسرُّ الســنبلةْ
كان فى القلبِ الذى يحملُهُ
رقةُ الوعْـــدِ
وعنْفُ المرحَلةْ

كان إنساناً
بحجمِ القنبلةْ

●

أيها الطفل الذى حوَّلَنا
لحظةَ الموتِ زناداً وفتيلا
أيها الطفل الذى عبَّانا
لحظةَ الموتِ مرايا وَوصَايا
أيها الطفلُ الذى فجَّرنا
لحظةَ الموتِ ضحايا وشظايا
كنتَ تمضي فى ثنايانا
فتياً أو شهيداً أو قتيلا
شامخاً مثلَ الجيادِ الجامِحَةْ
حاملاً ألفَ بديلٍ وبديلْ
أيها الجرحُ النبيِّلْ
دَمُكَ الآنَ على كلِّ الدروبِ الجارحةْ
يتحدّى المستحيلْ

●

يا وليدْ
أنت من يحملُنَا
من قبورِ اليأسِ للحلمِ السَّعيدْ
فلتفجرِ صمتَنا
ولتشكِّلْ هيكَلَ الدَّمِ الجديدْ
خيْمَةً
أو خنْدقاً
أو وَطَناً

محمد الظاهر ـ عمان



بقلم: فتحي رضوان

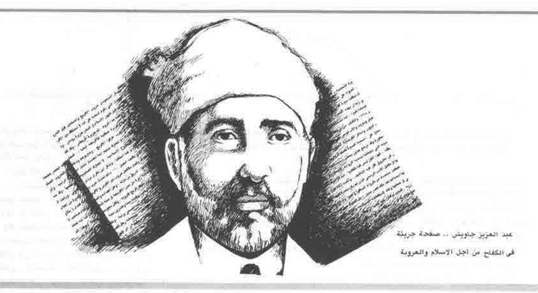
لم يخض أحد من أبطال وثوار مصر الحديثة ، من المعارك مثلما خاض الشيخ عبد العزيز جاويش ، وقلمه الذى كان من حدته ، وجراة صاحبه وشدة يقظته لما يصيب الحرية وحقوق الشعب ، من صنوف العدوان ولو كان خفيا غير ظاهر ، او كان شروعا غير كامل ، ان الب عليه الأعداء ، فجمعوا كيدهم ، ولاحقوه بالاتهام والمحاكمة ، وسلطوا عليه الاقلام والألسنة ، لتفت فى عضده ، وتثنيه عن العمل فى جريدته ، والبقاء فى حزبه ، ولكنه استمسك بعقيدته ، وصبر على الأذى ، وواصل منهجه فى منازلة اعداء الوطن واعداء حريته ، وكانما هو الفارس امتشق سيفه ، وقد احاط به المنازلون من كل جانب ، وهو فى وسط الدائرة ، يخز هذا فى جنبه ، ويطعن ذاك فى صدره ، وهو لا يهن ولا يضعف ، ولا يمل ولا يكل .

وقد كانت من اوائل معاركه ، واجدرها بالتسجيل ، معركة من اجل الدستور ، والمعروف أن الدستور كان احد المحورين الذى دار حولهما برنامج محمد فريد بعد مصطفى كامل ، وكان المحور الثانى هو الجلاء ، أى جلاء الجيوش البريطانية عن مصر .

وقد استثير غضب الشيخ جاويش ، لما صرح احمد شوقى امير الشعراء ، فى سبتمبر ١٩٠٨ بان الخديو لا يستطيع أن يمنح الدستور للبلاد الا بموافقة الانجليز وكان شوقى مقربا الى الخديو عباس ، فاخذ التصريح الذى أدلى به ، كأنه تصريح من الخديو نفسه ، وقد جاء فى أعقاب هذا التصريح ، تصريح آخر ادلى به فى السنة نفسها السير إلدون جورست المعتمد البريطانى الذى خلف اللورد كرومر ، قال فيه ، إن بريطانيا لن تمنح مصر دستورا ، وانه لا يغير من موقف بريطانيا ان يكون السلطان عبد الحميد سلطان تركيا قد منح بلاده دستورا ، إذ لا تاثير لما يجرى فى تركيا على مجريات الأمور فى مصر ، فانهال الشيخ جاويش على كل من شوقى والدون جورست لوما وتقريعا .

وحدث ان خطب اللورد كرومر فى بريطانيا بعد عزله من منصبه كمعتمد لبريطانيا لا حدود لسلطانه ، ولا معقب على أوامره طيلة ثلاثة عشر عاما ، فقال فى خطابه هذا ، ما يكاد يكون رجع الصدى لحديث خليفته من بعده ، وتلميذه الدون جورست ، فاكد ان منح سلطان تركيا للأتراك دستورا ، لا يعنى ان تتخذ بريطانيا من السلطان قدوة فتمنح المصريين دستورا وثنى بعد هذا القول ، بسب المصريين والتهجم عليهم ، فرماهم بانهم لا يهتمون بانتخاب أعضاء مجلس الشورى للقوانين ، ولا يحرصون على تعليم أولادهم ، وفات اللورد الذى كان يلعق جراحه بعد انزاله من عرشه ، اثر حادثة دنشواى ، ان المصريين اذا صح انهم لا يقبلون على صناديق انتخاب أعضاء مجلس الشورى ، فالسبب هو ضعف اختصاص ذلك المجلس وحرمانه حسب قانونه من محاسبة الحكومة ، محاسبة جدية ، وعدم السماح لهم بتقديم مشروعات قوانين ، ولا الاعتراض على القوانين المقترحة من الحكومة ، فهو مجلس تشريعى صورة بلا روح ، وأن عدم الاقبال على التعليم مرده ان الانجليز الغوا المجانية فى المدارس الابتدائية والثانوية ، وقد كانت مقررة فى عهد الخديو اسماعيل فى جميع درجات التعليم ، ولأن عدد المدارس كان من القلة بحيث كان ارسال أولاد الفقراء لتلقى العلم فى مدارس كانت بعواصم المحافظات فقط ، دون المراكز والقرى ، كان يكلف الفلاح الفقير فوق طاقته ، وقد واظب الحزب الوطنى على تقرير مجانية التعليم من جهة وعلى نشر التعليم فى جميع انحاء مصر ، وتقريبها من التلاميذ حتى لا يضطروا الى ترك أهليهم والاقامة بعيدين عنهم .

هنا خرج عبد العزيز جاويش ، وقد رأى فى هذه التصريحات الجارحة للشعب المصرى ، والمنكرة عليه راس الحقوق الوطنية ، وهو الدستور ، فانطلق كالسهم يهاجم خصومه بما عرف عنه فى مثل هذه المواقف ، من شدة فى القول ، وعنف فى النقد وتنديد صارخ باعداء الأمة ومواقفهم وكان الشعب لا يقرأ مقالاته ، ويعجب بها فقط ، وانما كان يحفظها ويرددها ، ويعدها



عبد العزيز جاويش .. صفحة جريئة
فى الكفاح من اجل الاسلام والعروبة

معركة يشارك فيها بالتاكيد ، ونشر فكرتها بين الناس فى المدارس والمعاهد والمزارع والمصانع ، بحيث امتلات جموع الشعب كله بروح الحزب الوطنى ، والايمان بمبادئه وكره الاحتلال البريطاني والسخط عليه ، ومال بعض اعضاء مجلس شورى القوانين الى ممالاة الانجليز فى هذه المعركة ، فشن عليهم جاويش حملة ضارية ، وندد بضعفهم ، فجاءت جريدة (الجريدة) لسان حال حزب الامة المعتدل ، الحريص على ود الاحتلال البريطانى ، والمعجب بما يسميه اصلاحات اللورد كرومر ، جاءت (الجريدة) لنجدة هؤلاء الاعضاء الضعفاء ، ودافعت عنهم ، متهمة الشيخ جاويش بالتهور والضعف ، فاصلاه جاويش نارا حامية ، وذكره بمواقفه غير الودية من مصطفى كامل اثناء حياته ، ومن تطاول عليه ، ثم ذكره بعجزه وسوء موقفه فى الدفاع عن فلاحى دنشواى الذين حاكمتهم المحكمة البريطانية المخصوصة سنة ١٩٠٦ ، وهو موقف اتسم بالضعف الشديد ، والتلطف للاحتلال والاعتذار عن هؤلاء الفلاحين المساكين ، الذين كانوا ضحايا ولم يكونوا قط مجرمين .

والحق ان الشيخ جاويش كان فى غير حاجة إلى ما يستثيره للدفاع عن الدستور والهجوم على المعتمد البريطانى ، وعلى الحكومة البريطانية ، اللذين ينكران على المصريين حقهم فى ان تحكمهم حكومة ينتخبونها ثم يحاسبونها ، فاذا لجت فى الخطا عزلوها ، اى حقهم فى دستور يبين واجبات الحكومة ، ويحدد سلطاتها ، ويعلن حقوق الشعب ، ويرسى قواعد سيادته . وفى هذه الاثناء ، صرح شاه إيران لوكالة رويتر فى ٢٤ نوفمبر ١٩٠٨ بان المتعلمين من افراد شعبه ، لا يرغبون فى مجلس نيابى ، وان علماء الدين فى إيران ، افتوا بان المجلس النيابى مخالف للشرع ، فتفجر غضب الشيخ جاويش فى مقال يندد فيه بتلك الفتوى .

• • •

كان اللورد كرومر إبان سلطاته فى مصر يرخى الحبل لصحف الحزب الوطنى ، اكبر الاحزاب آنذاك ، وحامل لواء المعارضة فى مصر ، لا إيمانا منه بحرية الراى ، ولا صبرا على النقد ، ولكن استهانة بما يستطيعه « اللواء » وما تستطيعه خطب مصطفى كامل ، ولكن لم يكن كرومر ليحتمل وطاة الحزب الوطنى لو قدر له البقاء فى منصبه ، بعد حادثة دنشواى فى ١٣ يونيو ١٩٠٦ ، فقد ظهر للانجليز وللاجانب جميعا ان الحركة الوطنية المصرية ، اعمق مما تصوروا ، واقوى مما قدروا ، وانها لا تقتصر على تاييد الطبقة المتعلمة من طلاب المدارس العليا اولا ، ومن بعض صغار الموظفين ثانيا ، واصحاب المهن الحرة – وكانوا قليلين – من امثال المحامين والاطباء ثالثا ، وراوا انها تعبير عن شعور شامل غامر ، وانها تزداد مع الايام اتساعا وشمولا .

وقد كانت دعوى الاحتلال ، ان الفلاحين معه ، وانهم يذكرون له افضاله عليهم وان من بين تلك الافضال ، إبطال السخرة واستعمال (الكرباج) ، فلما وقعت حادثة دانشواى ، وثبت ان الذين تشاحنوا مع ضباط الاحتلال ، فلاحون من صميم فلاحى مصر الفقراء ، سقطت حجة الاحتلال ، ولم يعد يعرف كيف يلفق لنفسه دفاعا ، لذلك لم يكن هناك بد من ان يبدل قانون المطبوعات المحدد لنطاق الحرية المسموح بها للصحف ، فعدل ، واصدرت الحكومة قانونا جديدا فى ٢٨ مارس ١٩٠٩ ، واصبح بمقتضاه من حق الحكومة ان توقف الصحف إداريا ، اى بغير حكم يصدر من المحكمة ، بعد محاكمة علنية كاملة ، تلقى فيها المرافعات ، كما احيلت قضايا الصحف الخاصة بنقد الحكومة او إهانة المسئولين او المساس بهم ، إلى محكمة الجنايات لتفصل هذه المحاكم فى تلك القضايا على درجة واحدة فى حين ان تلك القضايا ذاتها ، كان يتم الفصل فيها على درجتين (ابتدائية واستئنائية) ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان من قضاة محكمة الجنايات اجانب بل وانجليزا يجلسون مع زملائهم المصريين ، ويؤثرون ، لما للاجنبى فى تلك الحين – بفضل الاحتلال – من هيبة .

وكانت الحكومة قد فقدت ثقتها فى القضاء الابتدائى والاستئنافى ، بعد ان برىء الشيخ عبد العزيز جاويش من تهمة إذاعة اسرار حربية فى قضية (المكافلين) التى سبقت إليها الاشارة ، لذلك كان على الشيخ جاويش ان يخوض معركة حرية الصحافة ، وقانون المطبوعات ، فخاضها كعادته ، صريحا حادا عنيفا جريئا ، وقد بدا الحملة بمقال نشر فى ٢٣ مارس ١٩٠٩ ودع فيها قلمه بقوله :

« ايها القلم » !

« لو كنت سيفا لاغمدتك فى صدر من

يحاربونك ، اوسهما لانفذتك إلى اعماق قلوبهم ولو كنت جواداً لوجدت لك فى ميادين النزال مجالا للكر والفر» .

« أيها القلم » !

« استلانوا عريكتك ، واستهانوا بقوتك ، وأمنوا جانبك ، فمدوا إليك يداً محرقة ما كان أولاها ان تقطع » .

وقد منحت معركة حرية الصحافة الوطنية زاداً جديداً ، فخرجت هذه الحركة من نطاق المقالة فى الجريدة والمجلة ، والخطبة فى النادى ، واصبحت عملا ضخما ، تقوم به الجماهير فى شوارع القاهرة وميادينها ، تتجمع له تلك الجماهير فى أعداد ضخمة ، ثم تتدفق باعلامها ، يتقدمها شباب يهتف بسقوط القانون الظالم ، وبسقوط الاحتلال الغاشم ، والحكومة المعتدية ، فيطل النساء والفتيات من النوافذ والشرفات ، ويتجمع اصـــحاب الحوانيت والمقاهى على الصفين ، ويصفقون ويرددون الهتافات ، ومنهم من تجرفه الحماسة فينخرط فى صفوف المتظاهرين ، فيبدو الشعب كله جبهة واحدة معترضة ومحتجة .

وقد عقدت تلك الجموع اجتماعها فى حديقة الجزيرة ، فى أول ابريل سنة ١٩٠٩ ، ثم تدفقت جموعها ، على كوبرى قصر النيل ، متجهة الى ميدان عابدين ، ومنه الى ميدان الأوبرا ، فهال الحكومة ضخامة هذه الجموع ، فارسلت عدداً ضخما من عساكر الشرطة بقيادة قائد الامن ومديره فى العاصمة ، وكان جنرالا بريطانيا سابقاً هو (هارفى باشا) ، وقد احاط به المتظاهرون ، وأسقطوه من فوق صهوة جواده ، فاستعانت الحكومة بخراطيم مياه المطافىء لتفريق الجموع المتكاتفة ، فلما لم تفلح خراطيم المياه بعد عصي الجنود ، استعانت الحكومة بفرقة من فرسان الجيش ، وكان نزول الجيش الى الشوارع فى هذه المرحلة المتقدمة من حياة الحركة الوطنية ، دليلا ماديا على أن هذه الحركة ، لم تعد كلاما يكتب ، بل صراع بالايدى بين الشعب الاعزل من جهة ، والجيش المسلح من جهة اخرى ، ولم تتفرق الجموع يومذاك إلا بعد أن خطب فيهم بحديقة الازبكية عدد من كتاب الحزب الوطنى فى مقدمتهم الكاتب أحمد حلمى الذى كان انذاك ، الساعد الاول لعبد العزيز جاويش فى تحرير اللواء ، وتابع اللواء حملته بقيادة جاويش ، بالمقالات والبحوث ، منها قصيدة للشيخ علي القاياتى الذى كان انذاك طالبا فى المعهد الدينى بدمياط ، جاء فيها فى الخديو عباس :

أعبـاس هـذا اخـر العهـد بيننـا
فلا تخش منـا بعـد ذاك عتابـا
ونيـاس مـن امالنـا فيـك كلمـا
قضيـت علينـا ان نكـون غضابـا
الا أمطـر اللـه الـوزارة نقمـة
ولا بلغـت ممـا تـروم مرامـا

• • •

ولم يكن ممكنا ان تسكت الحكومة على ما صدر من الشيخ عبد العزيز جاويش من تحريض صريح للرأى العام ، للوقوف فى وجه الحكومة ، فهنا ، تخرج الحكومة عن حلمها الذى تدعيه ، وصبرها الذى تصطنعه ، وانتهزت فرصة نشره فى ٢٨ يونيو ، مقالا بعنوان (فى ذكرى دنشواى) فاعتبرت انه ينطوى على قذف فى حق (بطرس باشا غالى) رئيس المحكمة التى قضت على اربعة من فلاحي دنشواى بالموت شنقا ، وبجلد نحو سبعة ، وبسجن نحو تسعة مدداً مع الاشغال الشاقة ، فدعته للتحقيق معه فى ٧ يوليو سنة ١٩٠٩ ، وقدمته للمحاكمة فى ١٧ من الشهر نفسه ، وفى ٢٧ من اغسطس صدر الحكم بحبسه ثلاثة أشهر . فاثار الحكم سخط الشعب ، وتالفت المظاهرات احتجاجا عليه ، ولما زج بالشيخ جاويش الى السجن امتلات صحف الحزب الوطنى بمقالات غاية فى العنف ضد الحكومة .

ونظم الشاعر احمد نسيم قصيدة كان مطلعها :

يا نازل السـجن محفوفـا باكبـار
هـون عليـك فما فـى السجن مـن عار

وخرج محمد فريد وجدى ، الفيلسوف والمفكر ، صاحب الأسلوب الهادىء الرصين ، خرج عن هدوئه وقال فى قصيدة نشرها بجريدة الدستور :

ومـا علـى التبـر عـارٌ
فـى القـار حيـن يُغلَّـفْ

فى حين قال الشيخ علي الغاياتى :

انـت البـرىءُ ومـن يخـا
لُكَ مجرمـا هـو مجـرمُ

وفيما كان الشيخ جاويش فى السجن يقضى مدة العقوبة ، اكتتب انصار الحزب الوطنى والمعجبون بالشيخ وبجهاده ، بمبلغ كبير ، اشتروا به وساما من حرير ثمين ، مزين بثلاث قطع ذهبية مرصعة بالاحجار الكريمة ، فلما اطلق سراحه ، اقاموا له احتفالا ضخما فى فندق شبرد ، وسلم له الوسام .

وفاض معين الشعر فى هذه المناسبة ، فنظم الشعراء قصائد جميلة ، فى تحية البطل الذى دخل السجن من اجل حرية امته ، وصحافتها ، وكان من الشعراء شاب لم يكن احد يعرفه شاعرا ولا كاتبا ، ولكن شعره استفاض بعد ذلك ، هو الشيخ طه حسين الذى قال :

الأن حق لك الثنـاء
فلتحى وليحى الثنـاء

وكان الاحتلال يمنى نفسه بان السجن سيوهن من عزم عبد العزيز جاويش ، ولاسيما أن دخول السجن فى تلك الفترة من حياة الحركة الوطنية ، لم يكن مالوفا ، ولذلك كان مرهوبا ، ولكن السجن عنده ، وحفاوة الشعب به ، لم يزده إلا ضراوة فى القتال ، وإصرارا على المقاومة ، وحرصاً على النزال ، فتربصت به الحكومة الدوائر واتخذت من صدور ديوان «وطنيتى» لعلي القاياتى ، الشاعر الوطنى الشاب ، ذريعة لتحقيق غرضها ، وكان ذلك فى يونية سنة ١٩١٠ ، وكان الديوان مجموعة قصائد للقاياتى ، نظمها فى مناسبات متعددة ، وكان صاحب الديوان قد عرضه على كل من محمد فريد رئيس الحزب الوطنى ، والشيخ عبد العزيز جاويش رئيس تحرير «اللواء» ، ورجاهما أن يكتبا للديوان مقدمة وتصديراً ، فلم يتاخرا عن تلبية رجاء شاب وطنى يستفتح حياته الأدبية والوطنية بهذا الديوان . وكانت القصائد التى احتواها ، قد سبق نشرها جميعا فى جريدة «اللواء» ، وهى انذاك اكثر جرائد مصر رواجا ، وكانت سلطات الأمن والنيابة تقرأ كل حرف فى

اللواء ، نثرا كان أو شعرا ، لتصيد التهم لمحرريه . ولذلك كان غريبا ان تحرك النيابة الدعوى العمومية ضد صاحب الديوان ، وضد محمد فريد وعبد العزيز جاويش اللذين قدما هذا الديوان .

وحقق مع الشيخ جاويش في سرعة ، وسيق الى المحكمة فور انتهاء التحقيق فقضي ضده بالحبس ثلاثة اشهر فى ٧ اغسطس سنة ١٩١٠ ، وخرج منه فى ٤ نوفمبر فى السنة ذاتها ، لا ليتقى كيد الحكومة ، ويؤثر السلامة ، بل ليكون فى محاربة عدويه الدائمين : الاحتلال ، والحكم الفردى المطلق ، اكثر صلابة ، واشد عنادا .

ولكن يتعين علينا ان نعرف ماذا كتب فى مقدمة ديوان (وطنيتى) ليحبس ، فان هذه المقدمة أصبحت بما جرته على كاتبها من عذاب السجن ، وثيقة تاريخية ، وهى كذلك فى ذاتها ، لانها تتضمن رايا ادبيا ، فيما يجب أن يكون عليه الشعر ، من البعد عن الصنعة ، والتميز بالصدق فى وصف مشاعر الشاعر . قال عبد العزيز جاويش :

«قد يتوهم بعض المتشاعرين » ان الشعر هو تلك الجمل الموزونة ، ذات الروى الملتزم . فتراهم اجرا ما يكونون فى تقصيد القصائد ، والانتساب الى دعوى الشعر ، معتمدين على جهل كثيرين باسرار الشعر ومزاياه . إذا شئت ان تعرف جيد الشعر ، فدع عنك تفاعيل البحور ، والتزام الحروف ومحسنات الألفاظ ، واعتبر بما يتركه فى نفسك من الأثر» .

• • •

ولكن كان امام الشيخ عبد العزيز جاويش معركة ضخمة فى حياته وحياة مصر عليه أن يخوضها ، كالعهد به ، لا يدع معركة تحسم لمصر شرا ، او تجلب لها خيرا او تحقق لها مصلحة ، إلا واندفع بكل جارحة فى نفسه ، ممتشقا سيفه ، ممتطيا جواده ، طاعنا فى صدور اعدائه ، فى صدق عزيمة وقوة إرادة .

كانت تلك معركة قناة السويس ، التى وقعت احداثها فى سنة ١٩٠٩ ، إذ اتفقت الحكومة برياسة بطرس باشا غالى ، سرا ، مع شركة قناة السويس على مد امتياز الشركة اربعين سنة ـ بعد نهاية هذا الامتياز سنة ١٩٦٨ ـ مقابل اربعة ملايين جنيه تدفعها الشركة للحكومة المصرية على اقساط . وقد استطاع محمد فريد رئيس الحزب الوطنى فى اكتوبر سنة ١٩٠٩ الحصول على نسخة كاملة من هذا المشروع فاجتمعت فى الحال اللجنة الادارية للحزب الوطنى ، وهى بمثابة مجلس ادارة للحزب ، وطالبت بعرض المشروع على الجمعية العمومية التى كانت وقتذاك المجلس النيابى فى البلاد ، دون أن يكون لها من اختصاصات المجالس التشريعية فى الدول التى تتمتع بالحقوق الدستورية.وكتب عبد العزيز جاويش فى هذا الصدد سلسلة من المقالات ، حمل فيها على المشروع وعلى الحكومة التى تعاقدت عليه سرا ، وبينت ما فيه من تفريط فى حقوق البلاد بالموافقة على مد امتياز القناة نحو نصف قرن بعد نهاية هذا الامتياز ، فى حين كان الواجب استرداد هذا المرفق ، لانه ملك لمصر

قال فى ٢٦ من يونية سنة ١٩٠٩ ، وكانما يقرا المستقبل فى كتاب مفتوح امامه:
«يقرا المصرى كل يوم ما تنشره شركة القناة من التقارير الدالة على ما يجنى ملاكها من الغلات العظيمة ، والربح الزائد فى كل عام ، فيفكر فى نفسه : متى ؟ متى يعود ملك هذه القناة الى مصر ؟ متى ينقضى امد امتياز هذه الشركة القابضة على مفتاح هذا الكنز حتى نتمكن من استرداد فيئها المسلوب ، مع تراثها المنهوب ؟

متى يضاف الى مالية مصر من غلة هذه القناة عدة ملايين كل عام ، فتستطيع بذلك أن تقضى ديونها ، وتصلح من شئونها ، وتحقق مالا يزيدها امام الاعداء قوة وباسا ؟» .

واضطرت الحكومة تحت ضغط مقالات محمد فريد والشيخ جاويش ، وما تنشره جريدة اللواء لباحثين وقانونيين ورجال مال ، من مقالات ودراسات وإحصائيات ومقارنات ، أن تعرض المشروع الذى كان سرا على الجمعية العمومية ، واعلنت التزامها بالقرار الذى يصدر من هذه الجمعية أيا كان منطوقه .

ولكن الحكومة اخذت ـ بعد ان اعلنت ذلك ـ تضغط على اعضاء الجمعية العمومية بالترغيب والترهيب ، حتى يصدر القرار فى مصلحتها ومع وجهة نظرها ، فاخذ عبد العزيز جاويش يبصر اعضاء الجمعية العمومية بواجبهم ، ويدعوهم الى الصمود والثبات ، وقال فيما قاله للاعضاء «إن بريطانيا كانت تبرر احتلالها لمصر بان لها وراء قناة السويس املاكا ، وان لها فى شركة قناة السويس اسهما ، فاذا امتد اجل شركة القناة اربعين سنة بعد مدته المنصوص عليها فى العقد الأصلى فكاننا نطيل أمد الاحتلال» .

وكانت رياسة الجمعية معقودة لحسين كامل شقيق الخديو عباس ، فلما خرج عن واجب الحيدة الذى يجب على رئيس كل هيئة احترامه ، لم يتردد الشيخ جاويش فى تعنيفه ، ولم يرده عن ذلك مكانته ، ولا شدة قربه من الخديو ، إذ قال :

«كنا نرى فلتات ـ يظهر فيها بمظهر الهازئ بواجب الحيدة ، الكاره لحرية الآراء ، الميال لتعضيد الحكومة ، واخذت تلك الفلتات ، تزداد فى الايام الأخيرة ، حتى بدا حسين كامل يظهر شيئا فشيئا بمظهره الحقيقى ، وجاءت مسالة قناة السويس ، فاذا به قد خرق اكبر صفة يتحلى بها رؤساء المجالس النيابية ، وهى التزام الحيدة» .

وتدور المعركة فى الجمعية العمومية ، ويقف سعد زغلول وزير المعارف انذاك ليدافع عن امتياز القناة ، باذلا كل جهد ، منتفعا بكل حجة ، مستعينا بقدرته الخطابية ، ولكن الجمعية العمومية رفضت المشروع ، بما يشبه الاجماع ، إذ لم يشذ عن هذا الاجماع إلا عضو واحد هو المرحوم مرقص سميكة .

فتحي رضوان

رجل من الحيّ القديم

قصة بقلم : علي حمد إبراهيم



استطيع ان اكتب بحرارة شديدة هذا المساء .. انك تعرفين انني اختار المساء دائما موعد الكتابة خطاباتي اليك .. ليل هذه المدينة يعطيني قوة لامتلاك قلمي ، ولغة الاسترسال المجنون . انها مدينة تعج بالاخبار والناس ، كانها سوق كبيرة للحوم .. والبقول والخضروات . في خطابك الاخير طلبت مني ان اكتب اليك اخبار المدينة الليلية والنهارية .. انه طلب تستحيل الاستجابة له بالكامل ، لأن الناس في هذه المدينة يبتكرون كل لحظة اخبارا واشاعات كثيرة . لكن لاباس . ساحكي لك طرفا مما يتحدثون به هذه الايام .. ولكني أبدا بالحديث عن حينا القديم . انك تذكرين انني اتحدث كثيرا عن هذا الحي ، فهو ما زال بريئا وساذجا وغافلا .. اذكر انك لم تكوني راضية ان يظل هذا الحي ساذجا وغافلا الى الابد ، ولكنك لم تفعلي شيئا لتبديل هذه الحقيقة ، المهمّ انه نفس الحي : بصقة القذى القديم على عينيه ما زالت ، وجفنه المشمول بالورم وظلامه الدامس وكلابه الكثيرة النباح رغم انها لم تفلح حتى الآن في ان تعض لصا واحدا من لصوص الحي الكثيرين ، لقد اصبح اللصوص كثيرين جدا في جميع الاحياء ، حتى ان عمّي قال انهم يفكرون في عمل نقابة لهم اسوة بجميع الناس . ان لصوص حينا بالذات اصبحوا لايخافون كلاب الحي او غيرها من الكلاب ، لقد بطل الظن بان تلك الكلاب يمكنها مكافحة اللصوص بصورة من الصور . لقد سرق هؤلاء اللصوص سحارة حاجة كلتومة وحذاءها الجميل الذي أهداه لها حاج الطاهر يوم ان قدم اول مرة من القرية .. تذكرين اللغط الذي ثار في الحي حول تلك الهدية حتى ان حاج الطاهر اضطر الى نفي ذلك اللغط بعد صلاة الجمعة

فى الجامع ثم بكى حتى بانت اسنانه الصفراء من اثر السعوط .. لقد كنا نقول ان سحارة حاجة كلتومة كانت تمثل ممتلكاتها الثابتة بينما يمثل حذاؤها ممتلكاتها المنقولة .. لقد كنا اولاداً اشقياء نضحك مع الدنيا بفرح عظيم . لقد سرق اللصوص مع ما سرقوا من اشياء سحارة حاجة كلتومة وحذاءها الجميل وتركوا فى فمها طعم الملح الاجاج . لقد حزن الناس فى الحى لما راوا حزنها وبكاءها وتبرعوا لها ببعض المال ولعنوا كلاب الحى التى لم تكافح اللصوص ، الا الولد الشقى (حامد نور الحلة)

لقد أطلق اشاعة بان حاجة كلتومة باعت السحارة والحذاء ودفعت المال مهرا لحاج الطاهر .. الله يلعنه ذلك الولد دائما تفكيره مخالف لتفكير الناس .. هذا ما كان من امر الحى الذى مازالت بصقة القذى على عينيه ..

اما اهم خبر على نطاق المدينة ، فهو يتعلق (بالضو ود ساكت) هل تذكرين (الضو ود ساكت) لابد انك تذكرين جيدا ، لقد كان الضو بائع الفحم الوحيد فى حينا ،، تذكرين ذلك .. جيدا .. حماره النحيف الطويل الاغبش وعمامته الصفراء وجلابيته الداكنة المجللة بلون الفحم والغبار وعينه اليمنى المشلوحة وشلخه اللولبى الخفيف وفمه الاهتم . ولكن كيف أحكى لك عن شخصية الضوود ساكت الجديدة دون ان اثير لديك الشك والفضول . اعرف اننا جميعا نؤمن بالقضاء والقدر وبليلة القدر ايضا . انهم يقولون ان ليلة القدر تقع على العابدين المنقطعين للعبادة والذكر خصوصا فى الجزء الاخير من رمضان .. ورغم أن احدا لايعرف الى اى مدى يعتبر الضوود ساكت رجلا صالحا إلا ان كل الناس تقول ان ليلة القدر قد وقعت عليه فى العام الماضى خلال شهر رمضان ، وظلت تقع عليه على مدار السنة وكل يوم صباحا ومساء .. كل المدينة تقول ذلك . وكذلك حينا الذى لم تزل بصقة القذى القديم على عينيه .. وايضا حاج الخير مؤذن الجامع ، ولكن « فكى مرسال » امام الجامع غير متاكد بصفة قاطعة .. « يمكن الراجل ده حرامى تموين . ياجماعة ليلة القدر دى امرها عجيب ولا بتشبه الفحامى ده » ..

على اى حال . لقد اصبح الضوود ساكت واحداً من اغنى رجالات المدينة . المدينة كلها تتحدث عن المليونير الفحامى ولكن لا تجد احدا يحدثك كيف لمّ هذا الرجل هذا المال وبهذه السرعة . انهم يعطونك بعض المؤشرات العابرة ، مثلا يقولون انه صادق موظفا كبيرا يدير مرفقا تجاريا ، وان هذا الموظف استعمل الضو فى تجارة الليل .. ثم اصبح الضو شريكا لذلك الموظف الكبير وبعد سنة واحدة شوهد الضو يتعلم السياقة فى طرقات المدينة .. قالوا صدم معزة وحمارة وكذلك الفكى مرسال امام الجامع .. لقد اصبح الضوود ساكت حديث المدينة مرتين هذا الشهر .. مرة عندما اكمل بناء منزله بالدرجة الاولى . قالوا ان الرجل دعا كل المدينة وكذلك أهل حينا الذى لم تزل بصقة القذى القديم على عينيه .. وكان زملاؤه القدامى مندهشين اكثر من اثرياء المدينة الذين زاد عددهم واحدا هو (الضوود ساكت) المليونير من منازلهم . يوسف الفحيل كان يفرك يدا بيد متعجبا من الدنيا التى « لاتدى حريف » « يمين الضوود كان خامل ساكت . والفحم بتاعوا نصو كان عيدان تقوم تلقاه بقى مليونير » ـ كان ود الفحيل يدلى بتلك الملاحظات بصوت خفيض مراعاة لمصالحه الخاصة التى ينتظر ان يرعاها زميله القديم الضوود ساكت . وظل الناس فى المدينة وكذلك فى حينا الذى لم تزل بصقة القذى القديم على عينيه ـ ظلوا يتحدثون اياما كثيرة عن منزل الضوود ساكت الجديد . العفش من ايطاليا الابسطة من ايران . الطنافس من باريس والمانيا ، الستاير من بلجيكا وعدة الاكل من لندن . خارج من خارج الى اخر الاقاويل والاقاصيص حول الضوود ساكت الذى وقعت عليه ليلة القدر من السماء .

تعرفين هذه المدينة جيدا انها تخلق الاساطير والقصص لتملأ فراغها العريض . اذكر انك كنت تقولين انها مدينةٌ مثل كرش الفيل وعقلها « زى عقل السخلة » الضوود ساكت نفسه ايّد هذا الراى يوم احتفاله الكبير لقد سمعته يوم العزومة وقد تحلق حوله المنافقون واصحاب الحاجة وهو يحدثهم بصوته الابح الاجش بنكات « بايخة » صنعها فى وقتها وهم يموتون من الضحك المغتصب « ناس المدينة دى زى بهايم الزريبة .. تسوقها الى المذبح تجعر .. تسوقها الى المرعى تجعر » وضحك الحاضرون من مستمعى الضوود ساكت حتى كادوا يموتون . اما انا فقد تذكرت عالم الضو القديم .. عالم الفحم والزريبة وعرفت ان فى هذه المدينة يمكنك ان تصبح أى شىء وفى اى لحظة اذا صادفتك ليلة القدر ..

ولكن المدينة لاحقت الضوود ساكت فى الاسبوع الماضى ايضا واسقطت عليه المزيد من الاضواء .. انني اشعر بالحرج الشديد كيف احكي لك على الورق ما يقال بالالسن عن الضوود ساكت فى هذه الايام .

لقد ذهبنا جميعا الى محكمة المدينة فى يوم الاثنين الماضى وجلسنا القرفصاء فى ساحة المحكمة ومعنا اصدقاء الضوود ساكت القدامى والجدد والمنتفعون وكذلك رابطة اصدقاء المحسن الكبير الضوود ساكت تلك الرابطة التى نشات فى الجانب الشرقى من حينا القديم قريباً من كوشة الفحم العائدة للضو فى الايام الخوالى . وعندما قرا القاضى الحكم على الضو بان على وجوه اهل حينا القديم خجل شديد .. حقيقة لقد كان الامر مخجلا . خصوصا مناقشة المحامي وممثل الاتهام مع الصبى الصغير . لقد خرجنا من قاعة المحكمة على اختلاف تام حول قانونية الحكم الكبير .. اربعة عشر عاما من السجن مع الاشغال الشاقة . كان بعضنا يرى انه حكم قاس جدا واخرون قالوا انه حكم عادل .. اما يوسف ود الفحيل فقد قال ان الضو كان خملة طول عمره ، ولما وجد المال اراد ان يجرب حظه فى حاجة جديدة . وضحك ود الفحيل حتى اصبح قصيرا رغم انه كان عضوا فى رابطة اصدقاء المحسن الكبير الضو ود ساكت قبل سجنه . هذا اهم حدث فى المدينة فى هذا الشهر .

ملحوظة : تقولين فى خطابك الاخير انني لا اهتم كثيرا بذكر التاريخ . لقد كدت ان انسى مرة اخرى . لقد حدثت (كشة) الضو ود ساكت فى يوم الخميس اول رمضان ..

اتجاهات جديدة

في القصة السكندرية القصيرة المعاصرة

بقلم : الدكتور محمد مصطفى هدارة

تطور مفهوم الفن وغايته تطوراً كبيراً في العصر الحديث بتطور الانسان المعاصر نفسه الذي بلغ الذروة في استكشاف اسرار العلوم الطبيعية ، ووصل إلى النهاية في استخدام وسائل الترف المادية ، واستغل الطاقات الدفينة للعقل البشري في سبيل تحكم الانسان وسيطرته على قوى هائلة لم تكن تدين له ، أو لم يكن يعرفها .

ولكن هذا التقدم العلمي وتلك السيطرة المادية لم يوفرا للانسان المعاصر الاستقرار النفسي ، ولم يهيئا له السعادة التي كان يحلم بها منذ فجر البشرية ، بل احدثا ـ على النقيض من ذلك ـ دماراً في نفس الانسان وتركا فيها مساحات هائلة من التوتر والقلق والاحساس بالغربة والضياع .

وإذا كان المحللون النفسيون يستخرجون الأسباب والعلل التي كانت وراء هذا الدمار النفسي في اوروبا وامريكا ، أو بالأحرى في العالم المتقدم علمياً وتكنولوجيا ، فان بعض الباحثين العرب يرون أن الانسان المعاصر في العالم العربي يدعي وجود هذا الدمار الذي يعكسه في فنونه وادابه ، مضاهاة لانسان العالم المتقدم . وهذه فرية لا تصح عقلا ، فالمضاهاة لا تكون في الدمار النفسي ، فان كانت في ظواهر هذا الدمار ، فلنبحث في أصوله ودوافعه ، ولن نعدم وجود دوافع أصيلة وراء دمار نفس الانسان العربي من واقع تمزقه السياسي ، ووقوعه في دوامة الصراع من اجل البقاء احيانا ، ومن اجل الكرامة الانسانية احيانا أخرى ، ومن اجل الحد الأدنى للحياة الانسانية دائما .

ويكفي لوجود هذا الدمار احساس الانسان العربي بالقهر السياسي بعد ماساة فلسطين ، والقهر الاجتماعي بوجود هذه الفجوة الواسعة بين العالم الغني المعتمد على التكنولوجيا المتطورة ، وعالمه الفقير الذي تطحنه الصراعات والمجاعات ، والذي تجعله الدول الكبرى ميدانا لتجربة أسلحتها التقليدية والمتطورة .

وما من شك في أن إلغاء الحواجز والمسافات بين الثقافات في العالم قد أتاح للمثقفين العرب فرصة الاطلاع على الفلسفات المتشائمة في أوروبا ، التي عبرت عن دمار نفس الانسان ، كالعبثية والوجودية اللتين كان لهما تأثير مباشر في الآداب المعاصرة ، من حيث تعميق معنى الاحساس بالضياع والغربة والقلق والغثيان والاحباط .

تطور مفهوم الفن وغايته إذن بفعل هذه العوامل فلم يعد إمتاعا وتسلية في شكل قصيدة مباشرة المعنى ، تدغدغ العواطف والاحاسيس ، أو في شكل اقصوصة تقدم نموذجا لشخصية انسانية نمطية التفكير والاحساس ، أو تقدم حكاية للمسامرة ، تنقل القارىء على جناحها السحري حدثا وراء حدث ، حتى تبلغ به الذروة التي يحبس عندها أنفاسه ، ثم تضع بين يديه المفتاح للنهاية السعيدة أو الماساوية المترقبة . وكيف يمكن أن يبقى الفن كذلك ، والحياة من حولنا تضج بالثورة والعنف والتطور ، وتهزأ بالنمطية ، وتعلو على المنطق ، وتهب عليها رياح التغيير قوية عاتية ، بحيث أصبح الانسان المعاصر في أي مكان ـ وبغض النظر عن انتمائه إلى العالم المتقدم أو المتاخر ـ كأنه من سلالة أخرى لا تنتمي لتاريخ البشرية الذي عرفته الاجيال الماضية .

ليس غريبا إذن أن تتطور الاقصوصة في وقتنا الراهن تطورا واضحا في الغاية والمفهوم والأداء ، وأن تحدث بها ثورة في البناء والحرفية القصصية ، وأن تتجاوز مرحلة الحكاية والسرد والنموذج الانساني العادي الذي يرتبط بزمان ثابت ومكان معين . ونزعات بشرية واضحة الدلالة والغايات .

لقد نشأ فن القصص فنا شعبيا يعتمد على تكديس الحوادث والمفاجات والتصرفات الخارقة للابطال ، ولكنه في عصرنا الراهن ، وبعد التقدم العلمي الهائل تخلص من حيل الفن الشعبي ووسائله ، واكتسب الصفات التي تلائم الفكر العلمي القائم على التحليل والاكتشاف . واصبحت العناصر الأساسية في القصة ، بل في أي عمل أدبي ، وخاصة عند النقاد الشكليين ، تعتمد أساسا على الكلمات والصور والرموز أكثر مما تعتمد على الشخصية والفكرة والحبكة (١) .

ولم يعد للاتجاه الموباساني السطوة والنفوذ على كتاب الاقصوصة المعاصرة ، حتى الاتجاه التشيكوفي زالت عنه هالته وتاثيراته على الكتاب المعاصرين الذين يحيون في أعماقهم الحياة بلا نظام ثابت ، وقد سادت أجزاءها الفوضى ، واختلط الواقع المرير بالرؤى والخيالات ، ووقع الانسان فريسة للصحة والمرض ، والشجاعة والجبن ، والسمو والحضيض ، وكل أنواع المتناقضات التي تضرب بانيابها وهي تضغط عليه لاثبات تفاهته وخوائه ، بينما يحاول بعقله أن يثبت تفوقه وقدراته التي لا حدود لها .

يقول روبرت لويس ستيفنسون Robert Louis Stevenson (٢) :

« الحياة فظيعة رهيبة ، ومعدومة الحدود ، ولا منطقية ، وفظة ومؤلمة وموجعة ، اما العمل الفني فهو بالقياس إليها شيء مرتب محدود ، ومحيط بذاته ، وعقلاني ومتدفق ومنقح . ان الحياة تفرض ذاتها بقوة غاشمة كالرعد الأرعن ، ولكن الفن ـ ممثلا في لحن اصطنعه اصطناعا موسيقي

حصيف ـ يستأثر بالاصغاء من الأذن فى غمرة الاصوات الاشد صخبا ، التى تحيط بتجربتنا الحياتية . إن القصة لا تحيا بفضل وجه شبهها بالحياة ، فهذه الاوجة مغروضة ومادية . مثلها فى ذلك مثل الحذاء الذى يجب أن يظل من الجلد ، انما تعيش بفضل مالا يحصي من اوجه تباينها عن الحياة ، فهذا التباين مقصود وذو مغزى ، وهو في ان واحد منهج العمل الفني ومعناه» .

وفى ضوء هذه العلاقة بين الاتجاه القصصي المعاصر والحياة ابتعدت القصة إلى حد كبير عن المذهب الكلاسيكى المعتمد على العقل والتسلسل المنطقى ، وعن المذهب الرومانتيكى ذى الاستغراق الذاتى وعن الواقعية التى ترتبط بالمجتمع فى قوانين حتمية ، واصبحت فى اتجاهها الجديد لا تتحدث عن شئون واقعة ، بل عن لحظات شعورية ، وتصور ميلا باطنيا للتعبير عن خطرات التجربة العقلية ، وهو ما اطلق عليه فى بعض تسمياته (تيار الوعى) ، أو قصة الحوار الفردى الداخلى الصامت (٣)

وفى هذا النوع من القصص ينحّى المؤلف نفسه ويواجه القارىء بالتجربة العقلية لشخصيات قصصه . وقد استلزم ذلك تفسيرا هاما فى طريقة السرد أو الحكاية ، كما استلزم تغييرا كليا فى البناء الفنى للقصة ، فلم تعد لها بداية ووسط ونهاية ، ولم تعد لها ذروة وحبكة ، ولم يعد لها نظام ، واصبح القارىء مطالبا باليقظة التامة وحدة الوعى ، ومحاولة إيجاد نظام من خلال فوضى الافكار وتبعثرها .

يقـــول فى ذلك وينـــدهام لويس Wyndham Louis : « ان كاتب هــــذا النوع من القصص يجرد العمل الفنى من كل الخطوط والحدود التى تجعل له شكلا معينا .. فالحياة الداخلية للشخصية ، بما فيها من حدود ، تستحيل إلى نسيج هلامي مختلط ، يخلو من كل العقد والمفاصل » (٤) ان هذا الاتجاه الجديد فى القصة ، الذى تجاوز الواقع لأنه لا يحاول تسجيله ، بل يحاول أن يبعث الحياة فيه من جديد ، يرفض نمطية التفكير والأداء ، ويسخر من السرد والحكاية ، ويستحب الخروج على المألوف ليحدث هزة عقلية فى الفكر ، وينسحب من الواقع إلى داخل النفس ليرصد كل خطراتها وافكارها التى تجرى بلا نظام ، والتى تتبعثر مشرقة ومغربة ، دون أن تفقد الخيط الذى يربطها وهو الانسان ، البنية الحية فى المجتمع الصغير الذى يعيش فيه ، وفى المجتمع البشرى الكبير الذى تنعكس كل مشكلاته على الملايين الذين ينتمون إليه . وقد ارتبط الاتجاه الجديد فى القصة بمعطيات التحليل النفسى ، وبالمذهب الرمزى ، ارتباطا وثيقا . فاصبحت القصة تعبر عن تداعيات الأفكار العابرة ، وتصور عـــالم التخيل الباطنى ، الزاخر بكل انواع التجارب الحية ، والاحاسيس الانفعالية ، واحلام اليقظة .

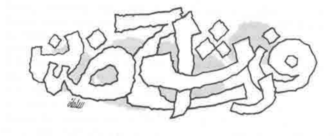
ولاشك فى أن نظرية « فرويد » فى الاحلام قد حطمت ذلك الحاجز الوهمى الذى يفصل بين اليقظة والحلم . ولهذا نجد القصة الحديثة تستخدم الصور والرموز فى استحضار التجربة ، طبقا لما يؤمن به الرمزيون فى مجال الادب خاصة ، ومن هنا اصبحت لهم لغة خاصة ، او دلالات جديدة للغة ، مع تركيب اسلوبى جديد ، يعبر عما فى الذهن بصورة تجريدية .

وفى ذلك يقـــول إدموند ولســــون Edmond Wilson « يتباين كل شـــعور وإحساس بعضه عن بعض ، وكذلك تتباين كل لحظة من لحظات الوعى ، وتبعا لهذا فان من المستحيل ان تستطيع التعبير عن احاسيسنا كما نمر بها تماما إذا حاولنا ان نصفها باللغة التقليدية الشائعة العادية . وإن لكل كاتب شخصيته الفريدة ، وإن كل لحظة من لحظاته تتميز بوقع خـــاص وتركيب عضوى مميز . ومن واجب الشاعر ان يوجد اللغة الخاصة القادرة على التعبير عن شخصيته واحاسيسه » (٥) . وما يقوله هذا الناقد عن الشعر ينطبق تماما على الاتجاه القصصى الجديد ، الذى يقترب من طبيعة الشعر وعناصره اقترابا شديدا . وعلى الرغم من ظهور الاتجاه القصصى الجديد ذى النزعة السريالية ، المعتمد على تيار الوعى وإسقاط السرد والحكاية ونموذج الشخصية الانسانية ، والذى يستخدم عقل احدى الشخصيات ، او عقول عدة شخصيات ، فى إنارة الموقف والشخصيات التى يعرضها ، والذى يتوسل فى تعبيره باستخدام اللغة بطريقة جديدة مشحونة بالرموز والدلالات منذ الربع الاول من القرن الحالى فى أوروبا ، فانه قد ظهر فى مصر على استحياء شديد فى فترة الاربعينيات ، ثم اكد وجوده بعد ذلك تباعا ، حتى استقر الآن فى أيدى الشباب من كتاب القصة القصيرة فى الاسكندرية بوجه خاص ، وهم الذين سوف احلل اعمالهم من خلال هذا الاتجاه فى هذا المقال . وقد برز فى هذا الاتجاه بروزا واضحا محمد حافظ رجب (٦) ، ومحمود عوض عبد العال (٧) ، وتعلق باطراف منه إدوار الخراط (٨) ، والسعيد الورقى (٩) ، وهناك غيرهم ممن لم يقع نتاجهم فى يدى .

وما من شك فى ان كل كاتب له اسلوبه الخاص ، واداؤه المتميز ، الذى يفرق بينه وبين سواه من كتاب الاتجاه نفسه . كذلك نجد لكل كاتب عالمه وقضاياه والوان معاناته وشخصيته وثقافته ، وان ظلت هناك صفات مشتركة تجمع بين ذوى الاتجاه الواحد .

شخصيات عالم القاع

واول ما يطالعنا من العناصر الاساسية المشتركة بين الموغــــلين فى هـــــذا التيار الجديد مـــن القصاص السكندريين المعاصرين تقديمهم شخصيات تمثل اليأس والغربة والضياع والغثيان والملل والرفض للحياة الواقعية بكل ما فيها من معاناة والم فشخصيات محمد حافظ رجب تشكو دائما (الاستمرار البليد) (١٠) ، و (الوهم والملل والتذمر والغضب من طول الانتظار العقيم) (١١) ، والضياع كمـــا يمثله (راس صغير غارق فى احلام العذاب ، وراسان تائهان فى اكـــواخ غربــــال الصفيح) (١٢) ، والغربة والاحبـــاط والاحساس بالأسر ، وكل هذه المعانى تحسها الشخصية التى يقدمها فى (عظام الجرن) ، (فالمعلم سجان الدكان يحبسه فى الرغيف ، والمراة سجانة هذه اللحظة تحبسه تحت لحاف ليمونى اصفر) (١٣)



اتجاهات جديدة

في القصة السكندرية القصيرة المعاصرة

ومحمود عوض عبد العال يعكس فى قاصيصه الوانا من المعاناة والحزن والقلق ، ويتمثل ذلك فى السؤال الذى تطرحه شخصية اقصوصة (جدول معلق) « كيف يغنى عصفور فى قفص فوقه مروحة وتحته مدفاة ؟ » (١٤) .

ونحس كل معانى الاحباط والالم فى (كلمات أسير) (١٥) ، والغربة والحزن فى شخصية (تكوين) او الطير المهاجر الكئيب (١٦) ، ونحس معانى الضياع فى (تكوينات) (١٧) و (المفتاح العمومى) (١٨) ، و (امتداد) (١٩) و (الفنان) (٢٠) وغيرها .

وشخصيات إدوار الخراط تحس دائما الفراغ والخواء والحزن والمعاناة (٢١) . اما شخصيات السعيد الورقي فيحاصرها دائما الموت والملل والغثيان ، حتى فى عنوان المجموعة التى سماها (ايقاعات حزينة من زمن الموت) (٢٢) ، وفى إهدائه المجموعة (إلى الموت الحق والمطلق) . ونرى فى اقصوصة (معزوفة) الاحساس بالملل والغربة فى (مدينة الدمى) (٢٣) . ويتردد ذلك الاحساس فى (المحاصرة)(٢٤) وفى (محاولة) (٢٥) ، التى نحس فيها الغثيان ايضا . اما الرفض فيتمثل لنا فى (العودة) (٢٦) ، وفى (الوسام) ، حين يعلق البطل الوسام الذى منحه له المجتمع فى رقبة كلب أجرب (٢٧) .

وشخصيات محمد حافظ رجب ومحمود عوض عبد العال وإدوار الخراط اغلبها من قاع المجتمع ، (فمخلوقات) محمد حافظ رجب عامل جرن يتمنى ان يصبح عاملا فى مصنع بذرة قطن (٢٨) ، وماسح احذية وقهوجى يونانى وبائعة يا نصيب وعويس القزم السارق (٢٩) ، وحربى الخادم الذى استشهد فى سبيل إحضار (البيرة) للمدام (٣٠) .

والجو الذى تتحرك فيه الشخصيات يتلاءم معها تماما ، فهى أحياء عالم القاع ، حيث (الخيش) و (أكواخ الصفيح) (٣١) .

وتتحرك شخصيات محمود عوض عبد العال فى بيئات فقيرة : سوق باكوس (٣٢) ، و « بضعة هلاهيل واقمشة وأخشاب قديمة واقفاص فى شكل مسكن محشو بالسكان » (٣٣) ، وهم فى الغالب من الطبقة العاملة ، وقد خص فى بعض قصصه مصنع النحاس (٣٤) .

اما شخصيات إدوار الخراط فهى من قاع القاع ، وهو يستغرق فى قصصه القصيرة الطويلة فى وصف حياتها الظاهرية ، ويهتم ـ على وجه الخصوص ـ بكل ما يراه من ظواهر الحياة المادية العفنة القديمة المهترئة فى تلك البيئات (٣٥) .

وتبعد شخصيات السعيد الورقى عن هذه الأجواء ، ولا تحس فيها الطابع السكندرى المحلى الذى تجده عند الثلاثة الاخرين ، وخاصة محمد حافظ رجب ، ومحمود عوض عبد العال ، والطابع المحلى ليس مستنكرا فى الاتجاه القصصى القديم أو الجديد ، فقد كان واضحا فى كتابات قصاص عالميين من أمثال كاترين مانسفيلد التى ابرزت موطنها نيوزيلندة (٣٦) ، وجيمس جويس الذى كتب مجموعة قصص قصيرة عن موطنه بعنوان « اهل دبلن » Dubliners

وليس هناك شخصية محورية دائما فى قاصيص هؤلاء الكتاب ، ولم يحدث ـ كما يقول اوكونور بحق ـ أن كان للقصة القصيرة بطل واحد ، وإنما نجد بدلا من ذلك مجموعة من الناس المغمورين ، تختلف طبائعهم وصفاتهم من كاتب لآخر ، وان اشترك افراد هذه المجموعات فى الفقر المادى والروحى ، وفى الاحساس الحاد بالغربة والضياع والملل (٣٧) . وعلى اية حال فالاتجاه الجديد فى الاقصوصة لا يعطى اهتماما كبيرا للشخصيات فنيا ، وان كان ذلك لا يمنع من توجيه الاهتمام نحو شخصية بعينها ، يرى هنرى جيمس ان تكون ممتازة الوعى ، ولهذا يخرج من قاصيصه المغفلين ومحدودى الذكاء (٣٨) . وهذه فكرة مهمة ، إذ تكون الشخصية عندئذ قادرة على استخلاص عناصر رئيسية من التجربة والبناء عليها ، ولا تكون مجرد شريط لتسجيل الاحاسيس والافكار . ونجد ذلك متحققا فى معظم شخصيات الكتاب السكندريين .

ولا نحس رغبة من القصاص فى الوصول إلى هدف اجتماعى ، او حتى مجرد تصوير مجتمع القاع ، بل يتجلى ذلك منخلال الخواطر التى تنثال من عقول الشخصيات التى يحركونها . وهذا الحضور الاجتماعى ماثل تماما فى قاصيص محمود عوض عبد العال ، فنرى فى (كلمات اسير) التزاحم على اللحوم والدواجن والبيض والكبريت (٣٩) . ونرى فى الاقصوصة ذاتها الممرضة التى تسرق طعام المرضى ، والباعة الجائلين بين الأسرة فى المستشفيات الحكومية . ونرى فى (أوديب قابل اخته) المستشفى مهددا بالسقوط على المرضى بعد انهيار جزء منه ، ومازال ينتظر الانتقال إلى مبناه الذى بدأ العمل فى ترميمه منذ ثلاثين عاما ، وغرفة العمليات مفتوحة على الممر العمومى ، ودورات المياه لا تستر من بداخلها ، واجهزة التعقيم الخاصة بالعمليات فى الحمام (٤٠) . ونرى فى « حس البيت » الكبريت الذى لا يشتعل ، والنور الذى ينقطع ، ونسمع أصوات الباعة الجائلين وعربات الكارو ، وصراخ أولاد الكرة الشراب (٤١) . كذلك نجد المخدرات شائعة بين افراد قاع المجتمع . ويبدو ذلك فى أكثر من اقصوصة (٤٢) .

ويبلغ محمود عوض عبد العال فى المزج بين الواقع والخطرات المنسابة فى تيار الوعى ، او بين الحقيقة والحلم . وهو فى هذا يتابع بدقة منهج جيمس جويس فى اقاصيصه التى كانت غالبا تمثل صراعا بين « دون كيشوت » و « هاملت » . كما كانت تتميز بأنها ملهاة البطولة الساخرة ، إذ يضعها فى صورة تقابل بين الأضداد ، وكذلك يفعل محمود عوض . وابرز قاصيصه التى تمثل هذا الاتجاه (إعلانات مبوبة) ، وقد حصرها فى طلب وظائف ، وعطاءات ، واشياء للبيع ، وتفاليس (٤٣) .

ونرى فى « علامة الرضا » طفلا فى الثامنة (يدخن سجائر مستوردة ، دفاعا عن مرض خبيث فى جسده) (٤٤) .

اسلوب تيار الوعى

ويختلف المدى بين هؤلاء الكتاب فى استخدامهم اسلوب تيار الوعى ، فبينما نجد محمود عوض عبد العال يستخدم كل عناصر تيار الوعى الممتزج بالاتجاه السريالى فى إدراك واقتدار ، ويسقط (الاحدوثة) تماما من اقاصيصه ، ويبتعد عن السرد وتقديم نماذج إنسانية نمطية ، ويستخدم الرمز والصور المجازية والأفكار المبعثرة ، نرى محمد حافظ رجب مبقيا على قدر من السردية والحكاية ، إلى جانب استخدامه تيار الوعى والعناصر السريالية . وإدوار الخراط والسعيد الورقى يكادان يبتعدان عن تخوم السريالية وعن عناصر كثيرة فى البناء الفنى لتيار الوعى ، ويعتمدان ـ فى معظم الاحيان ـ على الحدث والحكاية . ويهتم إدوار الخراط بالاسلوب الوصفى الفوتغرافى المدقق ، الذى يرسم الشخصية والبيئة بالطريقة المالوفة (٤٥) . ونحن نعلم ان تعرف الأماكن فى هذا النوع من القصص لا يتم عن طريق الوصف ، بل عن طريق إثارة الأحاسيس والعواطف .

وتعد اقصوصة (مريض) لمحمود

عوض عبد العال من النماذج الدالة على انسياب تيار الوعى ، وتناثر جزئيات الأفكار بأسلوب سريالى . يقول فيها « لا اعرف أبدا إلى أين انا ذاهب على وجه التحديد .. اه .. التى تناولت كوب الماء المعطر .. عطشانة صحرائى .. هات يديك لأقرا حظى حسب التقدير الفلكى واسجد .. (تؤول الحياة فى مشاجرة عائلية إلى امور لا معنى لها ..) . جذبت ياقة قميصى من تحت ثنية رقبتى على النقالة .. الخجل مر بيده على مكان .. مسح عرقه .. لم تهضم سوء نيتك ، ملابسك الصحراوية متربة .. الطيور المسافرة على صــدره مجهدة .. فداؤك باق ، سحاب صحراء مقطوعة النور .. تاه على ارضها ، يحمل احزان النفى والموت .. المطبات فى الطريق تدبر مؤامرة اغتيال مجانية .. على حافة النقالة يرجون راسا .. سقوطنا من نافذة الرحالة المنبوذين على رمل التية .. على مهلك .. لامسك مطرقة .. تدلى اصواته .. ها هم مندفعون إلى المخابىء .. فى الزحام امن .. كرهوا رائحة عرقهم .. عفن الريح من حجرة البيانات ، قعد وجه غريب مريض لم اتعوده .. انت . من حيث بدا يخطو ، حصد الخـــرس والملل فى بيت لا يكنس فيه عقب السيجارة .. وجهها محروق تحت قدمى تمثال نصفى .. نعاها فى صمت أول .. شارع وسلالم وصمت يفتح بابا موصدا فى وجه البحر » (٤٦) .

وهذا التقطيع الفكرى قد استطاع ان يعبر عنه التقطيع الأسلوبى مع تكثيف الصور المجازية والرموز . وقد لاحظ من قبل « ليون إيدل » ان بعض القصص الحديثة تبدو اشبه بسلسلة من الصور ، أكثر من كونها سلسلة الخواطر (٤٧) . ولاشك فى ان الصور المجازية أساس فى الأدب الرمزى. ومن البدهى ان القارىء يستخلص من الرموز الدلالات التى ترد فى التعابير الواعية للشخصية ، كما ان الكاتب لا يمكنه التعبير عن التجارب التى عاناها فى مخيلته إلا عن طريق استخدام الرمز ما دام منسابا فى تيار الوعى . وتجربة الكاتب وهو فى حالة شعورية تتسم بالتعقيد والغموض ، ولابد للقارىء ان يعانى تلك الحالة الشعورية للكاتب حتى يمكنه ان يحل معضلات رموزه التعبيرية .

والرمز عند كتـــاب الاقصوصـــة السكندريين يلعب دورا مهما فى بناء الاقصوصة عندهم ، وقد يكون رمزا واضحا كتلك الرموز الجنسية التى وردت فى اقصوصة (فى القطار) (٤٨) من أمثـــال « رحلة الحفر » و « الغصن يتارجح من الاجهاد » لمحمود عوض عبد العال ، ومثل « السحب السوداء » و « السماء ينقطع ماؤها » فى اقصوصة (معزوقة) للسعيد الورقى ، (٤٩) واستخدم السعيد بعض الاساطير ، كسيزيف وعشتروت ، رمزا فى الأقصوصة نفسها ، وهو رمز واضح بدلالة الأسطورة ذاتها . كذلك نجد من الرموز الواضحة الرموز الجنسية عند محمد حافظ رجب ، مثل (الجرح) الذى برزت من خلاله عيون مذعورة تقطر دما ، ووجه غول ممزق فى الداخل . وغير ذلك من الرموز التى تزخر بها اقصوصة « ذراع النشوة المقطوع » ، التى تصور النهم الجسدى ، والحب الفاشل والزوج المخدوع الذى يحب فى (طفولية) وكان المراة لعبة لا يستطيع ان يستغنى عنها (٥٠) كذلك نجد عنده الساعات رمزا للسنين حين يتابعها بطريقة متوالية قفزا ، وفى بعض السنوات يتوقف عند ظهيرة الساعة الخمسين ثم عند ليلها (٥١) .

وقد يكون الرمز مغرقا فى الغموض والضبابية ، كما نتمثل فى اقاصيص كثيرة لمحمود عوض ، مثل (تكوينات) و (شاب يغنى) (٥٢) ، وفى مثل صوره المجازية الرمزية (الجرائد مليئة بالثقوب ، مريضة باللوزتين) (٥٣) ، وفى استخدامه لعبة الشطرنج رمزا لقضايا إنسانية كما فى اقصوصة (مارش عسكرى غائب) (٥٤) .

د. محمد مصطفى هدارة

بقية البحث فى العدد القادم

هوامش البحث

(١) انظر القصة الحديثة فى ضوء المنهج الشكلى ـ تاليف وليم هاندى ـ ترجمة شفيع السيد ـ نشر مكتبة الشباب بالقاهرة .

(٢) انظر القصة السيكلوجية ـ دراسة فى علاقة علم النفس بفن القصة ـ تاليف ليون ايدل ـ ترجمة محمود السمرة ـ نشر المكتبة الاهلية ـ بيروت ١٩٥٩ : ٤٢ .

(٣) انظر المرجع نفسه : ٢٠

(٤) انظر المرجع نفسه : ٢٠٠ .

Axel's Castle by Edmond Wilson, ,Newyork, 1931 : 76

(٦) اصدر ثلاث مجموعات : الكرة وراس الرجل ، غرباء ، مخلوقات براد الشاى المغلى .

(٧) اصدر مجموعة «الذى مر على مدينة» ، ونشر قصصا قصيرة اخرى تطبع الآن فى مجموعة بعنوان «تحت جناحك الناعم» .

(٨) اصدر مجموعتين : الحيطان العالية ، وساعات الكبرياء

(٩) اصدر مجموعتين بعنوان : إيقاعات حزينة من زمن الموت .

(١٠) انظر اقصوصة (رجل معلق فى دوسيه) ـ مجموعة مخلوقات براد الشاى المغلى ـ نشر دار اتون ـ القاهرة ١٩٧٢ .

(١١) انظر اقصوصة (مخلوقات براد الشاى المغلى) ـ المجموعة نفسها .

(١٢) انظر اقصوصة (اصابع الشعر) ـ المجموعة نفسهـا . وغربـــال حي من الاحيـــاء الشـــعبية بالاسكندرية .

(١٣) انظر اقصوصة (عظام فى الجرن) . المجموعة السابقة .

(١٤) من مجموعة (الذى مر على مدينة) ـ توزيع دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٧٤ .

(١٥) من مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

(١٦) من المجموعة السابقة .

(١٧) من مجموعة (الذى مر على مدينة) .

(١٨) من المجموعة السابقة .

(١٩) من المجموعة السابقة .

(٢٠) من مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

(٢١) انظر (تحت الجامع و (اخر السكة) و (جرح مفتوح) فى مجموعته «ساعات الكبرياء» نشر دار الآداب ـ بيروت ـ ١٩٧٢م .

(٢٢) طبع مطبعة الجيزة بالاسكندرية ـ ١٩٨١ .

(٢٣) من المجموعة السابقة .

(٢٤ ـ ٢٧) من المجموعة السابقة .

(٢٨) انظر اقصوصة «عظام فى الجرن» من مجموعة «مخلوقات براد الشاى المغلى» .

(٢٩) انظر اقصوصة «مخلوقات براد الشاى المغلى» للمجموعة نفسها .

(٣٠) انظر اقصوصة «اصابع الشعر» ، المجموعة نفسها .

(٣١) انظر الاقصوصة السابقة .

(٣٢) انظر «زمن حدوث» مجموعة (الذى مر على مدينة) .

(٣٣) انظر «الفنان» مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

(٣٤) انظر «كلمات اسير» المجموعة السابقة .

(٣٥) انظر «تحت الجامع» ، «اخر السكة» ، «الاميرة والحصان» من مجموعة (ساعات الكبرياء) .

(٣٦) انظر

the Lonely Voiee by F. O.' Connor

ترجمة محمود الربيعى ـ نشر الهيئة العامة للتاليف والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٩ .

(٣٧) المرجع نفسه : ٩ .

(٣٨) انظر القصة السيكلوجية : ١٠٥ .

(٣٩) من مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

(٤٠) المجموعة السابقة .

(٤١) المجموعة السابقة .

(٤٢) انظر (كلمات اسير . و (امتداد) . (الفنان) من المجموعة السابقة .

(٤٣) انظر مجموعة (الذى مر على مدينة) .

(٤٤) انظر مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

(٤٥) انظر بصفة خاصة (تحت الجامع) و (الاميرة والحصان) من مجموعته (ساعات الكبرياء) .

(٤٦) من مجموعة (الذى مر على مدينة) : ٦٤ .

(٤٧) انظر القصة السيكلوجية : ٦٤ .

(٤٨) مجموعة (الذى مر على مدينة) .

(٤٩) مجموعة (ايقاعات حزينة من زمن الموت) .

(٥٠) مجموعة (مخلوقات براد الشاى المغلى) .

(٥١) اقصوصة (مخلوقات براد الشاى المغلى) من المجموعة السابقة .

(٥٢) مجموعة (الذى مر على مدينة) .

(٥٣) اقصوصة (تكوينات) من المجموعة السابقة .

(٥٤) مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

قصة من تاريخ العريش

الخواجة شمعون

بقلم : درويش مصطفى الفار

من المضحكات فى التاريخ ، ان البريطانيين ، اثناء احتلالهم لمصر ، بذلوا جهدا علميا ممتازا ، لاثبات ان حدود مصر الشرقية هى الخط الممتد بين رفح شمالا وراس خليج العقبة جنوبا ، وكان ذلك سنة ١٩٠٦ اثناء نزاعهم مع الدولة العلية إثر حادثة بير طابا التى افتعلوها انذاك ، واعلنوا للعالم ان شبه جزيرة سيناء كلها ، ارض مصرية منذ فجر التاريخ ، وكانت شبه الجزيرة قبل حفر قنال السويس سنة ١٨٦٩ وقبل الغزو البريطانى سنة ١٨٨٢ تنقسم الى ثلاثة اقسام اساسية ، فيطلق على جنوبها الوعر الشاهق الذرى اسم طور سيناء ، دون اى سند علمي محقق على انها سيناء التوراة والانجيل والقران الكريم ، وكان اقصى شمالها يسمى ارض الجفار ، اى الآبار الواسعة غير العميقة ، وكان الجفار مشهورا بنخيله ورمانه واعنابه واسماكه ، وبين طور سيناء والجفار كان ما يسمى بلاد التيه ، زعما ان تيه اتباع موسى اربعين عاما كان فيه ، دون حقائق علمية ايضا يستند اليها ... واجتاح الاتراك مع حلفائهم الالمان شبه جزيرة سيناء منذ اوائل الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) واتخذ القائد الالمانى كريسن فون كريسنشتاين مقر قيادته لدى بير المغارة وبير مويرب فى شمالى سيناء ، ولعبت الخيانة دورها العتيد ، على ايدى متعهدى التموين للجيش التركى الرابع ، فكان الماء والغذاء لا يصلان بالقدر الكافى ولا فى المواعيد المنتظمة ، فاستطاع البريطانيون ان يعيدوا سيناء الى قبضتهم إثر معارك الرمانى والمقضبة وبير الدويدار وانسحاب العثمانيين ، فافتى مفتى السياسة فى بريطانيا العظمى ، بان سيناء ارض عدو حررها الانجليز بدماء الاستراليين والنيوزيلنديين والهنود والافارقة وغيرهم من عسكر الامبراطورية ، فهى إذن ارض (بريطانية) وليست ارضا مصرية !!: علما بان من هلك من المصريين ، بدوا وحضرا ، من سائقى (جمال السلطة) وعمال السكة الحديد ، كانوا اكثر ممن هلك من البريطانيين ... ومن منطلق ان سيناء المحررة من الاتراك تابعة للتاج البريطانى ، كان اختيار الميجر (الرائد) كلود سكودامور جارفس سنة ١٩٢٣ الذى كان احد ضباط جيش اللنبى ، محافظا لسيناء خلفا للكولونيل الفرد باركر (بركل بك) ابن اخت اللورد كتشنر ...

كان جارفس رجلا قصير القامة ، تكسو سمعه مسحة من صمم ، حتى سمود فى سيناء (الأطرش) ، وكان يلبس فوق راسه طربوشا مصريا احمر يميله نحو اذنه اليمنى باعتبار انه موظف فى حكومة جلالة ملك مصر ، بيد انه كان يعتبر سيناء مملكة خاصة داخل المملكة المصرية يتصرف فيها كما يشاء ، على اساس انه (مسنود) من الغرب بجيش الاحتلال البريطانى وفخامة المندوب السامى بقصر الدوبارة فى القاهرة ومن الشرق بحكومة الانتداب البريطانية صاحبة الحول والطول فى البادية والحاضرة بكل من فلسطين وشرقى الاردن

... وظل الاميرالاى جارفس بك محافظا لسيناء حتى سنة ١٩٣٦ ، والف عنها من الكتب ونشر من المقالات ، ما لم يكتبه محافظ قبله ، ولا بعده ، عن اية محافظة فى اى دولة فى العالم كله ...

وللحقيقة والتاريخ ، وباعتبار ان سيناء مملكته الخاصة ، فقد بذل الاطرش جهودا ، لاتزال اثارها باقية ، (لتحديث) سيناء وتمدينها ، طبقا لوجهة نظره كبريطانى فى المدنية ، فعبد الطرق ، ليسهل على السائحين ارتيادها واختراقها فى رحلاتهم بين مصر وفلسطين ، واقام الجسور والسدود وانشا الاستراحات وادخل رياضة الصيد برا وبحرا ، ومد اسلاك التليفونات والكهرباء ، وعين اول مجلس بلدى لمدينة العريش ورصف فيها اول طريق بالاسفلت ، واستورد من بريطانيا الالات لضخ المياه من الآبار وتوزيعها عبر شبكة من المواسير (البريطانية الصنع طبعا) فى ارجاء البلدة ...

وكان جارفس ، شان اى خواجة يتولى حكم منطقة عربية ، يرى ان الاختلاط بالخواجات ضروري لتمدين وتحضير العرب ، ومن هنا سمح ليونانى يسمى (الخواجا توما) بانشاء (حلة) فى السوق الكبير ، ومنح إقامة دائمة لخياط مالطى وزوجته (كمريرا مدام مولكون) لتفصيل الملابس الافرنجية للموظفين ، ولمن يغريه اللباس الافرنجى من (الافندية) من الاهالى ، وعاون قبرصيا يونانيا فى انشاء (ورشة) للنجارة ، اشتهرت سنوات فى العريش بورشة (الخواجا



هكذا كان يبدو الخواجة شمعون .



الميجور «جارفس» يتفقد طابور الشرف المصطف لاستقباله عند عودته من الاجازة .. الطابور من رجال سلاح الحدود المصرى الذى انشاه الانجليز عام ١٨٩٧

خريستو) واستجلب (المسيو ارتين) ليصبح فى العريش الساحر الاوحد فى صناعة الصور (الفوتغرافية) التى كان الناس يحملقون فيها مشدوهين مبهورين ..

وكان ، الذى نحن بصدده اليوم ، الخواجة شمعون ، يهوديا يمنيا ، يقيم فى فلسطين منذ الت حمايتها الى بريطانيا العظمى ... وكانت بريطانيا العظمى يعنيها لحاجات فى انفس ابناء يعقوب ، تيسير العوائق وتسهيل تنقل (رعاياها) بين مصر وفلسطين ، لاعمال التجارة والمعاش ، فى نفس الوقت الذى كانت فيه تجعل من قناة السويس ، عند القنطرة ، والشط ، الحدود العملية بين مصر وفلسطين ... فكان (الخواجة شمعون) ياتى الى العريش فى موسم معين لشراء كميات من سعف النخيل الذى يستخدم فى بعض الطقوس الدينية لدى اليهود والنصارى ، وكان جارفس قد اخترع إقامة معرض سنوى فى العريش تحت اسم (المعرض الزراعى الصناعى) ليتبارى فيه الناس فى عرض مزروعاتهم ومصنوعاتهم اليدوية . فطرات لشمعون فكرة المشاركة فى هذا المعرض ببعض الادوات التى تصنع من الخوص وجريد النخل . ومليتقن بنو جلدته من يهود اليمن صـــناعته من الحلى الفضـــية المزركشة ، فتعرف عليه جارفس ، واغراه بالعيش فى العريش واقنع احد الاهالى بتاجير بيت له فى شارع (المصابحة) ...

استقر الخواجة شمعون فى العريش وافتتح دكانا فى بيته لبيع الاقمشة والصابون والعطور والحلى الذهبية والفضية . واصبح بحسن التصرف واللباقة انسانا مشهورا لدى البدو والحضر على السواء ... وكان رجلا هادئا باسما ممتلىء الجسم ذا لحية رمادية كثة مسترسلة ، وكان يلبس قفطانا اسمر ويتمنطق بحزام ، ويضع على راسه طربوشا اسود لا بالطويل ولا بالقصير صيفا وشتاء ويسير برزانة متوكئا على عصا من فروع شجر اللوز واختلط بالناس ، فهو يقدم الهدايا فى الافراح ، ويمشى للتعزية هو وزوجته (ام حاييم) فى الماتم ، ويمتنع عن الطعام والشراب فى نهار رمضان ، ويصبر على المديونين والمعذورين ، ويدفع عدا ونقدا اثمان ما يشتريه من سعف النخيل ، وثمار الحنظل التى كان يرسلها على ظهور الابل لاحد المصانـــع الكيماويـــة فى فلسطين ...

وكان اليهود منذ ١٩٠٩ ، قد بداوا فى بناء ضاحية لهم فى مشارف يافا ، اسموها (تل – افيف) اى جبل الينبوع ، او تحريف (تل عفيف) كما تقول إحدى الروايات ...

ولما كانت من خصائص اليهود الازلية ، البحث والتحرى عن كل شىء ينفع فى التجارة ، فقد عثر الخواجة شمعون على كنز ثمين على شاطىء البحر الابيض غرب العريش .. إذ من المعروف ان براكين جنوب اوروبا وخاصة فى صقلية وجزر الارخبيل حول اليونان ، قذفت بملايين الاطنان من الرماد البركانى الذى يعرف بحجر الخفاف او (الخفاف) كمايسميه اهل العريش ، حيث تستخدمه النساء فى الحمامات لازالة القشف وتطرية الجلد ... وتحمل الامواج ذلك الخفاف عائما على سطح الماء الى الساحل الجنوبى للبحر المتوسط حتى يصل كم هائل منه الى ساحل سيناء الشمالى ، ويستقر هناك تحت طلب العارفين ... فلما شرع بنو شمعون فى بناء العمارات بالاسمنت المسلح ، بحثوا عن مصدر لمادة خفيفة الوزن تخلط بالاسمنت بدل الحصى الثقيل وتقوم مقامه من حيث التحمل والمتانة ، فوجدوا ضالتهم من دفتر المعلومات عند الخواجة شمعون بالعريش

وشهدت الثلاثينات قبل الحرب العالمية الثانية قوافل الابل المحملة بالخفاف تاخذ طريقها ، الدرب السلطانى ، بين ساحل سيناء الشمالى وتل ابيب تسير بلا اناة ، لتفرغ احمالها هناك ، وتعود محملة بخيرات فلسطين من البرتقال والزبيب وزيت الزيتون والصابون ...

وفجاة اختفى الخواجه شمعون ...

وقام العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ ...

وفوجىء احد سكان شارع المصابحة يوما ما ، بضابط اسرائيلى يطرق بابه ، ويعرف نفسه قائلا :

انا حاييم ابن الخواجه شمعون !!!

لقد ولدت فى هذا البيت ، الذى لم يستطع ابي ان يشتريه منكم وكان يتمنى ذلك ليقضى بقية عمره فيه ، بعيدا عن ذلك الجحيم الذى اوقعتنا فيه نظريات الهوس العنصرى الصهيونية ، التى ساعدتموها انتم معشر العرب ، وانتم لا تشعرون .....

مدريد تستعيد وجهها العربي القديم

في أسبانيا احتفل العالم بالذكرى العاشرة لعميد الأدب العربي

بقلم : فتحي سعيد

مدريد عربية !

نعم .. استعادت مدريد وجهها العربى القديم عبر ستة ايام فى الشهر الماضى، بعد ان عاشت به ثمانية قرون كاملة، تزهو على العالم من خلال نافذة الحضارة القديمة التى تطل على اوربا ، وافريقيا ، والبحر الأبيض ..

تالق وجه طه حسين عميد الأدب العربى تحت سماء اسبانيا وربوع الأندلس وكانما يحمل معه فى ذكراه العاشرة ريحا عربية تفوح بعطر الشرق وتعانق مهدها العربى القديم .. وتغتسل بامطار مدريد الربيعية ..



د. طه حسين الذى احتفل العالم بذكراه العاشرة فى اسبانيا

لم يمنع تساقط المطر المنهمر ، وموجات البرد المفاجئة من توافد الكثيرين للمشاركة فى الاحتفال بالذكرى العاشرة لطه حسين فى قاعته الكبرى المسماة باسمه فى قلب المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، الذى انشاه طه حسين فى نوفمبر عام ١٩٥٠ ، ليكون منارة اشعاع اخرى تضاف لآثارنا العربية التى تملأ ربوع اسبانيا ، ولينشر الثقافة العربية عبر الاسبان من خلال الدراسات والحلقات والمكتبة العربية النادرة (٢٥ الف كتاب) والمهداة من الاسكوريال ..

فى قلب قاعة طه حسين الكبرى افتتح مهرجان الذكرى فى الخامس والعشرين من شهر ابريل المنصرم .

ولم ينفرد المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بالاحتفال بهذه الذكرى ، ولكن شارك فيها المعهد الاسبانى العربى للثقافة وجامعة مدريد المستقلة ، وجامعة غرناطة .

اشترك فى المهرجان الكبير وفود من مختلف بلاد العالم .. وقد مثل وفد مصر من الأدباء ورجال الجامعة : الدكتور ابراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية ، والأديب يحيى حقي ، والدكتور عز الدين اسماعيل امين المجلس الاعلى للثقافة ، والدكتور احمد هيكل عميد كلية دار العلوم والدكتور رمضان عبد التواب عميد آداب عين شمس ، والدكتور محمود علي مكي رئيس قسم اللغة العربية بكلية آداب القاهرة والدكتور عبد الحميد ابراهيم .. جامعة المنيا ، والدكتورة هدى وصفى الأستاذة بآداب القاهرة ، والدكتور جابر عصفور الأستاذ بآداب القاهرة ، والدكتور صلاح فضل المستشار الثقافي لمصر فى مدريد وعميد المعهد المصرى للدراسات الاسلامية والدكتور محمد حسن الزيات وحرمه عن اسرة طه حسين .

ظاهرة تاريخية

افتتحت الندوة الدولية فى السادسة مساء بكلمة صلاح خليفة سفير مصر فى



اشترك فى الاحتفالات وفد مصرى من الادباء واساتذة الجامعة وهم من اليمين الى اليسار : د. محمد حسن الزيات ، يحيى حقى ، صلاح خليفة ، ود. بيومى مدكور ، ود. عز الدين اسماعيل .

مدريد ، رحب فيها بالسفراء العرب الذين حضروا الافتتاح ، وقال ان هذا المعهد ثمرة من ثمرات طه حسين لذلك فهو انسب مكان للاحتفال به .

ثم افتتح الندوة المستشار الثقافى لمصر د . صلاح فضل بكلمة نوه فيها بدور طه حسين فى الأدب العربى وبالذكرى العاشرة التى يحتشد لها هذا الحفل من كل فج لتكون هذه المناسبة العاطرة فى قلب القاعة التى تحمل اسم العميد تكريما له واعترافا بفضله فى إنشاء هذا المعهد الذى كافح طه حسين طويلا ليكون منارة اسلامية فى قلب اوربا ..

تم راس الجلسة د . ابراهيم مدكور رئيس المجمع اللغوى ، وتحدث عن معاصرته لطه حسين وصلته الفكرية ، والتى استمرت خمسين عاما ، عمل خلالها معه استاذا . وكان طه حسين عميدا للآداب حيث انضم لمجمع اللغة العربية عام ١٩٤٠ ، ولحق به الدكتور مدكور عام ١٩٤٦ وطالت الصحبة بينهما فى اروقة مجمع الخالدين .

وتحدث الدكتور مدكور عن حفاوة طه حسين بالتراث العربى واهتمامه ببعثه واحيائه وكيف صدر كتاب ابن سينا « الشفاء » ثم كتاب مجهول هو « المغنى للقاضي عبد الجبار » « وكتاب الدين للشيبانى » ، ثم المعجم الكبير الذى اضطلع بعبء إخراجه وابى ان يشاركه احد رغم قيامه باعباء الوزارة واستغرق هذا العبء عشر سنوات .

وتحدث الدكتور مدكور عن امنية طه حسين فى ان يكون للمجمع اللغوى دار مستقلة لائقة ، وكان يشبهه بقوله : « إن مجمع اللغة العربية اشبه برجال البادية ينتقلون من نجع إلى نجع فهل يكون لهم دار » .

وتم بناء الدار ولكن بعد رحيل العميد ولو كان حيا لافتتحها اليوم . !

واحة فى قلب المعترك

وتحدث الاديب يحيى حقي فقال :

« من عالم ممزق تملؤه الحروب والتلوث لا فى الغبار والهواء فحسب بل تلوث هذا السيل من الاسلحة الفتاكة حتى ترى الزنجى مريضا فى الغابة وبقرته مريضة بجواره ويحمل بين يديه سلاحا فتاكا بدلا من ان يحمل فأسا او غصنا .

فى هذا المعترك .. نلوذ بهذه الندوة كانها الواحة فى ظل طه حسين الذى وهب حياته لبلاده حبا وعملا ليحقق الصلة بين حضارة مصر وحضارة البحر الابيض . لقد وضع طه حسين امامه سؤالا واحدا : ماذا ناخذ من الحضارة وماذا نترك ؟ ذلك بان نقتبس المنهج العلمى السليم الذى قفزت به اوربا قفزة حضارية واسعة واؤكد لكم ان القضايا الفكرية التى نعيشها اليوم عام ١٩٨٣ هى نفس القضايا التى اهتم بها طه حسين .. ولان المستنقع كان كبيرا فكان لابد ان يلقى طه حسين حجرا كبيرا ليحرك هذا الركود ويبعث الحياة فى اوصال الادب والنقد الحر .. ولقد هوجم كثيرا واغلظوا له القول .. ورد على مهاجميه فلم يذكر كلمة نابية واحدة أو لفظا فاحشا بينما المحوا هم إلى عاهته وعماه . ! » .

واختتم يحيى حقى كلمته بقوله : « إن طه حسين صاحب جوانب كثيرة ومعارك اكثر .. الجامعة وكيف نشات على يد لطفى السيد ويديه .. فى الصحافة الادبية .. فى المسرح .. فى الترجمات من أدب اليونان والفرنسيين .. الاهتمام بالفرقة القومية .. احترامه للفصحى وكم سحرنا بصوته العذب واثبت اللغة فى اذان المستمع . ومازلت اذكر فى إحدى زياراتى له .. حين وجدته جالسا على مقعد كبير فى ركن الحجرة وقلت لنفسى هذا الرجل القادم من الصعيد يجلس ويبدو كفارس من فرسان العصور الوسطى لمهابته وفرط جلاله وترنمت بهذا البيت :

يغضي حيــاء ويغضي من مهابتـه
فلا يــكلم إلا حين يبتســـم

كيــان كامل

والقى الدكتور عز الدين اسماعيل امين المجلس الأعلى للثقافة كلمة قال فيها :

« كان طه حسين ظاهرة تاريخية تحمــل مسئولية تجديد الأدب العربى فى العصر الحديث ، ومهمة تمحيص الادب الجاهلى وإجــلاء صورته فى الاذهان لم تكن اقل خطرا من الادب الحديث . وادرك طه حسين ببصيرته النفاذة ان الحياة الادبية لكى تنهض لابد لها أن تنفتح على الحضارة الغربية بدءا من تراثها الاغريقى حتى المعاصر ، فانشا قسما للدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب وهيا مناخ التفاعل بين الأدب العربى وغيره من الاداب .

ومن الهموم التى حملها طه حسين فى قلبه وعقله إعادة صياغة تاريخ البعثة المحمدية وما اعقبها من احداث فى « هامش السيرة ـ الفتنة الكبرى ـ الوعد الحق » .

واقتحم فن الرواية والسيرة الذاتية فابدع « الايام » ـ « دعاء الكـــروان » و « المعذبون فى الارض » و « شـــجرة البؤس » .. وهو ابداع ادبى استطاع ان يشق له لغة خاصة تنم عليه وتظل نموذجا يحتذى فى تماسك بنائها وموسيقاها .

كل هذا يجعل من طه حسين ظاهرة تاريخية وليس شخصية ادبية فلا يمكن حصره فى تلك الدروب فنتحدث عنه كاتبا روائيا واديباومنظرا ثقافيا .. لانه لم يكن واحدا من هؤلاء ولا مجموع هؤلاء ..

ولكنه كان كيانا كاملا سطع فى حياتنا



جانب من الندوة التي احتشدت فيها مجموعة من مفكري وادباء العالم .

منذ كان ذلك الفتى الضرير الفقير القادم من احدى قرى الصعيد ليكون ذلك العلم الرفراف فى سماء حياتنا الأدبية » ..

هذا المعهد الاسلامي

وتحدث دكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر السابق وزوج السيدة امينة طه حسين التى صحبته فى الندوة الدولية لذكرى والدها .. فقال :

« إن هذا المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد .. كان حلما من احلام طه حسين منذ ان زار غرناطة والاندلس .. فحلم ان ينشىء هذا المعهد ليكون منارة إشعاع عربى واسلامى .. فى مهد عريق اثراه العرب طوال ثمانية قرون وها نحن نتحدث فى ذكراه من قلب هذا المعهد بعد ان صار حقيقة ومن قاعته الكبرى المسماة باسمه رمزا للوفاء .

واذكر فى الأربعينيات ان جامعة اكسفورد اخرجت كتابا للعالم الكبير (اديلا اوف باف) الذى ضاق بالدراسة فى جامعة اكسفورد فى منتصف القرن الخامس عشر وهاجر إلى باريس فضاق بجامعتها واساتذتها ايضا فتركها إلى اسبانيا حيث اقام فى جامعة طليطلة . وكان العرب هم الأساتذة والطلاب ، فتعلم العربية وترجم امهات الكتب القديمة ، واخذ يبعث برسائل إلى اصدقائه فى جامعة اكسفورد يقول فيها : « إن العلم هو علم العرب » .

اذكر اننى عرضت فصولا من هذا الكتاب على الدكتور طه حسين فاختار لها عنوانا (قابس النار) ورأى ان المؤلف قبس نار العرب ليشعل عصر النهضة فى اوربا ، وترجمها طه حسين ، ونشرها فى الأهرام تحت هذا العنوان » .

وختم الدكتور الزيات كلمته بشكر المعهد المصرى وعميده والمحتفين والوفود العربية والاجنبية ، وردد قول طه حسين المأثور :

« بارك الله هذا الثمر الكريم فى هذا الغرس الكريم » .

معرض الكتاب

وانتهت كلمات الافتتاح للندوة الدولية فى ذكرى طه حسين العاشرة . حيث قام السيد / صلاح خليفة سفير مصر فى مدريد ، بافتتاح معرض الكتاب وكان قد القى كلمة رحب فيها بالوفود وبالسفراء العرب الذين حضروا الافتتاح وبالاساتذة المتحدثين قائلا :

« إن هذا المعهد كان ثمرة طيبة من ثمرات طه حسين ، ولهذا فان قاعات هذا المعهد هى انسب مكان للاحتفال بعميد الأدب العربى » .

وقد ضم معرض الكتاب الذى اقامته هيئة الكتاب ، ودار المعارف ، والاهرام العديد من مؤلفات طه حسين فى طبعات مختلفة والعديد من الدراسات التى كتبت عنه .

وسام الفنون

وتتابعت ايام المهرجان على مدى الاسبوع بين مدريد وغرناطة فتحدث فى اليوم الثانى د . عبد الله الطيب مدير جامعة الخرطوم السابق عن « طه حسين فى نقد الشعر » .. مركزا حديثه على كتاب « حديث الأربعاء » خاصة ، وما حفل من عرض منهجى لشعراء الجاهلية والاسلام .

واعقبه د . شارل فيال من فرنسا ، فتحدث عن « طه حسين الروائى » عبر اعماله الروائية وسيرته الذاتية .

وتحدث دكتور رمضان عبد التواب عميد اداب عين شمس عن « طه حسين فى مجمع الخالدين » فالتقط الجانب الآخر فى طه حسين .. وهو جانب عضو المجمع اللغوى ودوره فيه وإسهامه فى بعث التراث وتوطيد اللغة العربية ..

وتحدث الدكتور انور لوقا « سويسرا » عن الأيام والغرب من رفاعة الطهطاوى الى طه حسين . وكان مسك الختام حديث الدكتور العلامة محمود علي مكي (جامعة القاهرة) وهو احد القلائل العرب الذين ترجموا الأدب الأسبانى الى العربية عبر ثلاثين عاما من الدراسة والاقامة فى اسبانيا .. وهو احد القلائل ايضا الذين عينوا عضوا بالجمعية الملكية الأسبانية ، والذين حصلوا مؤخرا على وسام الدولة الأسبانية فى العلوم والفنون وهو صاحب كتاب « مدريد عربية » « ولوركا » وعشرات الدراسات عن الشعر الأسبانى .. والمسرحيات الاسبانية ..

وقد تحدث الدكتور محمود مكي عن « طه حسين والمتنبى » من خلال كتاب العميد « مع المتنبى » .

وتوالت عبر ايام الأسبوع كلمات الوفود فتحدث الشاعر العراقى عبد الوهاب البياتى عن التأثير الفكرى لطه حسين على حركة الشعر الحديث .

وتحدث كورنو لويس نيهلاند « هولندا » عن « دعاء الكروان رواية ذات رسالة » .

والقى الدكاترة عبد السلام المسدى « تونس » وهدى وصفى « مصر » بحثين عن طه حسين ومقولة الأجناس الأدبية نموذج السيرة الذاتية و « اوديب بين أسطورة سوفوكليس وواقع طه حسين » .

وتحدث د . عبد الحميد ابراهيم «جامعة المنيا» عن الشكل القصصى عند العميد واختلاف تجربته من خلال اعماله شهرزاد ، واوديب ، وشجرة البؤس .

شيخ المثقفين العرب

وفى مقر المعهد الأسبانى العربى للثقافة .. وهو مبنى عتيق من الطراز العربى الأصيل الذى تفوح من قاعاته الرحبة رائحة الشرق .. وتنتشر على جدرانه وسقوفه ونوافذه الرسوم والخطوط العربية القديمة بالوانها الزاهية اللامعة حتى اليوم ..

وفى قاعة المحاضرات الكبرى .. القى الدكتور بدرو مارتينث المستشرق الاسبانى العلامة الذى ترجم كثيراً من أمهات الكتب العربية إلى اللغة الاسبانية ويقوم حالياً بترجمة مختارات من الشعر العربى الحديث .. القى بحثاً مطولا عن طه حسين كشخصية رائدة واساسية فى تاريخ الفكر العربى المعاصر واعتبره شيخاً للمثقفين العرب المعاصرين وشاهداً على عصره ، عاصر اهم فترات بناء مصر الحديثة ليس فقط فى المجال النظرى والفكرى ، ولكن فى الحياة اليومية ، مؤكداً أن الحضارة المصرية والعربية هى التى انجبت طه حسين .

وفى صباح الخميس الثامن والعشرين من ابريل .. عقدت ندوة كبرى فى جامعة مدريد المستقلة ادارها د . بدرو ، واشترك فيها الدكاترة : محمود علي مكي ، وماركوس مارين ، وصلاح فضل عميد المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، وكارمن رويث من جامعة مدريد .

وفى مســاء نفس اليوم .. واصلت الندوة احتفالاتها فتحدث دكتور محمــد برادة « المغرب » عن مفهوم الحداثة عند طه حسين ، حيث عرض لهذا المفهوم من خلال كتابين هما « حافظ وشــوقى » و « حديث الأربعاء » باعتبار ان الحداثة عنصر اساسي فى إشكالية النهضة العربية منذ بدايتها حتى الآن .

اما الدكتور كمال ابو ديب « الاردن » ، والدكتور جابر عصفور « القاهرة » فقد القيا بحثين جديدين اثارا كثيراً من اللغط بين المحتفلين . حيث تحــدث ابو ديب عن « شعريات للسمع » شارحا الفرق بين التاليف البصرى الذى يعتمد على المشاهدة والتاليف السمعي الذى يعتمد على السماع ، وطبق ذلك على نتاج طه حسين الأدبى .

وتحدث جابر عصفور عن طه حسين والمرايا المتجاورة ومدى انعكاس الصــور الأدبية فى عالمه الخيالى .

والقي د . محمود صبح « فلسطين » بحثاً عن طه حسين وثقافة البحر الابيض المتوسط باعتبار ان هذا البحر ضفاف عربية حملت إلى الغرب ثقافة العرب كما حملت إلى العرب ثقافة الغرب .

غرناطة مملكة القرنفلة

وفى اليوم الخامس للندوة الدولية .. سافرت الوفود المشتركة إلى غرناطة بدعوة من جامعتها .. حيث قامت بزيارة قصر الحمراء ، تحفة العرب الخالدة الشماء التى تطل على ميدان البيازين الشهير ، والذى تنتشر على جدرانه العالية ايات القران الكريم ، وابيات من الشعر لابن الخطيب وغيره من شعراء الاندلس ..

وغرناطة .. مهد لوركا .. شاعر اسبانيا الكبير .. ومعناها القرنفلة ، وهى رمز هذه المدينة التى تفوح فى اجوائها رائحة الخضرة والزهور النادرة .. وتحتضنها من كل جانب القلاع والحصون العربية الرابضة كأنها اطلال العرب الخالدة مع العصور .. والتى اوحت لجمالها وطبيعتها الخلابة لكثير من الشعراء باروع القصائد التى يجرى فى عروقها الدم العربى امثال « مانويل » الذى يقول معترفاً بذلك :

.. أنا من جنس عربى .

جنس كان صديقاً قديما للشمس .

وروحى هى روح الزنابق العربيــــة الأسبانية .

وفود المؤتمر

- الدكتور عبد الله الطيب : مدير جامعة الخرطوم .
- الدكتور انور لوقا : جامعة جنيف .
- الدكتور والمستشرق الأسبانى بدرو مار تينث : اسبانيا
- عبد الوهاب البياتى : المستشـــار الثقافى لحكومة العراق فى مدريد .
- كورنو لويس نيهلاند : عن جامعة امستردام بهولندا
- عبد السلام المسدى : جامعة تونس
- د . كمال ابو ديب : جامعة اليرموك بالاردن
- د . محمد برادة : جامعة المغرب
- د. محمود صبح : فلسطين
- دكتور انطونيو جابيجو : مدير جامعة غرناطة .
- الدكتور الأب داريو كابانيلاس رئيس قسم اللغة العربية بجامعة غرناطة .

ومثل جارسيا لوركا .. ابن احدى قرى غرناطة « فونتى فاكيروس » والذى يقول واصفاً موطنه غرناطة : « اما غرناطة فتقوم على جبلها وحيدة منفردة منعزلة لا منفذ لها تطل منه على العالم إلا من اعلى من قبل السماء والنجوم » .

وتحت رذاذ المطر المتواصل والسماء الملبدة بالسحب وقطرات البرد .. اقيم اليوم الختامى السادس لندوة طه حسين الدولية حيث اقيم الاحتفال فى مبنى المدرسة العربية العتيقة الملحق بجامعة غرناطة فالقى الدكتور انطونيو جابيجو مدير الجامعة كلمة ترحيب بالوفود وبصاحب الذكرى ، واعلن منح جامعة غرناطة الدكتوراه الفخرية لطه حسين التى تم التوقيع عليها اليوم احتفالا بهذه الذكرى الغالية .

والقى الدكتور صلاح فضل المستشار الثقافى المصرى فى مدريد رسالة الدكتور جارثيا جومث تلميذ طه حسين وصديقه الذى تحدث عن هذه الصداقة فى كلية الآداب بالقاهرة ، حيث تعلم من طه حسين الكثير ، وكم تمنى لو حضر العميد منذ سنوات ليتسلم بنفسه الدكتوراه الفخرية ، ومن شروطها حضور صاحبها ليتسلمهـا بنفسه ، ولكن الجامعة اعفت طه حسين من هذا الشرط الأساسى واعلنته بذلك .

وفى الختام القى الدكتور احمد هيكل عميد كلية دار العلوم كلمة جامعة القاهرة فتحدث عن « جانب الجامعية » عند طه حسين .. وكيف كأن جامعيا بمعنى الكلمة يحرص على كرامة الجامعة وكرامة استاذها ، ويحرص على حرية الطلاب .. ولا يخضع لغير إرادته ومصلحة الجامعة العليا ..

● ●

واخيراً .. انتهت الندوة الدولية لذكرى طه حسين العاشرة بعد ستة ايام متوالية ، تحت سماء مدريد ، وغرناطة وقد تالق وجه عميد الأدب العربى عبر الأفق .. يرى كيف يحتفل الغرب بذكراه وفضله .. وكان روحه تحلق عبر الربوع العربية العريقة يدور حول الديار ويتنسم عبير الماضى وهو يردد بيت الاحوص الاثير لديه :

ادور ولولا ان ارى ام جعفـــر
بابياتكم مـــادرت حيث ادور !

فتحي سعيد — مدريد

بعض العظماء وصلوا إلى القمّة بعد السبعين



بقلم: د. عزالدين فراج

أعمار الناس لا تقاس بالسنوات ، فهذه الصفحات التى نقطعها من مفكرة الحائط كل صباح باسمائها وارقامها لا تعنى سوى مجرد نظام صنعناه نحن بايدينا ، نحدد بها حياتنا وعلاقتنا بهذا الكون الواسع وكل ما يحدث فيه . قالوا ان العمر ساعات وان للحياة مقاييس زمنية . وكل هذا صنعناه بانفسنا .. صنعناه لنحدد حياتنا بالدقائق والساعات التى حولت الحياة البسيطة الى آلة معقدة .

نسينا أن عمر الانسان هو ما يشعر به من حيوية ونشاط يدفعه الى الاقبال على الحركة والعمل وما يشعر به الانسان على قدرته على التركيز والتفكير .

وللشيخوخة مظهران ، مظهر بدنى يتعلق بحالة الجسم وشكله ، ومظهر نفسانى يتعلق بالمشاعر وحالة النفس ، ومن المظاهر الجسمانية، فالجلد يبدأ فى الجفاف منذرا بتكوين التجاعيد ، والشعر يصير رماديا وفى معظم الأحيان رفيعا . اما العين فتاخذ عدستها فى التعتم كما يفقد الجهاز السمعى بعض كفاءته. وبالاضافة الى ذلك يميل الجسم إلى السمنة في حين تنكمش العضلات وتتيبس المفاصل وربما تتورم .

وبخلاف ما تقدم فان الأجهزة الداخلية فى الجسم يصيبها ضعف القلب وضعف كفاءته تدريجيا وتصبح الاوعية الدموية اقل ليونة ، ويضعف نشاط الرئتين والكليتين .

مجموعة من العباقرة الذين بلغوا اوج مجدهم فى الشيخوخة وهم من اليمين الى اليسار : اسحاق نيوتن الذى بلغ من العمر (٨٦ عاما) ، فولتير (٨٤ عاما) ، وليو تولستوى (٨٢ عاما) ، ومايكل انجلو (٨٩ عاما) ، والموسيقار جوزيف فردى (٨٨ عاما) وريتشارد فاجنر (٧٠ عاما) .

وليت الأمر يقتصر على ذلك بل تضعف مقاومة الجسم للأمراض المعدية ويصبح لقمة سائغة لها ، فضلا عما يتربص له من امراض كتصلب الأوعية الدموية والسكر والسرطان .

ويرى بعض الاخصائيين ان الشيوخ عرضة للاصابة بالاضطرابات العاطفية وضعف الذاكرة والشعور بالضعف العام والميل الى العزلة . وتعتبر هذه الامراض من الأمور العادية ولا تحتاج لعناية خاصة وإن كان بعض الأطباء يخالف هذا الرای. وفى اعتقاده ان الرعاية الطبية لهؤلاء الشيوخ قد تمنع تدهورهم .

إطالة العمر

والانسان يشيخ بسبب ضعف جهازه المناعى . فالاجسام المضادة وبعض كريات الدم البيضاء التى ينتجها الجهاز المناعى قد اودع فيها المولى قدرة التعرف على البكتريا والفيروسات التى تغزو الجسم ومهاجمتها . ويعتقد بعض الباحثين انها تقوم ايضا بمعرفة وتدمير الخلايا السرطانية الأولية عند ظهورها فى الجسم . ولكن عندما يتقدم الانسان فى العمر فان هذا الجهاز المناعى يفقد القدرة على التفرقة بين ما هو عدو وما هو صديق .

ويقرر الدكتور « روى ولفورد » أن انتاج الأجسام المضادة لا يضعف مع تقدم السن فحسب بل ان الاجسام المضادة الذاتية ـ التى تهاجم انسجة الجسم نفسه ـ تأخذ فى الزيادة .

لذلك لا غرابة ان تجرى الابحاث بهدف اعادة هذا الجهاز المناعى الى حالته الطبيعية . من ذلك ما قام به الدكتـــور ماكينودان من تعريض صغار الفئران للعدوى بالميكروبات لحثهم على انتاج خلايا ليمفاوية . وعندما حقن هذه الخلايا فى فئران كبيرة وجد انها اكتسبت مناعة ضد جرعات مميتة من البكتريا لمدة اشهر ويرى هذا الطبيب انه يمكن للانسان تخزين بعض الخلايا الليمفاوية وهو شاب فى حالة تجمد والاستفادة بها عندما يكبر فى تنشيط جهازه المناعى .

كما يقول ان الفيتامين دال ـ وهو عامل ضد الاكسدة قد يطيل الاعمار .

الحرارة والانسان

وقد لا يقل اهمية عن الغذاء ما شاهده الدكتور « الكسندر ليف » بطب هارفارد ـ وقد قضى سنتين بين سكان تلك المناطق ـ عن وضع المعمرين بين السكان . لقد اوضح فى تقريره ان هؤلاء المعمرين يتمتعون بمكانة اجتماعية محترمة بين السكان وانهم مع تجاوزهم المائة عام مازالوا يمارسون بعض الأعمال ولا يعترفون بما يسمى (بالاحالة إلى المعاش) وهؤلاء المسنون يقدرون اهمية الحياة الهادئة الخالية من كل ما يكدرها .. ويقرر الدكتور « ليف » ان الناس هناك يأملون ان تكون حياتهم أطول من ذلك . وان من يعيش حتى المائة عام يعتبر فى نظرهم شيئا عاديا .

ومن العوامل البيئية المعروفة منذ زمن والتى تطيل العمر ـ على الأقل فى حيوانات الدم البارد ـ خفض درجة حرارة الجسم . وقد تمكن احد الباحثين من مضاعفة عمر بعض الأسماك عندما خفض درجة حرارة الوسط الذى تعيش فيــه بمقدار ٥ ـ ٦ درجات . وعلى هذا الاساس يرى الدكتور « سترهلر » ان تخفيض درجة حرارة جسم الانسان بمقدار درجة او درجتين ـ ربما بالعقاقير ـ قد يضيف الى عمره من ٢٥ ـ ٣٠ سنة .

هوايات التقاعد

وثمة شيء آخر : عليك منذ حداثتك ان « تضع عينيك » على هواية تستمتع بها بعد التقاعد ، فلا يخطرن ببالك انك ستسعد فى تقاعدك بقضاء السنوات فى لف احد ابهاميك حول الآخر ، او فى عد حبات المسبحة ، وانت تحملق فى السماء او فى المـــاء .

ومن الهوايات الجميـــلة القراءة ، والموسيقى ، وصنع السجاد ، والرسم ، وجمع طوابع البريد ، وعلم الحشرات ، وما الى ذلك .

وهناك خطأ شائع جداً ، هو ان التقاعد يقصر العمر ، ويذكرون مثلا لذلك حالات

مجموعة اخرى من العباقرة الشيوخ : الشاعر الألمانى جوته الذى بلغ من العمر (٨٣ عاما) ، وغاندى (٧٩ عاما) ، والى جواره العالم جاليليو (٧٨ عاما) ، وفوقه ونستون تشرشل (٩١ عاما) .

الشيخوخة

ليست نهاية الشباب!

رجال كانوا باتم صحة وهم يعملون ، فلما تقاعدوا لم يمهلوا طويلا حتى ماتوا .

وتعليل ذلك عندى يسير : فان طول مدة العمل تضعف المقاومة ، فاذا توقف الانسان مرة واحدة عن العمل ولم يكن عنده ما يشغله اطلاقا ـ كالهوايات التى ذكرت انفا ـ كان ذلك اشبه بنزول الشخص من القطار وهو يجرى باقصى سرعته . ذلك ان اجهزته كلها معقودة على روتين مجهود معين بسرعة معينة . فايقافه فجاة يحدث هزة شديدة ، هى التى تسبب ذلك الانطفاء السريع بالوفاة ، أو بالعته .

احذر الغضب

من بين هذه الميادين ، التحـــذير من السلوك العصبى باعتباره إحـــدى الطرق المؤدية الى الشيخوخة المبكرة للوجه ولكل اعضاء الجسم تقريبا . فالانسان العاجز عن مواجهة مشاكل الحياة بهدوء وتعقل ، يخسر مع كل انفعال بعض قدرات قلبه واعصابه .. والاجهزة الطبية خير شاهد على هذه الحقيقة .. فالغضب يرفع ضغط الدم فى الحال .. ولا يعود الى حالتـــــه الطبيعية ، إلا عندما يعود الهدوء الى العقل والجسم .. وتلك ظاهرة تؤدى مع تكرارها ، الى نتائج خطيرة تهدد القلب وشرايينه .. وأفضل السبل للوقاية من شيخوخة القلب والشرايين ، تكمن فى التدريب على تحمل مشاكل الحياة دون ثورات عطبية متلاحقة .. ومقاومة اغراء الطعام الحافل بالمواد الدهنية .. والاقتناع بان النصيحة القديمة المتعلقة بضرورة اعطاء الجسم حقه من الحركة والنشاط ، حتى لو تم ذلك عن طريق (المشى) داخل الشقة التى نعيش فيها .

وممارسة الرياضة البدنية تكسب الانسان صحة وتساعد الشيوخ على التخلص من زيادة الوزن . فضلا عن الفوائد الاخرى العديدة .. من ذلك زيادة قدرة الانسان على اخـــذ كميات كبيرة من الاكسجين ـ هذا أدق مقياس لحيوية الجسم ـ ورفع كفاءة الدورة الدموية من قلب واوعيـــــة وتجنب الاضطـــرابات العصبية .

ومن الالعاب الرياضية التى تناسب الشيوخ المشي والسباحة وغيرها . على أن يكون لها خطة مرسومة تلائم قـــدرة الشخص .

مخاوف الشيخوخة

وعلى الشيوخ ان يستشيروا اطباءهم بصفة منتظمة لاكتشاف الامراض في أولها وقبل استفحالها لان اجسامهم لا تقوى على تحمل وطاة الامراض كاجسام الشباب .

ويبدو ان اسعد الشيوخ حظا وربما اطولهم عمرا من خططوا لشيخوختهم مسبقا ، بحيث يظلون محتفظين بنشاطهم ممارسين لهوايتهم .. وتبقى الصلة باهلهم واقاربهم واصدقائهم .

والتدخين وتناول الخمور ، وفضلا عن علاقة التدخين بسرطان الرئة والاصـــابة بالامراض القلبية،فان له دورا فى تقصير العمر . وتشير الدلائل الحديثة الى ان كثرة التدخين تساعد على ظهور التجاعيد الجلدية قبل أوانها وخاصة حول العين ويعزى ذلك إلى عدم وصول الدم بكميات كافية لانقباض الشعيرات الدموية بفعل النيكوتين . وقد يؤدى نفس السبب إلى خلل فى الدورة الدموية بالاطراف وظهور آلام بها .

والخوف الذى يعسر على الطبيب او الفيلسوف علاجه هو الخوف من الشيخوخة ذاتها برغم ان الكثير من الاعمال النافعة فى هذه الدنيا يقوم بها رجال ونساء اوغلوا فى العمر . ونحن نرى كثيرين حولنا جاوزوا السبعين بل والثمانين ، يعيشون اصحاء ســـعداء راضين .

والخوف من الشيخوخة خوف مركب يتضمن الخوف من العجز البـــدنى او الاضطراب الذهنى أو الاحساس بالوحدة . ولكن هذه المخاوف يمكن التغلب عليها بقوة الخلق والايمان . وفوق مكتب الجنرال ماك أرثر ، لافتة كتب عليها : « الشباب ليس حقبة من العمر .. إنه حالة من حالات العقل .. فانت شاب بقدر ايمانك وشيخ بقدر شكك ،شاب بقدر ثقتك بنفسك ، وشيخ بقدر خوفك ، وشاب بقدر رجائك ، وشيخ بقدر ياسك » . وهذا صحيح إلى حد كبير .

احفظ شبابك فى وقت الشباب . احتفظ به إنه ذخر الكهولة وزاد الشيخوخة ، واقتصد بما تنفقه من شبابك ، ولا تحسبه ينبوعا دائما . إنه ينبع إلى حين ، فاذا انقضى،تطلبه فلا تجده فتندم .

القواعد الذهبية

ولكى تحفظ شبابك وحيويتك وتؤخـــر شيخوختك فعليك بالقواعد الذهبية التالية

١) العمل على طرد المشاغل المحزنة والاكثار من المرح والسرور .

٢) اخذ القسط الوافى من النوم والراحة البدنية . والنوم العميق لا يتاتى الا بطرد الأفكار المقلقة وعلاج عسر الهضم

٣) التغذية الصحية بلا اسراف او تقتير .

٤) الرياضة البدنية . واجبة وأهمها السير على الاقدام ، وخاصة فى الاماكن الخلوية التى يسودها الهواء العليل .

٥) الاشتغال فى الأعمال فى غير قلق او ضجر او ارهاق فوق الطاقة فالعمل لا يقتل بل هو يزيد من الحيوية والنشاط ، ولابد للمتقاعد عن الاعمال ان تكون له هواية ، يشغل بها نفسه ، ويجدد بها نشاطه . فالحياة بغير عمل كالماء الراكد .

٦) الامتناع عن التدخين .

٧) على كبار السن ان يختلطـــــوا بالشباب والأطفال . فقد اتضـــــح من احصاءات علمية ان ذوى الأطفال يعيشون بصحة جيدة اطول ممن ليس لـــديهم اطفال .

٨) انس الماضى ، وانظر إلى الحاضر ، وتطلع إلى المستقبل في أمل ورجاء .

ويهتم دكتـــور « ليزل جـريز » الخبير النفسانى العالمى بالحالة النفسية للمسنين فيرى ان المسن لا يجب ان يشعر بان نهايته هى الموت ، بل يجب ان يعمل ولا يعتبر كبر السن مرضا .

واخيرا تذرع بالايمان بالله .. واقبل الحياة بحلوها ومرها .. وتذكر دائما ان الورد الجميل به شوك ، فلا ورد بلا شوك ، ولا حياة بلا شوك .. بهذا كله تحافظ على صحتك وشبابك ونفسك ومشاعرك وراحتك اطول مدة من حياتك .

د . عز الدين فراج



بقلم : الدكتور محمد البهي

أداء الواجبات

يقول القرآن الكريم : «إن الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها» .

صدق الله **العظيم**

المقصود باداء الأمانات هنا : هو اداء الواجبات التى يسأل عن ادائها كل مؤمن امام الله أولا وبالذات . فالعامل مسئول عن اداء الامانة لديه . وهى اداء واجبه فى العمل ، كما ، وكيفا .

ورب العمل مسئول عن اداء الأمانة لديه . وهى اداء واجبه فى الأجر على العمل حسبما اتفق عليه ، او حسبما يجب .

والزوجة مسئولة عن اداء الأمانة لديها . وهى واجبها نحو زوجها ، واسرتها واولادها .

والزوج مسئول عن أداء الامانة لديه وهى واجبه فى الانفاق ، والرعاية والوقاية لزوجته واولاده واسرته .

والموظف مسئول عن اداء الأمانة لديه . وهى واجبه فى توصيل الخدمات لأصحابها ، فى غير بطء أو اهمال .

والوالى على اختلاف درجاته مسئول عن اداء الأمانة . وهى واجبه فى وظيفته . وهكذا .

والأمر باداء الأمانات الى أهلها مبدأ يتميز به الاسلام عن نظم الحكم المعاصرة . إذ هو يرى : البداية والمنطلق لكل مؤمن يؤمن بالله ليس فى تحصيل الحق الذى له عند الغير . وانما فى اداء الواجب الذى هو عليه لغيره . وباداء الواجب يصل الحق الى صاحبه . فالواجب ، والحق اعتباران ، او وجهان لشىء واحد . فالأجر على العمل حق للعامل ، وفى الوقت نفسه واجب على رب العمل . والعمل حق لصاحب العمل ، وفى الوقت ذاته واجب على العامل . فاذا أدى العامل العمل وهو واجبه ، وصل هذا العمل الى صاحبه ، وهو حقه . واذا دفع صاحب العمل اجر العمل وصل حق العامل عن العمل الذى اداه وهو حقه ايضا .

فالمطالبة فى الاسلام باداء الأمانات او الواجبات هو المنطق الطبيعى فى ارتباط الناس بعضهم ببعض ، وفى قيام المجتمع ، وفى استمرار بقائه .

اما المطالبة بالحقوق اولا فهى عكس هذا المنطق . لانها تشعر بان ما يسمى بالحقوق امور مفروغ منها . مع انها امور مرهونة باداء المقابل لها . ثم فى الوقت نفسه تحمل على التراخى فى اداء هذا المقابل .

ولكن المطالبة باداء الواجب : توجه كل نفس مسئولة الى مباشرة الاداء اولا لهذا الواجب ، على انه واجب يؤدى ، وانه لا مفر من المسئولية عن ادائه ، وامام الله أولا ، قبل ان يكون امام الضمير ، او امام الرقيب عليه .

وباداء الأمانات جميعها وهى الواجبات تصل الحقوق الى أهلها بدون تراخ .. لأنها هى ذاتها حقوق ، باعتبار أن للآخرين حقا متعلقا بها .

والمسئوليات عن اداء الواجبات هى مسئوليات مضاعفة :

مسئولية امام الله ،

ومسئولية أمام ضمير المؤدى لواجبه

ومسئولية، أخيرة أمام الرقابة الخارجية المباشرة .

وكل هذه المسئوليات الثلاث تؤرق من لديه امانة ، ولا يؤديها الى أهلها فى وقتها المناسب .

والاخذ بنظام الاسلام فى الحكم يبعد ما درج الناس على تسميته بالتسيب ، أو الاهمال ، أو التواكل .

ولكن الأخذ بنظام الاسلام ليس مواد تصاغ فى تشريعات تصدر . وإنما هو تربية وصياغة للانسان المؤمن ، بحيث تتكفل ذاته بالايمان وبالالتزام ، وباداء الواجب الذى نيط به . فالمؤمن ديمومة من الحركة الموجهة للبر والتقوى ، لنفسه وللأمة كلها .

حتى لا ننسى :

المخطط الإسرائيلي في قلب البحيرة المغلقة

نبيل خالد الأغا

تمثل هذه اللوحة البانورامية الخلابة جانبا من شاطىء البحر الميت ساعة شروق الشمس ، وانتشارها على ربوع وطننا الفلسطيني السليب .

والبحر الميت ليس «بحرا» بمعناه العلمي الدقيق ، إنما هو «بحيرة» مغلقة تقع على الحدود بين الأردن شرقا وفلسطين غربا . وتعرف المنطقة الممتدة من البحر الميت حتى خليج العقبة جنوبا باسم وادى عربة ، بينما تعرف المنطقة الممتدة منه حتى بحيرة طبرية شمالا باسم وادى الأردن .

وقد قامت بالمنطقة المحيطة به مجتمعات بشرية عديدة فى فترات زمنية سحيقة ، ولعل اوضحها فى الذاكرة الانسانية مجتمعات المعصية فى مدينتى الاثم والمنكر سدوم وعمورة ، حيث غرق اهلهما فى مستنقع الخطيئة التى لم يسبقهما اليها احد من العالمين . ولما لم يستطع سيدنا «لوط» هدايتهم واصلاحهم انتقم الله منهم «فاخذتهم الصيحة مشرقين ، فجعلنا عاليها سافلها ، وامطرنا عليهم حجارة من سجيل» . ويقال بان الأرض تحولت بعدئذ الى ملح اجاج ماتت فيه الحياة .. ومن هنا اطلق عليه الاغريق «البحر الميت» ، واسماه اليهود «بحر الملح» ، ودعاه الرومان «بحر الاسفلت» ، بينما عرفه العرب بـ «بحيرة لوط» .

والبحر الميت مستطيل الشكل تقريبا ، ويبلغ طوله ٧٦ كم ، وعرضه ١٦ كم ، ويصل عمقه الى ٣٠٠ م ، ويبعد عن القدس مسافة ٢٤ كم ، وحوالى ١٤ كم عن مدينة أريحا .

ويمتاز البحر الميت بعدة ميزات خاصة ، فهو اكثر نقاط الكرة الارضية انخفاضا ، حيث يصل عمقه الى ما يزيد عن ٣٩٠ مترا عن مستوى سطح البحر الابيض المتوسط .

اضافة الى ذلك فان حرارة الطقس فى المنطقة مرتفعة جدا يصل حدها الأقصى الى ٥١ درجة مئوية صيفا . وبسبب ذلك فان المرء يلاحظ بعينه المجردة تشكل طبقات ضبابية كثيفة على سطحه نظرا لتبخر مياه الطبقة العليا من البحر .

ويعتبر نهر الأردن المصدر الأساسى لتغذية البحر الميت بالماء العذب ، اضافة الى اربعة جداول صغيرة . تبلغ كمية المياه الاجمالية حوالى ١٩٠٠ مليون قدم مكعب تصب كلها سنويا فى البحر الميت . غير ان شدة حرارة المنطقة سرعان ما تتولى تبخير الكم الاعظم منها .

ونتيجة لهذا التبخر الكثيف فقد تخلفت فيه كميات كبيرة من الاملاح المعدنية التى لا تسمح لأى كائن حي بالحياة فيها باستثناء بعض انواع البكتيريا !

اما بشان الأسماك التى يسوقها الحظ العاثر ، وتنجرف مع تيار نهر الأردن فسرعان ما تختنق بعد لحظات من ملامستها مياه البحر الميت ، ومن ثم تتحول الى طعام شهي للطيور الحائمة على السطح .

وإذا اجرى المرء دراسة مقارنة لنسبة الأملاح التى يحتويها ماؤه ، فسيثبت لديه بان نسبة ملوحة البحر الميت تصل الى ٥٥ بالمائة ، وهى الاكثر فى عالم الماء ، اى تزيد تسعة اضعاف عن ملوحة المحيطات التى تبلغ ٦ بالمئة فقط !

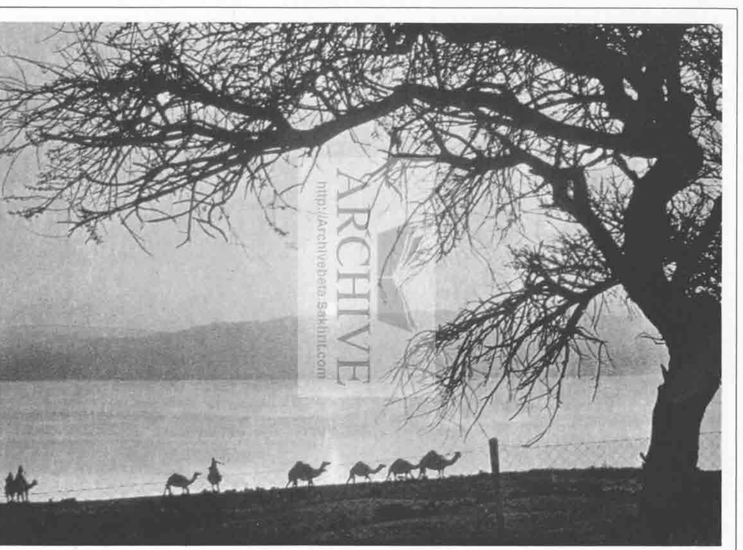
والذى يريد السباحة فى البحر الميت فانه يستطيع براحة تامة ان يقرا صحيفته وهو مستلق على ظهره فوق سطح الماء ، لكنه لو اراد ان يمارس فن العوم فلن يستطيع ان ينزل كتفه بسهولة تحت الماء ، لأن المياه الثقيلة تعاكسه وتدفع جسمه الى السطح بصورة تلقائية .

اما بشان الثروات المذهلة فيه فحدث عنها ولا حرج ، فقد قدرها المختصون بانها تفوق ثروة الولايات المتحدة الامريكية ، ففيه كميات هائلة من كلوريد البوتاسيوم ، وبروميد المغنيسيوم ، وكلوريدات الصوديوم ، والمغنيسيوم ، والكالسيوم ، إضافة الى انواع اخرى وفيرة من المعادن والعناصر .

وكعادة اسرائيل ، فهى تسعى دوما لانتهاز الفرص المتاحة لها ، وتثبيت دعائم وجودها فى فلسطيننا العربية المحتلة ، وقد عمدت من جانبها الى استغلال طبيعة البحر الميت حيث انشات عدة مصانع على الضفة الغربية منه ، ، وتعمل الآن بمثابرة وجدية على إحياء مشروع صهيونى قديم لشق قناة ضخمة تصل البحر الابيض المتوسط بالبحر الميت تعود عليها بفوائد عظيمة ، وعلى الأردن وفلسطين بمصائب عظيمة ايضا .

والقناة المقترحة ستبدا من ــ شاطىء ــ قطاع غزة المحتل غربا ، وتمر بجنوب بئر السبع لتصل الى البحر الميت ، حيث يبلغ طولها ١١٠ كم ، وحين يكتمل المشروع (لا قدر الله) فستستفيد اسرائيل من ثمرات مشروع هيدروكهربائى ضخم ، وفى تبريد محطات الطاقة الكهربائية والنووية ، اضافة الى انشاء بحيرة صناعية كبيرة ، وزيادة الدخل السياحى ومكتسبات اخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها . لكنها تبقى فى النهاية مؤشرا خطيرا على تثبيت الوجود الصهيونى الدخيل فى منطقتنا العربية ، وحافزا ايضا لكل العرب والمسلمين من اجل العمل الجاد لتقويض المخططات اليهودية الاجرامية ...

نبيل خالد الأغا



لوحة خلابة تمثل جانبا من شاطيء البحر الميت ساعة شروق الشمس

المسجد الأقصى

رحلة تاريخية
بين البطولة و...

بقلم: حسني شحادة

فى مثل هذا الشهر منذ ستة عشرة عاما احتل العدو الصيهونى مدينة القدس ... ومنذ ذلك التاريخ الحالك السواد ومدينة السلام تواجه هذه الطغمة الظالمة التى أصبحت تسيطر على كل شبر فى المدينة الخالدة ، بما فى ذلك المسجد الأقصى الذى يرنو إلى صلاح الدين الأيوبى متطلعا إلى منقذ يعيد إليه الحرية التى حاصرتها فلول الغزاة !

قبة الصخرة المشرفة وجبل الزيتون فى قلب مدينة القدس التى مازالت أسيرة الاحتلال الصهيونى





المسجد الأقصى





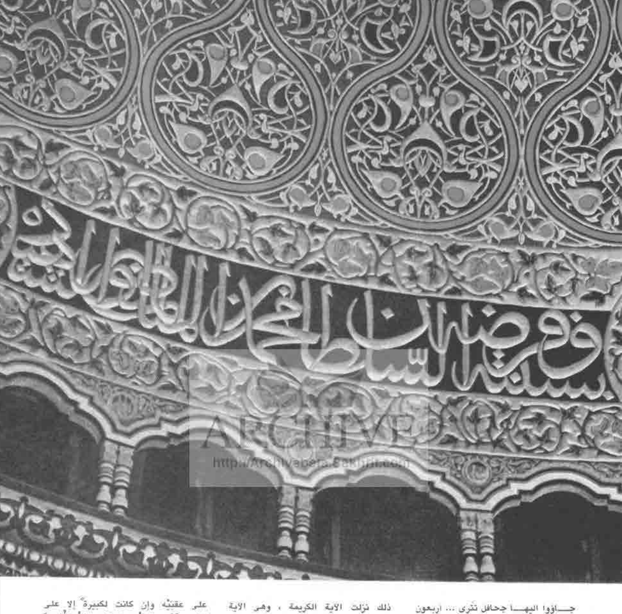
شارع فى القدس القديمة بعد احتلالها عام ١٩٦٧ .. وإلى اليسار لقطة لجزء من قبة الصخرة محلى بالخطوط والزخارف الإسلامية

فى بيت المقدس الشهداء وحدهم الأبطال ، والدماء دوما هى الاغلى ، والشهداء هم الاعلون ، لذلك كانت القدس جدة التاريخ ، تحكى للابناء قصة الأرض المقدسة . جبالها عالية باباء ، ووديانها سحيقة ، وماؤها عذب ، وهواؤها نسيم عليل ، وعواصف هوج ، وأهلها قوم جبارون ، ينطلق منها الفداء مجاهداً ، فيتراجع الظلم وينهزم الاعداء وتنفلت من الاسر ، فتطارد الذين خذلوها ، وتضرب طاغنيها وتنتصر .

القدس مدينة تاريخية ، من أقدم المدن التى عرفها التاريخ ، انها ليست بنت قرن من القرون ، او وليدة عصر من العصور ، وانما هى بنت الأجيال المنصرمة كلها ، ورفيقة العصور الماضية جميعها ... من اليوم الذى سطر التاريخ فيه صحائفة الاولى الى يومنا هذا ...

إنه لتاريخ مجيد ، تاريخها ، ذلك لانها صمدت لنوائب الزمان بجميع انواعها ، وطوارىء الحدثان بجميع الوانها ، حتى انه لم يبق فاتح من الفاتحين ، او غاز من الغزاة المتقدمين والمتاخرين إلا ونازلته ... وظلت قائمة على هذا الوجود ... وظل اسمها مذكورا فى طليعة المدن ، لأنها بيت بنته الانبياء ، وعمّره المؤمنون ، ففى كل شبر فى بيت المقدس مسجد نبى ، فهى مدينة تحن اليها الجنة ، واهلوها دوما ينشدون : ياريح الجنة هبى .. ويانصر الله اقترب .

القدس سجل يضم واقعا امتزجت فيه القرون ، فكانت ولا تزال ملحمة جهاد امتدت فى اعماق التاريخ الانسانى ولاتزال تمتد فى آفاق المستقبل ، فحجارة القدس القديمة تحكى قصة الانسان مذ كان ، فمنها انبلج فجر معارفه ، ومن افاقها امتلأت سماء الدنيا بالايمان ، فكانت ملتقى الاديان السماوية الثلاثة ، لذلك كانت مطمع الباغين منذ اقدم العصور ،



جـــاؤوا اليهـــا جحافل تترى ... اربعون مرة تنتقل من يد الى يد ، استهدفت لكل ضروب التدمير ولكنها لم تقل قاسيت من ظلم الزمن ، لأن قلبها الطافح بالعزم ، تخطى كل صعب وانتصر .

المسجد الاقصى

اطلق اسم (١) المسجد الاقصى فيما مضى على الحرم القدسي كله وقد اقتبسه المسلمون من حادثة الاسراء ، يوم اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، وفى ذلك نزلت الآية الكريمة ، وهى الآية الأولى من سورة الاسراء :

« سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من اياتنا إنه هو السميع البصير » (٢) .

فصار هذا المسجد مقدسا لدى جميع المسلمين ، فهو اولى القبلتين ، إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يولى وجهه ، وهو يصلى شطر الاقصى ، حتى نزلت الآية الكريمة :

« ... وماجعلنا القِبْلَةَ التى كنْتَ عليها إلا لنعلَمَ مَنْ يتَّبِع الرسولَ مِمَّن ينقلِبُ على عقبَيْه وإن كانت لكبيرةً إلا على الذين هَدَى اللهُ وما كان اللهُ ليُضِيعَ ايمانَكُم إن الله بالناسِ لرؤوفٌ رحيمٌ » (٣) .

« قد نرى تقلُّبَ وَجْهِك فى السماءِ فلنولِّينَّك قِبْلةً ترضاهَا فولِّ وجهَكَ شَطْرَ المســجدِ الحرامِ وحيث ماكنتم فولـــوا وجوهَكُم شَطْرَه وإن الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » . (٤) .

والمسجد الاقصى هو ثالث الحرمين الشريفين ، اللذين خصهما الله بالشرف والتعظيم المسجد الحرام بمكة المكرمة ،

منبر صلاح الدين في المسجد الاقصى المبارك الذي احرقه الصهاينة عام ١٩٦٩



المسجد الأقصى

والمسجد النبوى بالمدينة المنورة ، وقد جاء فى الحديث الشريف :

« لاتشد الرحال إلا لثلاثة : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا والمسجد الاقصى »

كيف تم البناء ؟

عندما حاصر ابو عبيدة عامر بن الجراح القدس لمدة اربعة شهور راى اهلها التسليم الى القائد مستامنين . يتقدمهم قائدهم «صفرونيوس» حاملا على صدره الصليب ، وعلى جانبيه القسس والرهبان ، وطلبوا الصلح . فتلقاهم ابو عبيدة بالترحيب ، ولكنهم اشترطوا الا يسلموا مدينة «إيليا» القدس ، إلا لشخص امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكتب ابو عبيدة الى امير المؤمنين ، فسار عمر الى بيت المقدس ، وفى ذلك يقول زياد بن حنظله :

سما عمـــر لمـــا اتتـــه رســـائل
كاصيد يحمـــى صرمة الحـــي اغيدا

وقد عضلت بالشام ارض باهلها
تريد من الأقوام من كان انجـــدا

فكان اول ما قام به عمر بن الخطاب بعد فتحه بيت المقدس ، أن زار كنيسة القيامة ، ولما كان داخل الكنيسة حان وقت الصلاة فاشار عليه البطريرك «صفرونيوس» أن يصلى داخل الكنيسة قائلا : «مكانك صل » ، ولكن عمر ابى ، وخرج من الكنيسة ، وصلى فى مكان قريب منها لجهة الجنوب ، وبعد أن اتم صلاته قال للبطريرك :

«إئذن لي ايها الشيخ .. إننى لو اقمت الصلاة فى كنيسة القيامة ، لوضع المسلمون عليها الأيدى من بعدى ، فى حجة إقامة الصلاة فيها ، وإنى ابى امهد السبيل لحرمانكم منها ،وانتم لها احق واولى» .

يقول الأستاذ محمد الخضرى صاحب كتاب «تاريخ الأمم الاسلامية» فى بحث نشره بمجلة المقتطف فى الصفحة ١٩٦ من المجلد ٦١ لسنة ١٩٢٢ ما يلى :

«قال سيدنا عمر بن الخطاب للبترك : ارنى موضعا ابنى فيه مسجدا ، فقال : على الصخرة ، فوجد عليها ردما كثيرا ، فشرع فى إزالته ، وتناوله بيده برقعة فى ثوبه ، واقتدى به المسلمون كافة ، فزال لحينه ، وامر ببناء مسجد (٥) » .

ويقول مجير الدين فى كتابه «الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل» الذى روى فى وصفه للمسجد الأقصى كما كان فى عهده :

«وبداخل هذا الجامع ، وفى صدره من جهة الشرق ، مجمع معقود بالحجر والشيد ، به محراب ، ويقال لهذا المجمع «جامع عمر» وتسميته بجامع عمر ، لان هذا البناء هو بقية بناء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، الذى كان قد جعله عند الفتح (٦) » .

ويقول مجير الدين فى موضع اخر من كتاب «الانس الجليل» :

«وبظاهر الجامع من جهة الغرب ، فى صحن المسجد ، مكان معقود يعرف بجامع المغاربة ، يظهر انه من بناء سيدنا عمر بن



لوحة نادرة للقدس فى العصر العثمانى (القرن الخامس عشر) ونرى قبة الصخرة بين المآذن



مئذنة جامع الغوانمة ومدرسة المماليك فى الزاوية الشمالية الغربية للحرم القدسى الشريف

الخطاب ، لما روى عن شداد ، ان عمر لما دخل المسجد الأقصى مضى الى مقدمه مما يلى الغرب ، فجثا فى ثوبه من التراب ، وجثونا معه فى ثيابنا ، ومضى ومضينا حتى الفيناه فى الوادى ، الذى يقال له «وادى جهنم» ثم عاد وعدنا بمثلها حتى صلينا فيه» .

قال «البكرى» «وابن حبيش» ، إن عمر بنى مسجده أمام الصخرة المشرفة ، بعد ان رفع الركام الذى كان قد تراكم فوقها مع الزمن ، وكذلك قال «المقريزى» فى خططه ، وجمال الدين احمد فى كتابه«مثير الغرام» .

هذا بعض ما ذكر عن المسجد الأقصى الأول كما أطلق عليه الأستاذ «عارف العارف» رئيس بلدية القدس الأسبق ، وصاحب كتاب «تاريخ قبة الصخرة المشرقة والمسجد الأقصى المبارك» .

أما المسجد الأقصى الحالى ، فيطلق على المسجد القائم من الناحية القبلية من الحرم ، وعلى بعد خمسمائة متر بوجه التقريب من مسجد الصخرة الى الجنوب .

اما من بنى هذا المسجد الأقصى ، فيجمع عدد كبير من المؤرخين ان عبد الملك بن مروان هو الذى بناه عام ٧٤ هـ ـ ٦٩٣ م ، اما «المقدسي» والسيوطى فيقولان إنه بناه سنة ٧٢ هـ ـ ٦٩١ م ، ومهما كان التاريخ الذى بنى فيه ، فانه مما لاشك فيه ، ان عبد الملك بن مروان هو الذى بناه ، وقد ايد هذا القول «المقدسي» فى كتابه «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» ، وايده فى قوله اكثر المؤرخين.

اما «محمد كرد على» فى كتابه «خطط الشام» ، فقد قال بان الوليد هو الذى غشى قبة الأقصى بالنحاس ، ويقول «العمرى» فى كتابه «التعريف» بان الوليد أتى بالفسيفساء ـ أى الترابيع الزجاجية المطلية بالذهب ـ من القسطنطينية ، ليزين بها مساجد الشام ومكة والمدينة والقدس ، ولم يبق منها مع تقادم العهد سوى النذر اليسير فى «قبة الصخرة» .

المسجد والعهود الاسلامية

لم يبق المسجد الأقصى على حاله القديم بل طرأت عليه تغييرات كبيرة ، بسبب المؤثرات الطبيعية والزمنية . وهذا سنراه فى العهود الآتية :

● فى عهد بنى أمية :

كان المسجد فى أوائل العهد الأموى ، اوسع مما هو عليه الآن ، من الناحية الشرقية ، واضيق من الناحية الشمالية ، وكانت ارضه مرصوفة بالرخام ، وكانت ارضية المسجد اقل انخفاضا من ارضه الحالية ، ونرى حتى اليوم ، فى الرواق الكائن شرقى القبة ، بعض الأعمدة التى ترجع الى العصر الأموى .

وجاء فى «مثير الغرام» عن عبد الرحمن ابن محمد بن منصور بن ثابت عن ابيه عن جده ، ان ابواب المسجد كلها كانت فى خلافة عبد الملك بن مروان ، ملبسة بصفائح الذهب والفضة .

وفى اواخر العهد الأموى ، حدث زلزال سنة ١٣٠ هـ ـ ٧٤٦ م وسقط بسببه شرقى المسجد وغربه .

● فى العهد العباسى :

لما قدم «أبو جعفر المنصور» ، ثانى الخلفاء العباسيين ، أمر باعمار المسجد الأقصى ، فقلعت الصفائح الذهبية



ام من سكان مدينة القدس مع طفلها الذي يعيش مع آلاف الأطفال العرب حياة قاسية تحت وطأة الاحتلال

المسجد الأقصى

والفضية التي كانت على الابواب ، وضربت دنانير ودراهم ، وانفقت على إعماره حتى فرغت سنة ١٥٤ هـ ـ ٧٧١ م .

وفى عام ١٥٨ هـ ـ ٧٧٤ م ، حدث زلزال اخر ، فوقع البناء الذى عمره المنصور ، وقيل ان الجزء الاعظم من المسجد قد هدم يومئذ ، خلا القسم الذى حول المحراب .

ولما قدم المهدى ، كان المسجد خرابا ، فامر ببنائه ، وقد وصف «المقدسى» فى كتابه «احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم» ص ١٦٨ :

«اعيد إعمار المسجد ، فاصبح يتكون من رواق اوسط كبير ، يقوم على اعمدة من الرخام ، ويمتد من الشمال الى الجنوب ، يغطيه جملون عظيم ، وينتهى من الجنوب بقبة عظيمة ، وتكتنف الرواق الاوسط من كل من جانبيه سبعة اروقة موازية له ، واقل ارتفاعا منه ، محمولة جميعها على اعمدة اسطوانية ... وكان للمسجد يومئذ ستة وعشرون بابا ... ويعتبر هذا الاعمار الرابع للمسجد الذى قام به الخليفة المهدى » (٧) .

● فى العهد الفاطمى :

فى الخامس عشر من شهر محرم سنة ٤٢٥ هـ ـ ١٠٣٣ م ، حدث زلزال خرب المسجد الاقصى الذى عمره المهدى خرابا ظاهرا ، فعمره الخليفة الفاطمى «الظاهر لاعزاز دين الله» فى السنة التالية ٤٢٦ هـ ، مبقيا ما امكن إبقاؤه من البناء السابق ، ولم يغير فى تخطيطه العباسى ، سوى تضييقه من الشرق والغرب ، بحذف اربعة اروقة من كل جانب .

وظل الكثير من بناء الظاهر قائما الى ما قبل التعميرات التى تمت مؤخرا ، مثل العقود التى تحمل القبة ، والفسيفساء الذهبية التى لازالت موجودة حتى الان والرواق الاوسط باعمدته .

وفى سنة ٤٥٨ هـ ـ ١٠٦٦ م ، امر الخليفة الفاطمى المستنصر بالله ، تجديد الواجهة الشمالية ، وسجل هذا التجديد فى كتابة كوفية حفرت على الواجهة المذكورة للرواق الاوسط .

● الأقصى فى قبضة الصليبيين :

عندما احتل الصليبيون بيت المقدس ٤٩٢ هـ ـ ١٠٩٩ م ، بقيادة «غودفرى دو بويون» ، استعملوا المسجد الاقصى لاغراضهم ، فاتخذوا جانبا منه سكنا لفرسان الهيكل ، والجانب الآخر مستودعا ، وغيروا معالم المسجد كثيرا ، واضافوا الى المسجد من الناحية الغربية ، وعلى طول حائط الحرم القبلى صفا مزدوجا من القناطر المعقودة ، واتخذوها مخازن للأسلحة .

● فى العهد الايوبى :

استرد البطل المؤمن صلاح الدين الأيوبى بيت المقدس من الصليبيين ، واعاده الى حظيرة الاسلام سنة ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧ م ، فامر باصلاح المسجد الاقصى ، فاعيد البناء الى حاله الصحيح ، وبذل كل ما فى وسعه لتحسينه وتدقيق نقوشه ، فاحضر من الرخام ما لا يوجد مثله ، ومن الفص المذهب القسطنطينى مما ادخر على طول السنين ، ومحا كل ما فيه من الصور .

لقد جدد صلاح الدين محراب المسجد ، وزينه بالفسيفساء ، وهناك كتابة بالفسيفساء المذهبة فوق المحراب ، تشير الى ما فعله صلاح الدين ، وهى :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، امر بتجديد هذا المحراب المقدس ، وعمارة المسجد الأقصى ، الذى هو على التقوى مؤسس ، عبد الله ووليه يوسف بن ايوب ابو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ، عندما فتحه الله على يديه سنة ٥٨٣ هـ ، وهو يسال الله اذاعة شكر هذه النعمة ، وإجزال حظه من المغفرة والرحمة» .

واتى صلاح الدين بالمنبر الجميل المصنوع من الخشب من ارز لبنان والمنقور المرصع بالعاج والصدف ، وهو من اجمل المنابر الاثرية وادقها .

ولقد احرقته الايدى الصهيونية الآثمة بعد الاحتلال الصهيونى للقدس فى حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

ومن ملوك بنى ايوب الذين لهم اثار بالمسجد الاقصى ، الملك العادل سيف الدين بكر اخو صلاح الدين ، والملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ، والملك الافضل نور الدين علي ، والملك العزيز عثمان ، والملك المعظم عيسى ، وكان هؤلاء ينظفونه ويغسلونه بماء الورد ، ويصرفون الأموال الطائلة على الفقراء .

وفى سنة ٦١٤ هـ ـ ١٢١٧ م امر الملك عيسى بانشاء الرواق الذى يكون الواجهة الشمالية لهذا المسجد ، وهو يشتمل على سبعة اقواس ، ويقابل كل منها باب من ابواب المسجد السبعة ، وهذا الرواق تغطيه سبعة اقبية ، وقد ثبتت على واجهة الرواق الأوسط بلاطة من الرخام كتب عليها :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، انشا هذه الاروقة سيدنا ومولانا السلطان الملك المعظم ابو العزائم عيسى بن الملك العادل سيف الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ابى بكر بن ايوب خلد الله ملكه وذلك سنة ٦١٤هـ» .

● فى عهد المماليك :

توالت بعد ذلك اعمال التعمير والاصلاح بالمسجد الأقصى فى عهد المماليك ، وتدل الكتابات التى عثر عليها فى جنبات هذا

نقوش متنوعة من تصميمات «السيراميك» على الجدران الخارجية ومكتوب في وسطها : الله الباقي

المسجد على ما كان للمماليك من فضل فى إعماره .

فالملك المنصور سيف الدين قلاوون ، هو الذي عمر سقف المسجد الاقصى من ناحية القبلة ، عند جامع الأنبياء ، وكان ذلك سنة ٦٨٦ هـ ـ ١٢٨٧ م .

وفى زمن ولده الملك الناصر محمد أمين الملك المنصور قلاوون ، جددت قبة المسجد الأقصى ، وقيل ان الملك الناصر لم يجدد القبة نفسها ، وإنما جدد تذهيبها سنة ٧٢٨ هـ ـ ١٣٢٧ م وكذلك أمر الملك الناصر بوضع الرخام على صدر المسجد سنة ٧٢٩ هـ وقد تم ذلك بمعرفة الامير ناظر الحرمين فى القدس والخليل .

وجددت أبواب المسجد الأقصى الخشبية فى عهد اولاد الملك الناصر ، السلطان شعبان والسلطان حسن ، وفى زمن الملك إينال عمرت أجزاء من المسجد .

وجرت إصلاحات فى عهد الملك الأشرف «قايتباى» وقد ذكر ذلك مجير الدين فقال : «جدد عمل الرصاص على ظاهر المسجد الأقصى» .

وهناك تعمير اخر جرى أيام الملك قانصوه الغورى .

● فى عهد العثمانيين :

اهتم العثمانيون بالمسجد الاقصى ، فمن سلاطينهم الذين تولوا ترميم هذا المسجد :

السلطان سليم القانونى ، السلطان محمود الثانى ، السلطان عبد المجيد ، والسلطان عبد العزيز ، والسلطان عبد الحميد الثانى .

فقد جدد السلطان محمود ترميم القبة الشريفة . اما السلطان عبد العزيز فاليه يعزى الفضل فى تركيب الزجاج الملون الموجود فى الشبابيك ، وقد بعث السلطان عبد الحميد الثانى بالشطر الأكبر من السجاد العجمى المفروش على ارض المسجد والذى يصلى عليه المصلون .

● فى عهد المجلس الاسلامى الاعلى :

طرا على المسجد الاقصى مع طول العهد وتقادم الزمن ، وهن ، فضعفت الاسس . وقد اكتشف ذلك المجلس الاسلامى الاعلى الذى انتخبه المسلمون بفلسطين سنة ١٩٢٢ ، والذى يراسه المرحوم سماحة الحاج امين الحسينى مفتى فلسطين ، فسارع الى القيام بمشروع واسع من أجل اعماره ، وقد ساهمت الدول العربية والاسلامية وشعوبها بالتبرع ، وباشرت عمليات الاعمار سنة ١٩٢٥ ، فقوت الاقواس والعقود ، واستبدلت الاعمدة القديمة البالية التى تقوم عليها القبة باعمدة جديدة ، وهدم سقف الجناح الغربى الذى كان على وشك الانهيار ، واستبدل بسقف اخر ، وعمر السقف الخشبى لجناح القبة الشرقى ، وزخرفت واجهة الممرات ، ورممت القبة وانشىء تحت الاقواس القديمة اقواس جديدة للتقوية .

إن من يقف امام محراب الأقصى ، يرى فوق المحراب بين القبة والجدار ، عبارة تقول :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، جدد قبة هذا المسجد الأقصى المبارك ، وازال ما طرا عليها من خطر فى نقوشها ونوافذها وزخارفها ، المجلس الشرعى الاسلامى الأعلى سنة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م .

وما كاد هذا التعيمر يتم ، حتى حدث زلزال سنة ١٩٢٧ م ، تضرر المسجد بسببه ولكن اثاره لم تظهر إلا فى سنة ١٩٣٦ ، فقام المجلس الشرعى الاسلامى الاعلى باصلاحات واسعة المدى ، واضيء بالكهرباء علم ١٩٤٥ م .

المسجد الاقصى وحرب فلسطين

لم يسلم المسجد الاقصى من اذى اليهود فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ، فكان اليهود يصوبون نيران مدافعهم على المسجد ، واغاروا عليه فى السادس عشر من تموز ١٩٤٨ . وقصفوه بالمدافع التى اصابت قذائفها بعض المصلين .

ولما وقف القتال ، وسيطر الجيش العربى الاردنى على المنطقة امر جلالة الملك عبد الله بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية باصلاح ما دمرته القنابل الصهيونية وكان ذلك عام ١٩٥٢ .

وفى الخامس من حزيران ، سقط المسجد الاقصى اسيرا فى يد العدو الصهيونى بسقوط القدس . وباشر العدو باجراء الحفريات حوله انا وبانتهاك حرماته انا ، حتى محاولة إحراقه عندما دبرت سلطان العدو المحتل عملية احراقه فى الحادى والعشرين من شهر اغسطس ١٩٦٩ ، فثارت ثائرة الشعوب الاسلامية ، وعقد مؤتمر القمة الاسلامى الاول فى مدينة الرباط فى شهر سبتمبر فى عام ١٩٦٩ م وانبثقت عن المؤتمر «منظمة المؤتمر الاسلامى» ، وانيط بها متابعة موضوع القدس والمسجد الاقصى . (٨)

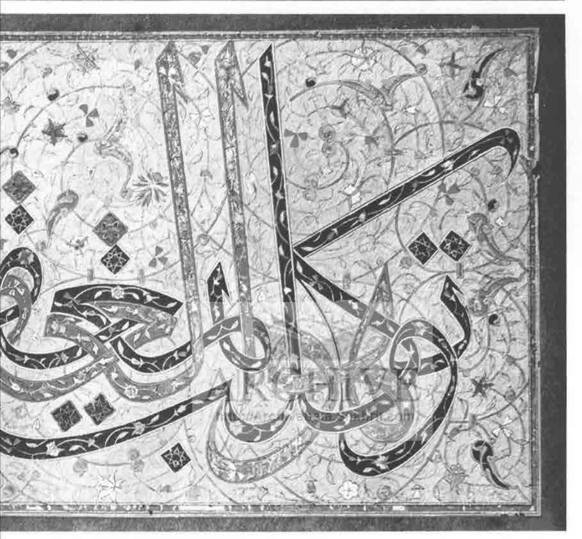
ولازالت المحاولات الصهيونية جارية لتغيير معالم المسجد الاقصى ، من اعتداء على المصلين ، ومحاولة احراقه مرة اخرى

ولكن مواكب الزمن ، التى عزفت لبيت المقدس نشيد النصر ، ستعيد للمجد ذكرى البطولات لشعبها ، الذى ما تخلى يوما عن ميراث الشهادة

حسنى شحاده

هوامش

(١) القران الكريم
(٢) تاريخ قبة الصخرة المشرقة ـ عارف العارف ص ١٤٩ .
(٣) سورة الاسراء ـ اية رقم (١) .
(٤) سورة البقرة ـ اية رقم (١٤٣) .
(٥) المقتطف مجلد ٦١ لسنة ١٩٢٢ ص ١٩٦ .
(٦) تاريخ قبه الصخرة المشرقة ص ١٥١ .
(٧) احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص ١٦٨ .
(٨) موقف العالم الاسلامى من قضية فلسطين ص ١٤ .



كتاب الشهر

ديوان الخط العربي

قصة الحضارة العربية في حروف جميلة

رسالة المغرب من : مجدي نصيف



هذه اللوحة البديعة التي نرى فيها مجموع حركة الخط العربي ومايتولد عنها من اشعاع شاعري ، كتبها في القرن السادس عشر الخطاط صالح محمود النيسابوري

هذا كتاب جديد عن فن مرتبط بحضارتنا ولغتنا العربية ، فن لابد من الاحتفاء به ، حتى لا تقضى عليه التكنولوجيا والآلات الحديثة وصناعة «الليتراسيت» وعالمه الرحب الذى يتسع باستمرار .

الكتاب هو «ديوان الخط العربى» من المغرب العربى .

والمؤلفان أستاذان مغربيان هما : عبد الكبير الخطيبى الأستاذ الباحث فى جامعة الرباط ، وهو كاتب ومؤلف لمجموعة من الكتب فى الفكر والأدب . والدكتور محمد السجلماسى ، الدكتور فى طب الأطفال ومؤلف لكتابين حـــول الفنـــون الشعبية والفنون التشكيلية فى المغرب ، ويساهم الدكتور عبد الغنى العانى فى انتاج هذا الكتاب – فى طبعته العربية – بكتابة بعض الصفحات الخطية ، وهو دكتور فى القانون ، وأستاذ للخط العربى .

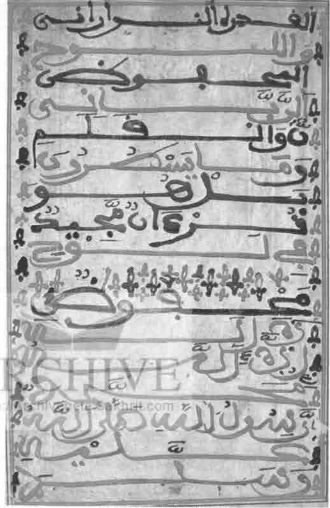
لقد ألف هذا الكتاب باللغة الفرنسية ونشر كذلك بتلك اللغة ، وترجم ونشر باللغتين الانجليزية والألمانية ، وسينشر خلال أشهر باللغة اليابانية .

كذلك فان الذى قام بترجمته الى اللغة العربية هو الكاتب المغربى محمد برادة .

ومن الواضح إذن من تخصصات المؤلفين انهما من عشاق فن الخط العربى ، لذا فهما يكتبان فى تمهيدهما للكتاب : « انه يحتفل بفن الخط العربى احتفال عاشق مشدود الى المسألة الأولية المتصلة بخيال العنصر الأبدى للفن فى الاسلام » .

وهما يعرفان الكتابة العربية بقولهما : «انها تمتد على خط أفقى تتموضع وتتحرك فوقه وتحته ، إشارات تصويتية وتنقيطية .. وهذه التشكيلة تؤسس حقلا خطيا لا محدوداً ، يجعل البصر يرتعش فوق صفحة ، او جـــدار مكتوب ، وكل ما يمكن أن يزينـــه الخط العربى» .

«إن مجموع حركة الخط ، وما يتولد عنها من إشعاع موسيقى مطابق لشاعرية



الخط المغربي المعروف باسم « المجوهر »

مرتعشة ساعية نحو اللامرئى ، كل ذلك يحدد ايقاع النص بالنسبة ليد الخطاط الراقصة» .

ويعرف المؤلفان فن الخط العربى بانه «زخرفة ، اى انه نص فى مراة يعكس الحلم الخالص بانتزاع اللغة من حقيقتها البشرية ، وتقديمها في شكل فني . وبشكل اكثر تحديدا فان فن الخط هو الفن الذى يعتبر نفسه متوفرا على هذه الصفة ، وقائما على بنية متميزة ، وقواعد هندسية وزخرفية . وعندما نقول فن قائم الذات ، فاننا نعنى انه يستتبع فى تخطيطه نظرية فى اللغة وفى الكتابة . وقبل كل شىء ، فان هذا الفن يدخل فى نطاق البنية اللسنية ، ويشكل معجما ثانيا للرموز ، منحدرا من اللغة ، إلا انه يلعب بها ، ويضاعفها عن طريق حركة مرئية» . ومن ثم «فنحن نستبعد جميع التعريفات العائمة التى تطلق فن الخط على كل رسم تلقائى او تجريدى يذكرنا بالكتابة بدون ان يخضع لمصطلحاتها . ذلك ان فن الخط لا تكون له اهمية حاسمة ، إلا إذا اقترن باللغة . ورغم ان فن الرسم يلتقى احيانا بمنطلقات فن الخط ، فان هذين الفنين يختلفان فى طريقة إبراز الاشارة المستمدة من الحروف ، وكذلك فى طريقة إضفاء الحياة عليها» .

فالخط ، «فن للكتابة ، بدون شك ، إلا انه ليس عملا كونيا . ذلك ان كثيرا من الشعوب لا توليه عناية خاصة ، لكن بعضها يعتبره فنا ساميا . فاليابانيون ، مثلا ، إذا ارادوا ان يصفوا شخصا بالجمال والرقة ، قالوا إن له خطا جميلا . ويعتقد الخطاطون العرب ، ان فنهم هندسة للروح يتلفظها جسد الحرف وفقا للمتعة التى يوحى بها» .

ثم يضيف المؤلفان : «إن الخط العربى المتقن ، يفترض ابتكارا شكليا (للتنقيط والتصويت) تم وضعه شيئا فشيئا قبل ظهور الاسلام وبعده . وارتبط بالتدوين الشاق . الا ان الخط كان عملا تضطلع به طائفة من الخطاطين استهدفت ان تطبع المجتمع بنظام سياسى. وكان ابن مقلة هو الذى جدد معجم رموز الخط العربى ، انه رجل تقلد الوزارة ثلاث مرات ، وخاض الجهاد ثلاث مرات ، ودفن ثلاث مرات : الاولى فى السجن حيث مات بالفعل ، والثانية فى منزله ، والثالثة فى المقبرة . وكان الخليفة الراضى بالله قد قطع يده اليمنى» .

ملاحظات

ويسجل المؤلفان بعض الملاحظات فى تمهيد الكتاب :

اولا : ان العرب وبعض الشعوب الاسلامية التي استعملت الكتابة العربية ، بذلوا جهودا ملحوظة لجعل هذا الفن كونيا لكن الهدف هو صوغ مسالة الخط صياغة متحررة من كل الأحكام المسبقة .

ثانيا : لما كانت الوثائق غزيرة ، فقد اضطر المؤلفان الى إغفال كثير من الاساليب المتلالئة والصفحات الجميلة . لذلك فان جميع الاقطار العربية والاسلامية ليست ممثلة بطريقة استقصائية .

ثالثا : النماذج التي ادرجت في الكتابه لا تمثل إلا الخط المكتوب ، وتحيت جانبا ابداعات خطية اخرى لاتقل روعة ، مثل الخطوط المنقوشة على جدران المعمار .

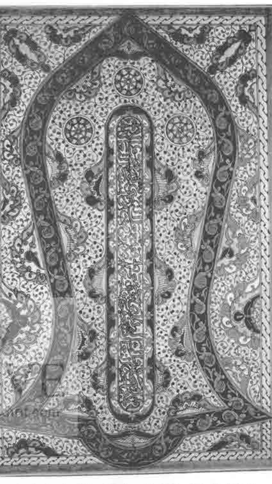
رابعا : انجز المؤلفان جميع صور الكتاب بانفسهما ، ويضم الكتاب ٢٢٨ صورة ، ٥٤ صورة بالالوان ، ١٧٤ صورة بالابيض والاسود . وقد اخذها المؤلفان من مخطوطات لم يسبق نشرها ، توجد موزعة في ارجاء العالم الاسلامي .

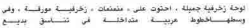
إشكالية علم الخط

« لم يتم تدوين القران بكيفية منهجية إلا في عهد الخليفة عثمان بن عفان فيما بين سنة ٢٣ ، ٣٥ هجرية . ويمكن ان نقول إن فن الخط ـ غير المتوفر على قواعد ـ قد



الخط المغربي المتعدد الالوان حيث نرى التمـــاثل الهندسي القوي وهو يكسبـــه شكـلا لا يمكن تقييده





لوحة زخرفية جميلة ، احتوت على « منمنمات » زخرفيـــة مورقـــة ، وفي وسطهـــاخطوط عربيـــة متداخلـــة في تنـــاسق بديـــع

هكـــذا تعاكست الالوان بين الحروف والحركـــات في هـــذه الصفحـــة التي كتبهـــا « القندوسي » بالخط المغربي القـــديم

ولد في هذه الفترة ، ليربط القران بجذوره المعجزة » .

ونجد ان ما كان يشغل ابن خلدون في مسالة اصل اللغة ، هو ايجابية الاحداث : « ... فالقول ان اهل الحجاز انما لقنوها في الحيرة ، ولقنها الحيرة في التبابعة وحمير هو الأليق في الاقوال . وكان لحمير كتابة تسمى المسند ، حروفها منفصلة ، وكانوا يمنعون في تعلمها إلا باذنهم » .

إن فرضية ابن خلدون ، تدعم اقوال معظم المؤرخين . ولكن ما يتصل بحديثنا هو فرضية الاصل السرياني للكتابة التي يلخصها البلاذوري فيقول : « كان هناك ثلاثة أشخاص اجتمعوا في بقعة وانشاوا الابجدية العربية على الطريقة السريانية . ومن هناك ، نزحت تلك الابجدية الى الانبار ثم الى الحيرة ثم الى مكة وهكذا دواليك . »

ليس هناك ما يبعث على الاستغراب في هذا اللقاء بين علم الخط العربي والمعرفة الاسلامية ، ذلك لأن علم الخط يحاول أن يرجع مختلف الكتابات الى اصل ومنبع مشتركين . كيف إذن نستطيع ان نعيد تركيب اثار تلك اللغات ؟

يتحتم على الانسان في هذا الحال ، ان يكون متجولا متوحدا ، يربطه حنين جارف الى الأصل الميتافيزيقي . كيف يتسنى إعادة تركيب الآثار المكتشفه هنا وهناك ، واعادة النطق بتلك الجمل التي نصادفها مكتوبة على شواهد القبور ؟

وكما استشهد الفيلسوف النظام ، فالخط كالنحلة المحمولة بقوة روحية ، قد تعلم منذ ولادته الطفرة . وفي حالتنا ، ستكون الطفرة اقل خطرا ، لأن الأبجدية العربية الحديثة ، حديثة العهد . فاقدم وثيقة بها تعود الى عام ٣٢٨ ميلادية .

نعود بعـــد كل هـــذا الى تحليل مسالة الكتابة واصلها .

الشيء الاول المفروغ منه ، هو ان الكتابة السامية المرتبطـــة بالفينيقية هي كتابة تتميز اساسا بالاعتماد على الصوامت ، وبالتوفيق المنهجي بين الجذور ، وكتابة الرسم الخطي من اليمين الى اليسار .

والشيء الثاني : نقوش النحارة ، **وحجرزبد ، وحران ، وام الجمال ، ورق انكادي .** وتسمى هذه النقوش الاربعة إجمالا باسم



طريقة خط الثلث في القلب ، وهي
طريقة تقرأ فيها السطور عكسا وطردا

المجال السوري ـ الفلسطيني

النحارة : نقش على القبور .

حجر الزبد : نقش مزدوج اللغة .

حران : مكتوب بلغات ثلاثية (يونانية وسريانية وعربية)

وام الجمال : التاريخ المحتمل ما بين ٢٥٠ الى ٢٧١ ميلادية .

ويمكن الرجوع الى تنقيح لهذه النقوش في الكتاب الهام بعنوان : سجل تاريخي للنقوش العربية .

إن أصل الكتابة العربية نبطي . فهي كتابة متفرعة عن الكتابة الارامية التي تفرعت بدورها عن الفينيقية .

فهل الكتابة « النبطية » العربية هي ما يسميه العرب بـ « الخط المسند » ؟

عمد الباحث « ب . موريتز » بصفته أحد المدافعين بحرارة عن الفرضية « النبطية » الى عقد مقارنة بين الحروف النبطية القديمة ، والحروف العربية القديمة ، واستخلص من هذه المقارنة عدم وجود خط القاعدة الأفقية . وهو يعتقد ان إدخال النقط على الحروف قد تم قبل الاسلام .

ويبرر الباحث ج . سورديل ، هشاشة هذه الفرضية ، فيقول :

ـ « إذا حكمنا اعتمادا على اسم العلم وعلى بعض الآثار ، فان النبطيين كانوا يتكلمون لهجة عربية ، إلا انهم كانوا يستعملون اللغة الارامية كلغة مكتوبة ، باعتبارها اللغة التجارية في الشرق القديم . وبعد انحطاط المملكة النبطية ، في القرن الميلادي الاول ، اضطرت العربية الى ان تتخذ ماوى لها في اللغة ـ الجد .

إلا ان البروفيسور « ج . فيفربى » وضع خصائص مميزة للغة العربية القديمة :

ـ الأبجدية النبطية مكونة من ٢٢ وحدة ، اما الابجدية العربية فهي مكونة من ٢٨ حرفا ، وقد تكيفت اللغة العربية بواسطة حركات الشكل .

ـ استخدام حركات الشكل والتنقيط كان موجودا قبل الاسلام .

ـ ورثت الكتابة العربية عن النبطية الخطوط الرابطة بين الحروف .

ويقول « ستاركى » الذي يبرز الفرضية العربية ، ما معناه: إن الكتابة العربية ذات التجانس النسبي ، تنحدر كلها من السريانية . وباعتبار الكتابة العربية موضوعة على السطر ، فبذلك تكون مثلها مثل الكتابة السريانية . بينما تكون نتمة الحروف النبطية معلقة فوق نفس السطر .

ويدور الحديث في النصوص العربية احيانا ، حول المسند ، واحيانا حول الجزم ، ويعتقد « ناجي زين الدين » ان الجزم مشتق من المسند ، والمسند حسب علم الخط ، هو « الكتابة الأولية للعربية » ، وهي كتابة متنوعة ، اشهرها الصوفية والثمودية واللحيانية .

لكن جميع هذه الفروق والأطروحات تحمل داخلها ، تناقضات تكوينية .

لقد اثبتنا بعض الأحداث ، مع ايراد نقد اوّلي لها ، ولاشك ان علمي الخط والنصوص القديمة يتحركان وفقا لمحور ميتافيزيقي قطري . فانهما لم يفلتا في فكر محدود متصل بالأصل .

القواعد الهندسية

ويقول المؤلفان إن الخط العربي يقوم على قواعد هندسية وزخرفية ، وبالتالي فان « قياسة الحروف » تدخل لعبة الوجوه الخطية » ويشبهانه بالايقاع الموسيقي الذي يمعضل انغام الموسيقى .

ويقولان بان « القواعد الهندسية هذه ، اخترعها وابتكرها ابن مقلة » .

ولكن ليس ابدع مما كتبه المؤلفان عن الخط العربي ، سوى اللوحات التي جمعاها من متاحف العالم اجمع . انه جهد عظيم لا يقوم به سوى اناس يحبون الخط العربي مثل المؤلفين .

مجدي نصيف



شكل (١) بطيخ .. باذنجان .. بازلاء .. طماطم .. ذرة .. فى نبات واحد ؟ ! .. والصورة لاشك خيالية ، او هو تصور ممعن فى الخيال ، لكنه يعكس بعض الجهود التى بدأ العلماء ممارستها الآن فى مجال جديد اسمه هندسة الوراثة) لمزيد من التفاصيل راجع المقال) .

إنهم يتلاعبون بهندسة الوراثة

بقلم : د . عبدالمحسن صالح

كل شيء يتطور حولنا بسرعة مذهلة ، ودون ان ندرى ، او ندرى .. لست ادرى ! لكن الذى ندريه حقا ان هذا التطور يتم على مراحل ، ولكل مرحلة ــ بطبيعة الحال ــ عصرها ، وبحيث تحجب كل مرحلة لاحقة ، ما سبقها من مراحل سابقة ، فعاش السابقون مثلا في عصر البخار ، ثم تلاها عصر الكهرباء ، ثم عصر الطاقة النووية ، ولازلنا نعيش الآن في عصر العقول الالكترونية ، والسفن الفضائية ، وقطع الغيار البشرية ، والقلوب والكلاوي والرئات الصناعية ، وبحيث يبدو لنا ان طموح الانسان في التغيير او التطوير لا تحده حدود .

الأساطير القديمة

لكن بدون فلسفة او لف او دوران ، كان علينا ان نستدرك ونقول : بطبيخ ذرة طماطم بازلاء باذنجان ، واضف الى ذلك ما تشاء .. **وقد يبدو ان كلامنا هذا هراء فى هراء .. وقد** يعلق عليه البعض ويقولون : هل هذا كلام عقلاء ؟

ليس ذلك حقا كذلك ، لكن ما حيلتنا فى التمهيد لموضوعنا الغريب والمثير ، الا ان نقدمه بهذه الصورة الخيالية التي في صدر هذا المقال ، (شكل ١) .

فكانما هذه الصورة التى نشرتها مجلة «مختارات العلم» مؤخرا ، تعيد الى اذهاننا بعض التصورات الرديئة التي سيطرت على عقول الناس فى العصور القديمة ، فتخيلوا وجود مخلوقات بها رأس انسان وجسم اسد وذيل حية ، او قد تاتي براس اسد وجسم ماعز وذيل تنين ، او بجسم طائر وسيقان حصان ووجه افعى .. **الى اخر هذه التصورات التى ذكرتها الأساطير .**

وعلى الوتيرة ذاتها يذهب الخيال فى عصرنا الحديث الى شطحات قد تكون اكثر رداءة من شطحات الأقدمين ، فياتي نبات ليعطي ثمرا من باذنجان وبطيخ وذرة وفاصوليا و .. و .. الخ !

لكن .. ما الذي دعانا حقا الى تناول مثل هذه الصور الخرافية في لب موضوع علمي له احترامه ومغزاه ؟ .. ثم او ليس ذلك نكسة في الفكر ، ورجوعا الى خزعبلات .. دعنا نرى :

بين الحقيقة والخيال

لاشك ان مجيء نبات اصله واحد ، وعليه ثمرات مختلفات هو تصور فج في وقتنا الحاضر ، او حتى لاجيال قادمة ، لكن هذا التصور انعكاس لما يجري في معامل العلماء الآن من بحوث غريبة على عقولنا وزماننا ، ذلك ان العلماء يلعبون الآن لعبة خطيرة ابسط ما نعبر عنها انها بمثابة القنبلة البيولوجية في علم الوراثة ، تلك العلوم التي بدات بسيطة ، ثم تطورت وتقدمت بصورة مذهلة ، بحيث نستطيع ان نقول اننا نعيش الآن في عصر جديد سوف **تكون له فى المستقبل اثار ونتائج قد تبدو** اغرب من الخيال ، ولقد بدا هذا العصر **يحقق** بعض الانجازات التي لم يكن يحلم بها العلماء القدامى ــ مجرد حلم ، ولهذا سمي بعصر هندسة الوراثة ، بمعنى انه بالامكان اجراء تعديلات في صفات الكائنات ، او نقل صفة او صفات من كائن الى كائن اخر ، لتصبح جزءا من جهازه الوراثي .

الصفات الوراثية

لكن قبل ان نبدا حديثنا عن **تلك** الكائنات « المعدلة » اي التي اكتسبت صفة جديدة لم تعرفها اسلافها ، دعنا اولا نمهد لهذا الموضوع المثير والغريب ، رغم اننا قد مهدنا له بثلاث او اربع مقالات سابقة على صفحات هذه المجلة ، وفيها تناولنا التكوين الدقيق للخلية الحية .. اية خلية تشاء ، من اي كائن تريد ، ذلك ان الخلايا جميعها تشترك في وحدات متشابهة ، اهمها على الاطلاق اشرطة وراثية سجلت عليها صفات الكائنات .

لهذا خذ خلية من انسان او نبات او حيوان ، وافحصها فحصا جيدا باحدى وسائل العـــلم الحديثـــــة ممثلة فى الميكروسكوبات الضوئية او الاليكترونية ، او من خلال التحليلات الفيزيائيـــــــية والكيميائية ، تجدها جميعا تحتوى على غشاء او سور يحدد لها شكلها ومعالمها ، وفى داخل الخلية توجد مادة الحياة التى تنتشر فيها مرافق شتى تدير بها عملياتها الحيوية ، والادارة ممثلة فى نواه ، والنواة تحتـــــوى على كروموســـــومات ، وعلى الكروموسومات تتراص جينات او مورثات ، وكل مورثة مكونة من شريط وراثي دقيق غاية الدقة ، والشريط ذاته يتكون من مركبات كيميائية اربعة هي : أدينين وثايمين وجوانين وسيتوزين ، او ا ، ث ، ج س (شكل ٢) .. اخذنا الحرف الأول من كل كلمة من باب الاختصار ليس إلا ، وفي هذه المركبات او الحروف الاربعة تشترك كل الكائنات ، وبحيث اذا نظرت الى الشريط الوراثي تحت الميكروسكوبات الاليكترونية فلن تستطيع ان تحدد ان كان هذا الشريط قد جاء من خلية من خلايا القرد او الحمار او الفاصوليا والبطيخ والباذنجان .. الخ ، فجميعها متشابهة تماما ، مثلها في ذلك كمثل اشرطة التسجيل ، فانت لا تستطيع ان تميز بين شريط وشريط ، الا اذا وضعته في الة التسجيل ، وعندما تسمع ، تستطيع ان تعرف وتحدد !

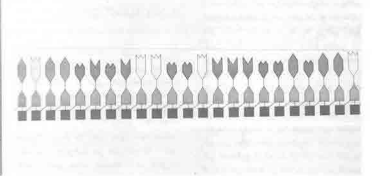
كذلك الحال مع اشرطة المخلوقات .. انها في الظاهر متشابهة ، لكن التباديل والتوافيق بين حروفنا الاربعة مختلفة ، **ومن هذا الاختلاف ، تختلف صور الكائنات ، وعنـــدما تدير الخليـــة اشرطتها بوسائلها** الخاصة ، وتترجم شفراتها المسجلة عليها ، فان الترجمة تتحول الى خطة عمل .. الى صفات وراثية تميز كل كائن عن اي كائن اخر .

نقل الاشرطة وزراعتها !

وكالمريض الذي يزرع له الجراحون قلبا طبيعيا او صناعيا ، اذا ما فسد قلبه ، او اخر فشلت كليته ، فتزرع له كلية سليمة من شخص اخر ، او كبداية السيطرة على عمليات الاخصاب في الانابيب او الأطباق .

ثم تزرع بدايات الأجنة بعد ذلك في الارحام لتواصل فيها نموها حتى تولد اطفالا سوية ، كذلك بدا العلماء في الدخول الى ميدان جديد ومثير ، وبه بداوا زراعة الجينات في خلية من خلية اخرى لا تمت لها بادنى صلة ، وحققوا فى ذلك بعض النجاح ، رغم ان البدايات في هذا المجال متواضعة ، الا ان السنوات القادمة سوف تتمخض عن انجازات مذهلة ، وبها ستتحقق ثورة في العلوم البيولوجية ، بحيث تضعنا على اعتاب عصر جديد يفوق في خطورته عصور

إنهم يتلاعبون بهندسة الوراثة



شكل (٢) نموذج مبسط لجزء ضئيل جدا من الشريط الوراثي ، وعليه تتراص الشفرات الكيميائية الاربعة ا ، ث ، ج ، س (وهى التى تظهر فى النموذج بالوانها الحمراء والصفراء والخضراء والزرقاء من باب التبسيط ليس إلا) .. وكل الكائنات الارضية تشترك فى هذه الشفرات التى تنتظم فى اشرطة .

شكل (٣) (ا) جزء من شريط وراثى كما يظهر مكبرا عشرات الالوف من المرات وبهذا الجزء امكن وصل جزء اخر من شريط وراثى (المحصور بين سهمين)

الطاقة النووية ، او العقول الاليكترونية ، او السفن الفضائية ... الخ .

ولاشك اننا ننظر الى الانسجة والاعضاء . بشيء من الدهشة والاكبار لكن ذلك يعتبر انجازا متواضعا ، لانه محدود بحياة انسان تلف منه عضو ، فاستبدله الجراحون بعضو اخر ، لكن **الغرض من نقل الجينات او وحدات الوراثة** وزراعتها على مستوى الخلايا . له اهداف اخرى اعظم واخطر وانفع من زراعة الاعضاء ، إذ ان ذلك قد يحقق للبشرية ثروات هائلة في الزرع والضرع ، او في السيطرة على بعض الامراض الوراثية . او في استخدام الخلايا « المعدلة » في عمليات صناعية نجني من ورائها خيرا كثيرا .

ولن نستبق الاحداث هنا ، بل علينا اولا ان نوضح ماذا نعني بخلايا معدلة ، انها الخلايا التي وضع لها العلماء في بروجرامها الوراثي جزءا من بروجرام خلية اخرى . فتظهر فيها صفة وراثية جديدة ، تؤدي الى خطة عمل محددة ، تتمخض عن عملية كيميائية لم تكن موجودة في اسلافها اما كيف يحدث ذلك . فشرحه يطول . لكن علينا ان نبسط ذلك بمثال من واقع حياتنا ، وليكن هذا في شريط من اشرطة التسجيل التي نعرفها تمام المعرفة . فمن الميسور مثلا ان نصل قطعة من شريط في شريط اخر ، وعندما ندير الشريط الموصول ، نسمع فيه ما اوصلناه بالشريط الاصلي . فان كان فيه موسيقى او اغنية ، واقحمنا فيه زقزقة عصفور ، او نهيق حمار ، او ازيز طائرة .. الخ ، فلاشك ان هذه الاصوات الغريبة سوف تعبر عن نفسها عند مرورها في جهاز التسجيل !

او لنفرض ان هناك مصنعا اليا يقوم بتصنيع سيارة حسب بروجرام محدد على خطوط التشغيل او التجميع ، ثم اريد ادخال تعديل على التصميم ، عندئذ لابد من اضافة هذا التعديل في بروجرام التصنيع ، ليدخل على خطوط التشغيل ، فيخرج « الموديل المعدل » الى الاسواق .. وبنفس هذه الفكرة يتلاعب العلماء بالاشرطة الوراثية ، فهي ايضا بمثابة بروجرامات ، تترجم الى تصنيع بروتينات على خطوط التشغيل في الخلية ، وبالبروتينات تدير الخلية شئون ملكوتها الدقيق .

اذن .. ما على العلماء إلا ان يختاروا جينة من خلية ليزرعوها في خلية اخرى ، **وبطرق لن نتعرض هنا لتفاصيلها ، حتى لا** تباعد بيننا وبين موضوعنا ، المهم ان الخلية تتقبل الجينة المزروعة ، وتقوم هي بعد ذلك بتنفيذ الخطة ، اي عليها ان تصل الشريط الوراثي للجينة الغريبة باشرطتها الوراثية ، وتكتسب بذلك صفة جديدة ، او خطة معدلة (شكل ٣) .

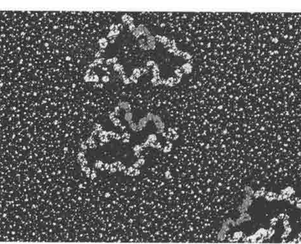
ومن حسن الحظ ان الخلايا لها ادواتها « الجراحية » الدقيقة التي تستخدمها في قص الاشرطة ثم حياكتها من اطرافها المتحررة ، لتصبح متكاملة ، والواقع ان هذه الادوات التي تستخدمها الخلايا فى اجراء عملياتها الجراحية على مستوى الأشرطة الوراثية ، قد امكن عزلها والتعرف عليها ، وما هذه الادوات إلا انزيمات او خمائر تستطيع ان تبتر وتحيك وتضمد ما تهتك منها ، او ما دخل فيها من اشرطة غريبة (شكل ٤) .

اول الغيث قطرة !

وبدون الدخول فى التفاصيل نقول : ان العلماء قد حققوا فى هذا المجال نتائج رائعة ، رغم انها لازالت متواضعة ، من ذلك مثلا انه امكن تحويل ميكروب مسالم الى ميكروب « شرير » يصنع السموم ، ويسبب المرض ، **وقد يجلب المــوت ، وذلك** بنقل جينة او عدة جينات من الميكروب الممرض الى الميكروب المسالم ، فاصبحت من صفاته العدوانية والغزو والتدمير فى انسجة العائل الذى يدخله غازيا ، هذا رغم ان اترابه من المسالمين !

وطبيعى أن بحوث العلماء فى هذا المجال ليست للتدمير ، لكن ليس ببعيد ان يستغل هذا السلاح فى انتــاج نمط من ميكروبات معدلة يحمل كل الصفات السيئة التى تتسبب فى احداث امراض بالجملة ، وبحيث لا ينفع معها طب الاطبــاء ، ولا قوائم الدواء ، وعندئذ تنتشر كوبــاء لا يبقى فى البشر ولا يذر .. اى انه قــد يستخدم كسلاح بيولوجى اقوى فتكا من القنابل النووية او النيوترونية !

نعود لنقول ان بحوث العلماء موجهة فى الوقت الحاضر لفائدة البشرية ، بمعنى ان الهدف هو انتقاء احسن الجينات او المورثات ذات الصفات المرغوبة وزراعتها



شكل (٣) (ب) صورة توضح زراعة جزء من شريط وراثى فى شريط دائرى لميكروب (الجزء المزروع موضح بلون احمر) .

شكل (٤) للخلايا ادواتها «الجراحية» ممثلة فى انزيماتها التى تقطع بها الأشرطة الوراثية او توصلها ، او تعيد بناء ما يعطب منها .. الخ . والنموذج يبين خطوات اربعة تتم فى الشريط الوراثى الذى حدث فيه خطأ .

فى الخلايا .

او يمكن استخدام هذه الخلايا المعدلة لانتاج مركبات او أدوية او هرمونات اجســـام مضادة (بروتينات المناعة) .. الخ ، يصعب الحصول عليها فى الوقت الحاضر بكميات كبيرة .

ولكى نوضح معنى ذلك ، دعنا نضرب له مثلا ومثلا .. ولنفرض هنا اننا اردنا انتاج نوع من البطيخ يجمع بين الحلاوة والرائحة والمذاق ، عندئذ كان لابد من اقحام مورثات اوجينات أخرى فى خلايا البطيخ تجمع هذه الصفات ، فمن أراد بطيخا بطعم الفراولة او التفاح او الخوخ ، فما عليه الا ان يعزل الجينة او الجينات المسئولة عن انتاج المادة الكيميائية المرغوبة من خلايا هذه النباتات ، ثم يقوم بزراعتها فى خلايا البطيخ ، ثم السيطرة على هذه الخلايا ودفعها لتنتج نباتات البطيخ ، بدلا من الاعتماد على زراعة هذا النبات بواسطة الطرق التقليدية ، أى باستخدام البذور .

وهل يمكن حقا ان تنتج الخلايا المعدلة نباتات كاملة ذات جذور وسيقان واوراق وزهور وثمرات ، خاصة وان ذلك حيود عن الطريق الطبيعى الذى عرفه الانسان من قديم الزمن ؟

نعم .. فلقد تحقق هذا الهدف فى وقتنا الحاضر .. اى امكن انتاج نباتات سوية بطريق الخلايا دون البذور ، لكن ذلك موضوع اخر مثير سوف نتعرض له فى دراسة قادمة ، لنعرف المفاجآت الغريبة التى يمكن أن تتحقق فى المستقبل .

او لنفرض أننا اردنا انتاج نوع من ثمار الطماطم يحمل طعم الفلفل والبقدونس والنعناع ، فما علينا الا ان نحصل من الفلفل على الجينات التى تعطيه طعمه ، ومن البقدونس والنعناع على جيناتهمـــا التى تحدد مذاقهما ، ونزرع ذلك كله فى خلايا نبات الطماطم ، عندئذ تعبر هـــذه الجينات بصفاتها فى خلايا نبات الطماطم المعدلة ، ثم نبدا زراعتها ورعايتها لتعطينا ثمرات طماطم مفلفلة ومنعنعة ولها ايضا مذاق البقدونس او الكمون او اى نوع من البهارات المستملحة !

الخيـــال يتحقق !

وقد يبدو ان ذلك من شطحات الخيال ، او هو أقرب الى فكرة النبات الذى يحمل بطيخا وباذنجانا وطماطم .. الخ ، وهو الذى عرضنا له صورة خيالية فى صدر هذا المقال ، لكن ذلك ليس خيالا محضا ، بل امكن تحقيقه فى نقل جينات من خلايا ارقى مخلوق الى خلايا اضال مخلوق ، اى بين انسان وميكروب ، ولقد بدا العلماء بتحقيق هذا الهدف لأهمية ذلك فى علاج مرض السكر الذى يعانى منه فى عالمنا المعاصر عشرات الملايين .

إن حرق السكر فى خلايانا وخلايا الحيوان يحتاج الى هرمون الانسولين ، والانسولين تنتجه خلايا خاصـــة فى البنكرياس ، ولانتاجه خطة ، والخطة موجودة على جينة او جزء من الشريط الوراثى ، ومن الممكن فى وقتنا الحاضر عزل هذه الجينة ، او حتى تخليقها فى المعامل ، ثم يمكن نقلها وزرعها فى خلايا بكتيرية ، وبالتحديد فى نوع خاص من البكتيريا التى تسكن فى امعائنا الغليظة (البكتيريا القولونية) ، ولقد تقبل هذا النوع جينـة انسولين الانسان ، واصبحت جزءاً من جهازه الوراثى ، وبحيث تتكاثر معه اذا تكاثر الميكروب ، وتنتقل الى ذريته واجياله القادمة ، وكأنما هذا الشريط الوراثى الذى يحمل خطة تكوين هرمون الانسولين ، قد أصبح جزءا لا يتجزأ من الجهاز الوراثى للبكتيريا ، ليس هذا فحسب ، بل امكن لهذه البكتريا ان تجعـــلــه جـــزءاً من بروجرامها ، ووضعته فى خطة التشغيل لحسابها ، وباختصار ، فقد انتجت البكتيريا هرمون الانســــولين ، وهى لا تحتاجه فى قليل او كثير ، ومن ثم فقد امكن استخلاصه منها بحالة نقية ، وجرب هذا الانسولين على مرضى السكر ، فاشتغل فيهم بنفس الكفاءة التى يشتغل بهـــا الانسولين البشرى فى البشر ، ذلك انه صورة طبق الأصل منه ، وكان ذلك فى حد ذاته انتصارا عظيما شجع معاهد البحوث والجامعات وشركات الادوية على الدخول الى ميدان جديد ، أدى الى تنافس شديد ، وسار فى شتى الاتجاهات ، لأن ذلك سوف يدر عليها اموالا طائلة .

ثم تحقق بعد ذلك انتصار اخر كبير ، فالمعروف ان اجسامنا تستطيع ان تنتج مادة بروتينية اسمها « انترفيرون » ،

والانتاج لا يتم الا اذا غزت الفيروسات اجسامنا ، لكن لولا وجود هذا الانترفيرون ، لما كانت لها مقاومة تذكر ، ذلك ان تلك المادة تصنع وتفرز بكميات ضئيلة غاية الضالة من الخلايا المصابة بالفيروسات ، ثم ينتشر منها الانترفيرون الى ما حولها من خلايا سليمة ، وينذرها بان البلاء قادم ، وبطريقة لسنا ندرى كل تفاصيلها بعد ، تقوم الخلايا بتغيير بعض خططها الحيوية ، بعد ان تكون قد استجابت لهذا الانذار الانترفيرونى ، فاذا جاءتها الفيروسات غازية ، وجدت الاستحكامات الخلوية قائمة ، والابواب موصدة ، فلا تستطيع دخولا ولا غزوا ، وبهذا ينجو الانسان ، وتندحر الفيروسات ، لكن ليس ذلك فى كل الاحوال ، اذ تختلف استجابة الخلايا لهذه الانذارات الكيميائية ، ومن يستجيب لها اسرع ، تكون فرصة النجاة اكبر !

ولاشك ان هذا الانترفيرون سلاح جبار بين ايدى العلماء والاطباء ، اذ به يمكن اكساب الاجسام مقاومة ضد غزو الفيروسات ، بداية من الانفلونزا وشلل الاطفال والتهاب الكبد الفيروسي والسعار (داء الكلب) وغير ذلك من امراض فيروسية ، وانتهاء بكثير من انواع داء السرطان ، خاصة تلك الاورام التى يقال انها تنشا من غزو فيروسى .

لكن المشكلة العويصة تتركز فى عدم امكان عزل هذا الانترفيرون بكميات تسمح باستخدامه فى العلاج ، لان الخلايا تفرزه ـ كما سبق ان المحنا ـ بكميات ضئيلة غاية الضالة ، كما ان الانترفيرون المعزول من الحيوان لا ينفع مع الانسان ، وكل ما حصل عليه العلماء يكفى فقط للتجارب العلمية ، والقليل جدا قد استخدم فى علاج بعض حالات السرطان ، لكن الجرعات الضئيلة التى يتقبلها المريض الواحد تصل تكلفتها الى حوالى ٤٠ الف دولار !

واخيرا ظهر الامل فى هندسة الوراثة ، وامكن زرع الشريط الوراثى المسئول عن انتاج الانترفيرون فى الانسان فى ميكروب ، وتقبله قبولا حسنا ، فاصبح بذلك ميكروبا معدلا لانتاج الانترفيرون البشرى .. صحيح ان الانتاج لا يزال متواضعا ، لكنها بداية موفقة على اية حال ، فاول الغيث قطرة ـ كما يقولون ، لكن مما لاشك فيه ان كل شيء يتطور الى الاحسن ، وبمزيد من الادراك والفهم لاسرار الحياة ، يمكن السيطرة على هذه العمليات ، فتمنحنا من خيراتها باليمين وباليسار ، لتنقذ البشرية من الامها وامراضها .

اهداف اخرى تتحقق

ان المبدأ العام الذى يرتكز عليه علماء هندسة الوراثة الآن انه بالامكان نقل اية صفة وراثية من اى نوع من الكائنات الى اى نوع اخر ، والصفة او الصفات ذاتها مسجلة على اشرطة ، والاشرطة موحدة فى الفكرة ، وموحدة فى الشفرة ، لكن الاختلاف بين صفة وصفة ، او بين نوع من الكائنات ونوع اخر ، يرجع الى التباديل والتوافيق التى تتم فى تنظيم الشفرة على الاشرطة ، كما انه قد اصبح متاحا الآن تبادل شفرات الوراثة بين المخلوقات ، او التحام شريط من كائن فى شريط كائن اخر ، ليعطيه صفة من صفاته ، ولا يهم بعد ذلك ان كانت هذه الصفة او الصفات المكتسبة متبادلة بين انسان وميكروب ، او بين حيوان ونبات ، او حيوان وحيوان ، او نبات ونبات .. المهم ان نحدد اولا الصفة الوراثية المرغوب نقلها وزرعها ، ثم نعزل شريطها ونقحمه على الجهاز الوراثى فى خلية اى كائن اخر ، لتقوم الخلية باجراء عملية « جراحية » على ادق المستويات ، فتقطع وتوصل وتضمد ، وبهذا يصبح الشريط المزروع جزءا منها لا يتجزأ ، فيكسبها صفة جديدة لم تعرفها اسلافها .

لكن العلماء يركزون على الاهم ثم المهم ، فاهم ما تحتاجه البشرية الان ادوية تشفى امراضها ، او تخفف الامها ، او تنقذ ضحايا شلل الاطفال والسرطان وكثير من الامراض الوراثية وعلى راسها انماط التخلف العقلى المختلفة .. الخ ، والامل معقود على هندسة الوراثة ، اى نقل خطط التشغيل الوراثية التى اصابها العطب فى الانسان ، لادارتها فى الميكروبات ، ثم ارجاع انتاجها الى الانسان المعطوب ، فلعلها تعوضه عما فقد !

لقد اصبحنا نسمع الآن عن شركات ومؤسسات اسماء غريبة تدل على اننا مقبلون على عصور غريبة لم تكن تراود احلام العلماء منذ حوالى عشرين عاما فقط .. من ذلك مؤسسات مثل « جينتك » و « جينكس » و « بيوجين » .. الخ (Genetec, Genox, Biogen) تحمل فى مضمونها كلمة « جين » ـ اى وحدة الوراثة ، فكاننا نحن امام شركات قد تخصصت فى نقل وزراعة وحدات الوراثة ، لتتمخض عن تكنولوجيا الوراثة .. اى تشغيل الخطط الوراثية المزروعة على خطوط تشغيل الخلايا ، اسوة بما يحدث فى خطوط تشغيل الآلات التى تديرها عقول اليكترونية .

وعلى الجانب الآخر انشئت شركات ومؤسسات لانتاج خلايا نباتية معدلة ، تتمخض عن نباتات معدلة ، وبسيطرة العقول البشرية الخلاقة ، منها على سبيل المثال لا الحصر مؤسسة كالجين ، وسنجين وفيتوجين Calgene, Sungene, Phytogene .. وكلها تشترك فى تكنولوجيا الجين النباتى ، او هندسة الوراثة النباتية ، وعلى هذا يعلق البروفيسور روبرت شيبرد استاذ علم امراض النبات بجامعة كاليفورنيا ، فيقول « ان اصول الزراعة فى غضون الخمسين سنة القادمة سوف تختلف اختلافا جذريا عما هى عليه الآن ، اذ سيكون لدينا انواع كثيرة من نباتات محاصيل جديدة » .. ويعنى هذا اننا فى الطريق الى احداث ثورة خضراء قد يصعب التنبؤ بابعادها .

بقى ان نذكر ان انتاج الخلايا المعدلة ، وبمواصفات وراثية محددة ، والسيطرة عليها بطرق معقدة ، قد ادى الى انتاج عقاقير وهرمونات وبروتينات وانزيمات ولقاحات .. الخ ، وان بعض هذه المركبات قد جاءت من اشرطة وراثية فى خلايا مخ الانسان نفسه ، لكنها اشتغلت فى الميكروب ، لتعطى ما عجز المخ عن انتاجه ، نتيجة لخطا عارض او وراثى حل فى بعض جيناته ، وبهذا يقوم ادنى المخلوقات بمساعدة اعلى المخلوقات ، ومن وراء ذلك بحوث ناجحة ، وعلوم نافعة ، وتطبيقات مثمرة .

د . عبد المحسن صالح

الذي سقط سهواً من السعدني!

بقلم: الدكتور علاء عباس الأسواني

في العدد الصادر في ابريل الماضي ، كتب الأستاذ محمود السعدني مقالا تحت عنوان « المأساة الأسوانية » ، تحدث فيه عن صديق عمره الكاتب المرحوم عباس الأسواني .
وقد وصلتنا رسالتان للرد على بعض ما ورد في مقال السعدني . احدهما من الأستاذ صلاح الأسواني المحامي . والثانية من د . علاء الأسواني ، نجل عباس الأسواني ، ونكتفي هنا بنشر رسالة الدكتور علاء الأسواني تعقيباً على مقال السعدني :

عزيزي الأستاذ محمود السعدني ....

قرات لك مقالا فى « الدوحة » عن عباس الاسواني .. اخترت له انت عنوان « المأساة الأسوانية » .وبالرغم من الحب الذي تخلل عباراتك عن الكـــاتب الراحـــل – الذي هو ابي – إلا ان مقالك قد جاء حافلا باخطاء ... هي مدهشة حقا ... !

وليس المدهش انك اخطات .. فسبحان المعصوم ، ولكن العجيب انك غفلت – أقول غفلت – عن حقائق ووقائع كنت اظنك تعرفها .. جيدا ..

وبما ان عباس الأسواني – الراحل – لا يملك الآن دفاعاً عن نفسه .. فلتسمح لي ياأستاذ سعدني أن ابين انا ما خفي في مقالك ... من الحقائق : .

أولا : ذكرت في مقالك ان عباس الأسواني كان مرتبطا بطبقة الباشوات الذين كانوا أصحاب الفضل في تعليمه .. ولهذا كان يكره ثورة يوليو ووقف ضدها .

ووجه الحقيقة ان الأستاذ عباس الأسواني تعلم في كلية الحقوق حتى حصل على الليسانس ، ولم يدفع – هو أو غيره – مليما من المصاريف ، اذ كان – رحمه الله – حاصلا على المجانية لتفوقه في البكالوريا ... ! اما ارتباطه بالباشوات فقد ذكرت بنفسك – في نفس المقال ، ان عباس الأسواني اعتقل عام ٥٢ وكاد ان يحكم عليه بالاعدام .. بسبب انتمائه لحزب مصر الفتاة .. فكيف يتفق ان يقتنع المرء بمبادئ حزب مصر الفتاة ، وحكم الباشوات في ان واحد .. ؟ !

سؤال اترك إجابته لثقافة الأستاذ السعدني .. التي اثق فيها كثيرا

ثانيا : تعجبت في مقالك وقلت إنك لم تفهم لماذا عادى عباس الاسواني حكم عبد الناصر .. وهو العهد الذي لمع خلاله ككاتب وفنان .. ثم رحب بعد ذلك ببداية عهد السادات بالرغم من انه – الاسواني – قد خرج من مولد الانفتاح بلا حمص – كما قلت .

ويكفي عباس الاسواني انه فعل ما لم تفهمه انت – للأسف – إذ لم يكن الرجل يحسب موقفه من اي عهد بقدر ما ياخذه او يمنع منه ..كما ان مصدر رزقه الرئيسي كان من المحاماة – مهنته الاولى – واظنك عرفته محاميا بارعا في قضاياك الكثيرة .. يا استاذ سعدني ..!!

وقد اختلف عباس الاسواني مع عبد الناصر وثورة يوليو حول نقطة واحدة .. لم تلتفت إليها الثورة .. وكانت حجر الزاوية في فكر الأسواني ، كان الخلاف حول الديمقراطية والحريات العامة .. ولعلك يا استاذ سعدني لو رجعت إلى محاضر اللجنة المركزية « جلسات مارس ١٩٦٨ » ، لقرات فيها كيف ان عبد الناصر نفسه استشعر فداحة المنع الديمقراطي في مصر واعتبره سببا هاما من اسباب الهزيمة .. ترى هل كان الأسواني مخطئا في خلافه مع الثورة ؟ !

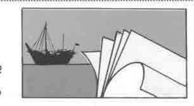
ثالثا : ذكرت في مقالك ان عباس الاسواني « أراد أن يحتفظ بفنه طاهرا فتكسب بفن مجلوب .. » .

والحق ان عباس الأسواني لم يتكسب بفنه قط ..! ولو انه فعل .. ، لما قدر لمحمود السعدني يوما ان يكتب عن ماساته ... !! ودعني اذكرك بالقرار الذي اصدره انور السادات في عام ١٩٧٢ بمنع عباس الأسواني من الكتابة – ضمن من منعوا حينئذ – واذكرك ايضا بان عباس الأسواني لم يكتب حرفا في مدح أو مداهنة مسئول . اما قصيدته التي جاء ذكر السادات في بيت منها .. فقد كتبها عباس الأسواني في يوم ١٤ اكتوبر عام ١٩٧٣ ... ومن منا لم يكن مؤيدا لأنور السادات في ذلك اليوم ؟ !

كلمة اخيرة .. اهمس بها في اذن العم العزيز محمود السعدني :

إذا كان عباس الاسواني – في رأيك – مسدسا بغير طلقات كما قلت .. فمن المؤكد ان احدا – صغيرا كان او كبيرا – لم يكن يملك ان يطلقه على احد ... !! شكرا ..

أوراق من البحر



بقلم : عبد الرحمن المناعي
ريشه : سلطان السليطي

أم راشد.. تزرع الفرح على وجوه النسوة!

عندما ذهب الجميع الى الشاطىء لوداع السفن الراحلة الى مصائد اللؤلؤ .. لم تجد « ام راشد » سببا للمشاركة .. فلقد ودعت زوجها وابناءها الثلاثة منذ زمن بعيد .. لم تعد تكترث لرحلة الغوص وبيتها الذي تقلص الى مساحة صغيرة « الكبر » . الوحيد الذي لم يعد يضم غير سنواتها الستين ، وذكرياتها الموجعة عن البحر .

وعلى صوت قرع الطبول القادمة من بعيد .. بدات في تخطيط الأرض التي تفصل بين كوخها .. وبوابة البيت .. بينما تحصر في عقلها عدد نساء الحي ، لتخصص لكل امراة **مكان مناسب** .

وعندما خفتت الاصوات على الشاطىء وبدات **الهمسات** الحزينة تدور في ازقة القرية .. كانت ام راشد قد انهت حرث الارض واسندت راسها المتعب على الحائط الطيني تنصت للنساء . وهن يطيبن خواطر ابنائهن الصغار .

وتبتسم ام راشد في حزن ، لمعرفتها بنساء القرية . وطيبتهن المتناهية .

وعندما اختفى آخر شراع في الافق كانت ام راشد قد انهت زراعة الأرض ببذور « المشموم » ..

بعد شهر :

في بيت النوخذة .. دارت الفناجين .. واجتمعت النسوة في جلسة صباحية افترشن « الصبان » والابواب مشرعة ..

القرية لا تضم إلا النساء والاطفال والعجزة .. زوجة النوخذة تؤكد على تفاؤلها هذا العام .. فبعد مرور شهر .. لم تشهد المنطقة اي رياح قوية ، ودرجة الحرارة لا زالت مناسبة ..

كانت تريد تاكيد معرفتها كزوجة لقائد السفينة بالبحر واحواله .. وبمرور الوقت تستيقظ العيون .. وتراقب الابواب بشـــوق .. فحديث امراة « النوخـــذة » لا يغني عن حكايـــات **الحجية ام راشد ...**

وعندما تلج الباب بعكازها وابتسامتها الرزينة .. يبادر الجميع الى سؤالها : ما اخبار المشموم يا ام راشد ..؟ وعندما تبدا الحديث عن المشموم ونموه **بشكل جيد ، وكيف يجدل مع الضفائر** السوداء .. تكون الامواج قد حملت السفن الى الشاطىء . عندها تنبذ الليالي الموحشة والمضنية .. وتنجز ام راشد عملها السنوي .. برضى كبير .. حيث انها نذرت نفسها من سنين بعيدة لتجميل النساء في القرية بالمشموم .. فهي لا تكتفي بزراعته ورعايته .. بل انها تخيط اوراقه على شكل كور صغيرة **مطعمة ببعض ازهار الياسمين البيضاء ..** وتربط كل اربع او ست او ثمان كور مع بعضها حسب طول شعر صاحبته .. وعندما تزف البشرى ، وتعود السفن .. تسارع النسوة إلى الحجية .. « كان ابنها سيتزوج بعد عودته من الرحلة ولكنه لم يعد »!

● بعد شهر آخر :

ما اخبار المشموم يا ام راشد .. ؟

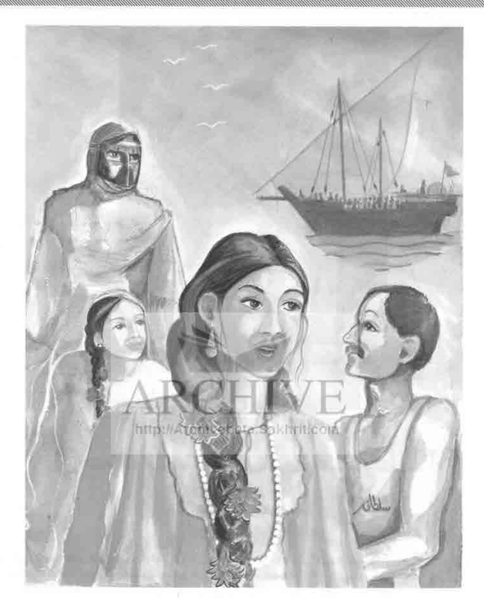
تبتسم لزائرتها .. وتتناول طبق الارز والسمك .. تجلس في الظل امام الكوخ .. تتناول وجبتها .. بينما زائرتها تداعب اوراق **المشموم** الخضراء بفرح عارم .. وتنصرف بورقة واحدة تفركها بين راحتيها ، ام راشد تزرع ولا تطبخ .. فهذا هو المقابل .. كل وجباتها من جيرانها وما عليها إلا زراعة الفرح على وجوه النسوة العابرات .

واقترب الموعد .. وبدات بذور المشموم تنبثق في اعلى الغصون ضاربة الى اللون البنفسجي .. مشيرة الى تمام اخضرارها ..

انصرفت ام راشد في الايام الاخيرة الى تجهيز المشموم بجانب قيامها بنقش اكف النساء وارجلهن بالحناء ..

وانتهى الموسم .. لم تعد السفن .. تاخرت .. والمشموم لابد ان يبقى اخضر فالمزيد من الجهد يام راشد .. يجب ان يفرح الجميع .. وعندما صرخ الاطفال على الشاطىء : « يبن البوم .. ردوا الغواويص » تواقدت النسوة الى ام راشد .. كل تخطف نصيبها وتجري فرحة إلى اتمام زينتها .

وام راشد مستندة الى كوخها ترقبهن



وهن فرحات .. واصوات الاطفال مع الطبول القادمة من البحر .. تشيع الفرح في سماء القرية .. والمساحة الممتدة من الكوخ الى الباب اصبحت جرداء . عندما رحلت الشمس .. كانت ام راشد لا تـزال ترقب الارض .. وتسـتشف الضحكات من خلف الجدران الطينية .

في الصباح اقبلت النسوة بالاطباق الشهية إلى ام راشد .. لكنها لم تزل مستلقية هناك .. وشبح ابتسامة .. لا يزال على شفتيها .. !

الكبر : كوخ يشيد من سعف النخيل وجذوعه وسقفه يكون على شكل مائل .. وبعض الاكواخ يبنى الجزء الاسـفل منها .. من الحجارة والطين .. والجزء الاعلى بسعف النخيل .

المشموم : او « الريحان » اوراق خضراء ذات رائحة زكية ، دأبت النساء قديما على استخدامه لزينتهن .. وذلك بتجميع الوريقات فى كور تعلق مع جدائل الشعر .. كذلك يستخدم لتحضير بعض العطور.

الصبان : نوع من انواع القواقع الصغيرة جدا .. تتجمع على الشواطىء بكميات كبيرة .. تجمع وتجفف وتفرش بساحات البيوت حيث انها تحافظ على نظافة البيت .



الشاعر الايطالي ايوجينيو مونتالي .. اخر شعراء ايطاليا العظام !

الأيّام الأخيرة في حياة شاعر عالميّ من إيطاليا !

بقلم: الدكتور عيسى الناعوري

في اليوم نفسه الذى قابلت في صباحه الروائي الايطالي دينو بوتساتي في دار جريدة (كوريري ديلا سيرا) ، زرت عند اصيله الشاعر الكبير ايوجينيو مونتالي في بيته : يوم الثلاثاء ، ١٥ تشرين الثاني ١٩٦٠ .

منذ الأيام الأولى لوصولي الى ميلانو ، كنت اود معرفة مونتالي ؛ ففي ايطاليا كان الجميع يحدثونني عنه ، باعتباره احد الشعراء الكبار ، الذين يتربعون على قمة الأولمب من الشعر الايطالي المعاصر .

في اليوم التالي لوصولي الى ميلانو ، حاولت مخاطبته هاتفيا ؛ فقيل لي إنه في باريس يشارك في إحدى المناسبات الشعرية المهمة ، وانه قد يعود خلال عشرة ايام .

وفي مساء ١٤ تشرين الثاني حاولت مرة ثانية ان اهاتفه ، فرد «مونتالي» نفسه ، وضرب لي موعداً للقائه في منزله الساعة الرابعة من اصيل الغد .

الساعة الرابعة تماماً وصلت الى «شارع بيليي رقم ١١» ، وصعدت بالمصعد الى الطابق الرابع ، ولما فتحت باب المصعد لاخرج ، كان «مونتالي» يقف هناك في انتظاري . فقدم إلي نفسه حالا ، وقدمت نفسي . فسار امامي على مهل الى غرفة مكتبته .

كان عمر «مونتالي» يومذاك خمسة وستين عاماً ، ولكنه بدا لي اكبر من ذلك

بكثير . وقارنت فى سرى بينه وبين زميله الشاعر الكبير دييجو فاليرى ، فى البندقية: كان عمر «فاليرى» حين لقيته فى البندقية قبل ايام ، اربعة وسبعين عاماً ؛ اى انه اكبر من «مونتالى» بتسع سنوات ، ولكنه فى الحقيقة كان يبدو اصغر منه بتسع سنوات أو عشر . لقد جاء للقائى ماشياً من منزله الى الفندق تحت المطر الشديد ، لانه كان يخشى علي من الضياع لو غادرت الفندق لأزوره فى منزله ، فى تلك المدينة المائية التى لا يمكن ان يستاجر فيها المرء سيارة ، لان لا سيارات فيها ؛ وانا لا اعرف المدينة ، بل ازورها لاول مرة .

شرحت لمونتالى الغرض من زيارتى ومن وجودى فى ميلانو . وحدثنى هو عن حياته وعن اعماله الادبية . ثم نهض وتناول من احد رفوف مكتبته نسخة من كتابه الشعرى (العاصفة) ؛ وبيد مرتعشة من اثر الشيخوخة والضعف ، كتب على الصفحة الاولى من الكتاب كلمة اهداء قصيرة : «الى عيسى الناعورى ، تذكارا من : ايوجينيو مونتالى ـ ميلانو ١٩٦٠» . وعلى ورقة مستقلة كتب ايضا باليد المرتعشة عينها ، نبذة قصيرة خاطفة عن حياته وعن اعماله الشعرية ـ لا ازال احتفظ بهذه الورقة داخل ديوان «العاصفة» ـ ثم قدم الي بعض صوره الشخصية ، وعليها توقيعه .

استغرق اللقاء ساعة : من الرابعة الى الخامسة مساء . وكان «مونتالى» يتكلم ببطء وبصوت خافت ، بادي التعب . قال لي إن لديه من الاعمال الشعرية المنشورة حتى ذلك الحين : « عظام السبيدج » ، و «المناسبات» ، و «العاصفة» . واوصانى بان اذهب الى ناشر كتبه ـ دار موندادورى ـ ليهدى الي ديوانيه الآخرين : (عظام السبيدج ـ والمناسبات) . وذكر لي انه يعمل رئيس تحرير لجريدة (كوريبرى ديلا سيرا) .

ان شعر «مونتالى» ، بالنسبة الي ، يختلف عن شعر زملائه الثلاثة الاخرين : اونجاريتى ، وكوازيمودو ، ودييجو فاليرى ؛ فشعر هؤلاء الثلاثة اسهل كثيرا على الفهم وعلى الأخص شعر «فاليرى» السهل ، الناعم ، الواضح . اما « مونتالى » ، فان لغته الايطالية هى بالاحرى لغة «مونتالية» خاصة به ، ولكى اتمكن من فهمها لابد لي من ان اقراها مرة ، واعاود قراءتها مرارا . كذلك فعلت ، وكذلك افعل كلما فكرت فى ان اترجم الى العربية شيئا من شعر مونتالى .

وحين فاز مونتالى بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٧٥ ، كنت العربى الوحيد الذى كتب عنه فى الصحف العربية معرفا به وبشعره ثم نشرت فى مجلة «الآداب الأجنبية» ، فى دمشق ، العدد ٤ ، نيسان ١٩٧٦ ، دراسة تقع فى ٤٣ صفحة ، مع ترجمات لثمان واربعين قصيدة من شعره اخترتها من جميع كتبه الشعرية ، وعددها خمسة كتب .

جينا : اتعرفين هذا السيد ؟

تلك الزيارة فى شهر تشرين الثانى عام ١٩٦٠ ، لم تكن الزيارة الوحيدة ، فقد اسعدنى الحظ بعدها بزيارة ثانية فى تشرين الثانى ١٩٧٣ ، ثم بزيارة ثالثة فى تشرين الاول ١٩٧٩ .

حين زرت «مونتالى» الزيارة الثانية ، كان فى المنزل وحيداً مع خادمته السيدة «جينا» . واستقبلنى جالسا . وعلمت انه فقد زوجته قبل بضع سنوات . كان متداعى الجسم ، وقد بدا كانه ابن تسعين عاما او اكثر . كان يتكلم ببطء شديد ؛ وبدا كانه طفل : كانت جينا تسقيه القهوة والحليب بيديها ، وحين يطلب منها سيجارة ، كانت تقسمها له نصفين ، ولا تقدمها اليه حالا ، لئلا تدعه يدخن كثيراً ـ ولابد ان هذا كان بامر الطبيب .

وقدمت له نسخة من مقال كنت قد نشرته عنه فى احدى الصحف الاسبوعية الاردنية وفى المقال صورة له مع الكاتب الروائى «فاسكو براتولينى» ، وهما يتبادلان التهانى بمناسبة صدور رواية لبراتولينى . وهذه الصورة كانت من الصور التى اعطانيها «مونتالى» نفسه فى زيارتى الاولى ، ولكنه نسيها تماما ، ونسي مناسبتها ، ونسي انه التقى مع «براتولينى» فى حفلة . ولذلك راح ينادى الخادمة : «جينا ! جينا !» . فلما جاءت ، سالها مغتبطا بلهجة طفولية عجيبة : «جينا ! اتعرفين هذا السيد ؟» فقالت جينا : «هذا انت يا استاذ» . فقال : «ولكنها صورة جميلة ، وانا هنا شاب» ؟ فقالت جينا : «أنت دائما شاب ، ودائما جميل ، يا استاذ» . فضحك «مونتالى» مغتبطا كالطفل .

وكان يهمنى ان اعرف شيئا . فقلت اساله : هل مازال يذهب الى جريدة (كوريبرى ديلا سيرا) ؟ فقال انه لم يذهب اليها منذ سنتين ؛ ولكنهم هناك لايزالون يعتبرونه رئيس التحرير ولايزالون يدفعون له راتبه على هذا الأساس .

وليس من شك فى ان هذا كان تقديرا واعترافا من الادارة بفضل «مونتالى» .

ولكن هل ظل الأمر كذلك الى اخر حياة الشاعر يا ترى ؟ ليتنى ادرى !

الشيخوخة قبل الموعد

كانت زيارتى الثالثة لمونتالى فى اكتوبر ١٩٧٩ ، وكان يرافقنى الصديقان المستعربان الشابان «سيرجيو نويا» ، و «ميكيلى فلارو» ، من اعضاء الهيئة التدريسية فى الجامعة الكاثوليكية فى ميلانو . وكان «مونتالى» لايزال يقيم فى المنزل نفسه الذى زرته فيه فى المرتين السابقتين ، رقم ١١ ، شارع بيليي . وكان ساعتئذ فى المنزل ومعه صديق له ؛ وكانت جينا لاتزال هناك ايضا .

كان الشاعر حينذاك فى الثالثة والثمانين من عمره ؛ وقبل أربع سنوات كان قد فاز بجائزة نوبل العالمية للآداب ـ حلم العمر لكل اديب وشاعر ـ .

من المؤسف ان ذاكرة الشاعر كانت قد بلغت منتهى الضعف : كان يسال السؤال ، ويسمع جوابه ؛ ولكنه سرعان ما كان ينسى انه سال ، وانه سمع الجواب ، فيعود يسال السؤال نفسه من جديد ، ويسمع الجواب عينه مرة اخرى . وكان يبدو انه يسبح فى عالم اخر غير منظور . كان يجلس معنا ، ولم يكن معنا .

كان يبدو ان الشاعر الايطالى الكبير ، الذى تربع على عرش العالمية ، كان إذ ذاك يعيش على الارض بجسم متعب منهوك ، وبالقليل من الروح الباقية له . والواقع ان «مونتالى» بلغ الشيخوخة قبل اوان الشيخوخة بكثير : وهذا ، بكل تاكيد ، نتيجة الأمراض التى تعاقبت عليه منذ الصغر ، والتى حرمته من مواصلة الدراسة الى ما بعد المرحلة الاعدادية ، ورافقته الى مدة طويلة من عمره . وهكذا كان يبدو شيخا هرما منذ ان كان فى الستين من عمره .

لقد تيقنت فى تلك الزيارة من اننى لن ارى «مونتالى» بعد تلك الزيارة . ولم اقل هذا لنفسى فحسب ، بل قلته للصديقين : «نويا» و «فلارو» بعد خروجنا من عنده . وهذا ما وقع فعلا .

ففى ١٢ ايلول عام ١٩٨١ اختفى مونتالى ، فشعرت بحزن شديد عميق لوفاته . وكتبت حينئذ مقالا فى جريدة (الدستور) الأردنية الصادرة يوم الجمعة ٢ اكتوبر ١٩٨١ ، أرثى فيه الشاعر الصديق الراحل .

ولا اعرف عربيا غيرى كتب يرثيه فى صحيفة عربية .



فرقة التواشيح الاندلسية التى تذكرنا باجمل ليالى الاندلس العربية



اسبوع الثقافة المغربية في الدوحة

مع التواشيح الأندلسية والفن المغربي الأصيل

سنان المسلماني



باقة من الأزهار مهداة للفنانة ماجدة عبد الوهاب بعد الانتهاء من وصلتها الغنائية



مشهد من مسرحية «قاضي الحلقة» للكاتب المسرحي المغربي احمد الطيب العلج



الاستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى والى جواره وزير الثقافة المغربى د. سعيد بن البشير والاستاذ احمد الرعينى وزير العمل والشئون الاجتماعية اليمنى .. وذلك فى حفل افتتاح الاسبوع الثقافى المغربى فى الدوحة .

امتد الجناح الغربى للوطن العربى ليحتضننا ونحتضنه فى الأسبوع العربى المغربى الذى عايشناه وعايشنا فى الدوحة .

امتزج بنا وامتزجنا به ، فاعاد الينا ذكريات حبيبة الى نفوسنا طالما تقنا الى استعادتها والرحيل من خلالها الى ذكرى الوطن الواحد والدم الواحد والروح الواحد بلا حدود او اسلاك ، تجمعنا اللغة العربية والدين الاسلامى .

لقد جسد لنا الاسبوع الثقافى المغربى العربى كل اصالة الانسان العربى من خلال العروض الموسيقية والمسرحية ومن خلال معرض الكتاب وصور العمارة الاسلامية والفنون الأصيلة ، التي إن دلت على شيء فانما تدل على الفلسفة المتبصرة الهادفة التى ميزت منجزات هذا الانسان برقة الحس ودقة الصنع والصدق فى التعبير ومدى القدرة على صهر كل التيارات الحضارية التى عايشها الانسان العربى ، والتى تركت بصماتها وأثارها على معالم مدنه التاريخية والعمرانية والثقافية ، ليسهم بقدر وافر فى بناء حضارة خالدة تضرب جذورها فى أعماق جسد التاريخ وتنتشر فروعها الخضراء المعطاءة على مدى العصور والأجيال .

فمنذ ان اشرق نور الاسلام على المغرب حدث التمازج العظيم والمدهش والخلاب بين حضارات المغرب القديمة وحضارة الاسلام التى زادتها قوة وعمقا ووجهت



فرقة «تاكادة» التى تعتبر نموذجا للظواهر الفنية الجديدة فى المغرب



الموسيقى المغربية العصرية، عكست قدرة الإنسان العربي في المغرب على التفاعل مع الانسان العربي في المشرق

مع التواشيح الأندلسية والفن المغربي الأصيل

مسارها كحضارة إنسانية خالدة فاعلة .

وعن هذا التمازج نشا طراز مغربى اسلامى تجلى فى كل شىء ، بداية من هندسة تشييد المدن والمؤسسات الاجتماعية والقناطر والجسور وغيرها من فنون العمارة ، الى الزخرفة والنقش وصياغة الحلي والمعادن النفيسة ونسج النسيج وتزويق المخطوطات وكتب التراث وغير ذلك من الانتاجات التى افلتت من زيف الحضارة المادية لتظل شاهدة على اصالة الشخصية المغربية .

وكما تجلى هذا التمازج فى فن العمارة وفى الصناعات اليدوية الأصيلة ، فقد تجلى ايضا فى الفن الموسيقى الغنائى المغربى ، ذلك الفن الزاخر المعبر عن اصالة الفنان المغربى ومدى ارتباطه بجذوره ، لو اردنا ان نحدد اطره ، او ان نسمى صوره من خلال مشاهداتنا له فى العرض الفنى ، لما خرجنا عما ارتضاه هو لنفسه من مسميات ، واتجاهات ، ونحن عندما نحاول رصد اشكاله ، فسنجد انفسنا نسبح من خلال هذا الفن الرفيع والشيق والممتع فى ثلاثة أشكال ، فى ثلاثة أنهر موسيقية حالمة وصاخبة .

فالنهر الأول هو نهر الموسيقى الأندلسية هذا الاتجاه الأصيل الذى يعيدك رغما عنك الى ليالى الأندلس وتلك الذكريات العزيزة، ويوقظ فيك أحلى ذكرى عاشتها النفس العربية .

هذا النهر جسد قدرة هذا الانسان العربى على التمازج ثم الاحتفاظ بهذا الفن الأندلسى القديم ، ليتمثل بداخله اتجاها محددا يخترق حاجز الزمن ، ويصل الماضى بالحاضر ، ويصل بعزمه الحاضر بالمستقبل .

والنهر الموسيقى الثانى ، كان يمثل الموسيقى المغربية العصرية هذه الموسيقى التى عكست ايضا قدرة الانسان العربى فى المغرب على التفاعل مع الانسان العربى فى المشرق .

ومحاولة مد الجسور من خلال التفاعل مع موسيقى الانسان فى المشرق العربى . فلقد ظهرت البوادر الأولى للموسيقى المغربية العصرية مع مطلع القرن العشرين إذ كان لوفود الفرق الغنائية العربية وخاصة الفرق المصرية ، اثر قوى فى زرع البذور الاولى لهذه المدرسة ، كما كان للموسيقى المبثوثة عبر الأجهزة الاذاعية دور كبير فى خلق هذا الاتجاه وتاكيده .

ولقد كان يمثل هذا الاتجاه الجديد مجموعة من الشباب العربى المغربى ، إذ قاموا بحفظ الادوار الموسيقية المصرية والموشحات الحلبية ، كما كانوا يرددون المواويل . وما هى إلا سنوات قليلة حتى أصبح لبعض هؤلاء يد طولى فى مجال الموسيقى الشرقية ، فيهم الملحن المبدع وفيهم المغنى البارع ، وهذا ما لمسناه بصدق من تلك الفقرة التى ضمت الموسيقى المغربية العصرية . والتى اوضحت مدى مصداقية هذا التفاعل الحسى الرائع .

اما النهر الموسيقى الثالث ، فتمثل فى مجموعة (تاكادة) هذه المجموعة التى تشكل نموذجا للظاهرة الفنية الجديدة بالمغرب ، إذ انه مع بداية السبعينات عرفت الأوساط الموسيقية فى المغرب ظاهرة فنية جديدة ، تمثلت فى (فرق الأجيال) انطلقت بظهور جماعة (ناس الغيوان) ثم تلتها فى الظهور مجموعات اخرى كجيل جيلاله وفرقة المشاهب وتاكادة وجيل الصحراء .

وكان قوام هذه المجموعات عناصر شابة ولجت الى عالم الغناء والموسيقى بدوافع شتى .

وكان الاعتماد الاساسى والاول لهذه الفرق يقوم على القصائد الملحنة سابقا ، تعتمد كل مجموعة فى غنائها لهذه القصائد على طريقة مختلفة عن الفرق الاخرى ولقد استعملت هذه الفرق الآلات الموسيقية التقليدية مثل البندير والطبل والدعدوع ، واضافت اليها آلات مستحدثة كالجيتار الكهربائى والبانجو .

وتعتمد هذه الفرق الغناء الجماعى الذى يمثل الوحدة والمشاركة والتمازج ، كما تعمد الى الغناء فى طبقات صوتية عالية شديدة الحدة والقوة ، والى جانب القصائد الملحنة والمغناة ، عملت فرق الأجيال ومن بينها مجموعة تاكادة على تطوير نص الأغنية المغربية ، وخرجت على الجماهير بموضوعات جديدة وشيقة ومعبرة عن الواقع المغربى بكل ما فيه من اصالة ووعي حسي لدى الفئات الاجتماعية.

واستطاعت هذه الفرق ان تحرك وجدان الشباب المغربى من خلال المضامين الشعرية التى تطرحها والتى تعبر بصدق عن إحساس هذا الشباب الواعي بالقضايا المصيرية للوطن العربى وبقضاياه المعيشية .

واخيرا من خلال هذا النموذج للفرق التى تمثل الظاهرة الفنية الجديدة فى المغرب ، نستطيع ان نقول ان كل الاسلاك والحواجز والحدود لم تستطع ان تمنع التفاعل الصادق والمؤثر بين المشرق والمغرب ، هذه الأسلاك ، هذه الحدود التى وضعها المستعمر الباغى لم تستطع ان تقطع التواصل الفكرى والنفسى ، هذا التواصل الذى جسده هذا الأسبوع بكل فعالياته من عروض مسرحية وموسيقية وفنية تشكيلية وكتب ..

هذه الحدود لم تستطع ان تقتل الاحساس فينا نحن العرب ، وتحجب عنا هذا الفن العربى الممتع والأصيل .

واتمنى ان تظل عرى الصداقة والتواصل ممتدة من مشرقنا الى مغربنا ، لتجسد للعالم حقيقة حية امامنا تقول : اننا برغم الحواجز ، استطعنا ان نتعلم القفز واستطعنا ان نمد الجسور لنصل ما انقطع .

سنان المسلمانى

قصـــــة قصـــــيرة

حفنة نور

بقلم : إبراهيــم أصـــــلان

النور انقطع فجاة على ام عبده وهى قاعدة تتفرج على التليفزيون . ام عبده اترعبت لانها لا تخاف من شىء فى الدنيا مثل العتمة . ونزلت من على الكنبة ومشت خطوة واحدة ووقفت ، فى انتظار «ابو عبده» الذى كان عند جابر البقال . وعندما تبينت حفيف الجلباب عند الباب قالت :

«ابو عبده ؟»

ابو عبده قال : «ايوه» ودخل المطبخ . وهى وقفت لغاية ما سمعت يده وهى تنكش فى الدرج بحثا عن الكبريت ، ورات النور الخفيف وهو ياتى من الطرقة ، وراقبت خيال الفوطة المعلقة على المسمار وهو يكبر على الحصيرة ثم ينسحب على الجدار ويصغر امام لمبة الجاز التى جاء ابو عبده يحملها بيديه الاثنتين . وابو عبده راى ام عبده وهى فى هذه الحالة وابتسم ، ووضع اللمبة على التليفزيون ومسح زجاجها بكفه وعلاها ، وسالها عن علبة الكبريت التى طلب منها ان تحتفظ بها وتنور لنفسها إذا النور انقطع ، وهى رجعت مكانها وقعدت على الكنبة وقالت إنها غلبت من عيال محاسن ابنتها الذين لا يتركون شيئا فى مكانه .

وابو عبده سمعها واخرج ورقة اسبرين من جيب الجلباب وهو واقف ، ووضع القرصين على لسانه وتناول القلة من جنب التليفزيون واخذ شربة ماء وابتلعهما ، وقعد على الكنبة الاخرى ومد يده الممسكة بالمسبحة على ركبته المثنية ، وركن الشمال على المسند ، واخبرها ان ام حسين البقالة اعطته قبل الظهر ربع جنيه قديم ، وانه اعاده الان الى ابنها جابر ، وان جابر اخذه منه ، ولمس جانب فمه باطراف اصابعه . وام عبده سالته إن كان ضرسه لايزال يؤلمه وابو عبده قال : «اه» .

ـ «طيب يا اخويا اخلعه» .

ـ ابو عبده هز دماغه وقال : «يا ستى» .

ـ «مادام بيوجعك» .

ـ «انا لسه حاخلع واعمل يا ام عبده ؟»

ام عبده قالت ان كل الناس تفعل ذلك فى مستشفى الموظفين ، وان وجع ساعة ولا كل ساعة : «ولا انت يعنى عليك ذنب ، تفضل طول عمرك وانت تعبان منه ؟» .

ـ «لا طول عمرى ولا حاجة ، اهو شوية كده وشوية كده لغاية الواحد ما يروح لحاله» .

ام عبده سكتت وفكرت فى اسنانهاالتى كانت تعوم وتقع فى فمها دون اى وجع ، وقالت : «انا اللي سنانى خابت لوحدها» ، وانها كانت ترميها من الشباك : «سليمة وزى الفل . النور اتاخر» .

ـ «زمانه جاى» .

ـ «يا ترى مقطوع عن الجامع ؟» .

ـ «اه» .

ـ «ومحاسن ؟» .

ابو عبده قال : «يمكن عندها» ، وقال ان العيال لم يظهروا ، لم ير احدا منهم ، لكن ام عبده قالت ان الولد وليد كان هنا .

ـ «إمتى ؟» .

ـ «وانت نايم» .

واخبرته انه قعد هنا وقال : «هاتى شلن يا ستى» اخذه وهبد الباب وراءه وخرج . ابو عبده ابتسم وقال ان هذا الولد بالذات يذكـره براشــد الذى كان فى البلــد : «فكراه يا ام عبد الرحيم ؟» .

ام عبد الرحيم عدلت جسمها على الكنبة وقالت : «فكراه قوى» ووصفت له جلبابه المقطوع وطاقيته المدورة ، وقالت انها كانت تجرى وراءه هى واولاد يحيى واولاد دبور يعاكسونه من عند دار الطناحى لغاية سيدى علي الشمبابى . ابو عبده هز دماغه وقال : «سبحان الله» ، واخبرها ان راشدا هذا كان يقف امام باب سيدى علي ويهمس فى خرم المفتاح ويقول : «واد يا على ، سلام عليكم ، افتح يا واد ، انا راشد» ، وحينئذ كان باب الجامع المقفول بترابيس النحاس من الداخــل يفتح من الناصيتيــن ، وراشــد يدخل ينام ، والباب يقفل من ورائـــه .

ـ «ده من عيلة اللبودى يا ابو عبده» .

ـ «عارفه ، وعارف ولاد عمه كلهم . ارضهم كانت على المصرف البرانى» .

ـ «شوف الدنيــا . يا ترى راشــد مات يا ابو عبده ؟» .

ابو عبده قال : «تلاقيه مات من زمان» .

ام عبده مصمصت بفمها الخالى وقالت : «يا دى الخيبة على حكاية النور دى يا اولاد . يا ريتك يا ابو عبده لما اموت توصل لى سلك بلمبة فى التربة» .

ـ «إزاى الكلام ده ؟» .

ـ «تعرف ، ولو اسبوع واحد» .

ابو عبده كان اول مرة يسمع كلاما بهذا الشكل ، وقال : «دى تضرب يا وليه» .

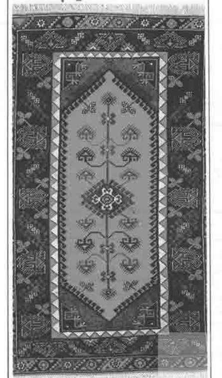
ام عبده قالت : «ابدا ، والنبى ما يجرى لها حاجة» .

ابو عبده سكت وتهيا له ان اللمبة لن تضرب : «صحيح ، إيه اللي يخليها تضرب ؟» . لكن مع التفكير عقله راح ناحية الملكين والحساب واستغفر ربنا ، وهرش رجله الشمال وبدا له ان الموضوع غير ممكن ، وقام من على الكنبة ودخل المطبخ واتى بعدة الشاى . وام عبده رجعت تقول انه يقدر ياخذ وصلة سلك من عند عبد الخالق الحانوتي ، ويشترى لمبة بربع جنيه ودواية : «يعنى عمرها ما تتكلف خمسين قرش ، ولا يمكن اربعين . اسبوع لغاية بس ما اخذ على الضلمه» .

ابو عبده وضع السكر فى الاكواب وهو يقول لنفسه : «وصلة إيه يا اخويا ؟» . وفكر ان السلك بعد تركيبه فى المقبرة لابد يردم عليه ، ويخرجه من تحت الارض ويوصله بالفيشة عند عبد الخالق فى الناحية الثانية ، وممكن يتعرى من الرطوبة ، وممكن يدوس عليه اى واحد ويتكهرب : «ده يموت ، وتبقى دوشه» ، واشعل وابور السبرتو ووضع عليه البراد ، ومد لها يده بعلبة الكبريت وطلب منها ان لا تضيعها هذه المرة ، وام عبده اخذتها منه ووارتها تحت المسند ، وقالت ان اولاد محاسن شياطين ، لا يتركون شيئا فى مكانه ، ابدا .



كان من ضمن معروضات المهرجان ، مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه ، الذى يقال انه استشهد بجانبه .



سجادة صلاة تعكس التراث الحضارى الاسلامي ..



رئيس الوزراء التركي «بلند اولوسو» يفتتح مهرجان الفنون الاسلامية في اسطنبول

أضخم مهرجان للفنون الإسلامية في اسطنبول

اسطنبول : خاص بالدوحة

تشهد تركيا ـ وعلى مدى خمسة شهور ـ مهرجانا للفنون الاسلامية يأتى ضمن احتفالات العالم الاسلامى بمقدم القرن الهجرى الخامس عشر .

وقد افتتح المهرجان فى اسطنبول السيد «بلند اولوسو» رئيس الوزراء التركى فى العشرين من ابريل بحضور السيد الحبيب الشطى الامين العـــام لمنظمـة المؤتمر الاسلامى والدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة السورية وعدد كبير من المدعوين يمثلون الدول الاعضاء فى منظمة المؤتمر الاسلامى (٤١ دولة) .

ويشتمل المهرجان على معرض «للامانات المقدسة» ويقام فى قصر «توب كابى» ويقال ان هذه الامانات هى من اثار الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وتشتمل مما تشتمل عليه خاتم الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته الى المقوقس حاكم مصر ، وبردته وعلم اللواء الشريفة ، واشياء اخرى .

ويقام فى نفس القصر معرض للادوات المتعلقة بالعبادات مثل المصاحف وكراسيها وسجاجيد الصلاة التى كان يستخدمها السلاطين العثمانيون ، والمسابح واوانى الوضوء وغيرها . ومن المصاحف المعروضة «مصحف عثمان» رضى الله عنه والذى يقال إن سيدنا عثمان كان يقرا فيه عندما استشهد .

وفى اماكن اخرى من المبانى والمساجد والقصور الاسلامية فى اسطنبول التى كانت اخر عاصمة للخلافة الاسلامية .



مهرجانات اثناء حفل افتتاح معرض الفنون الاسلامية فى قصر «توب كابى» باسطنبول



خزينة ذهبية كان يحفظ فيها السلاطين العثمانيون المقتنيات النادرة



نماذج من الفنون المعدنية والخشبية الاسلامية

اقيمت معـــارض للخزف الاســـــلامى والسيراميك المعاصر ومعرض للسجاد والبسط ، ومعرض لفن الخط والأدوات التى كانت تســـتعمل فى الكتـــابة ، والمخطوطات ، والمنمنمات والفرامانات السلطانية . كما تم افتتاح معرض اخر للفنون المعدنية والخشبية الاسلامية الى جانب معرض بالصور للآثار العمرانية والفنية بالعالم الاسلامى .

وقد اقيمت قبيل المؤتمر ولمدة اربعة ايام ندوة حول «المبادىء والمكونات المشتركة فى الفن الاسلامى» حضرها عدد كبير من رجال الفكر والثقافة والادب فى العالم الاسلامى ، وقد افتتح هذه الندوة السيد «الهان اوليا اغلو» وزير الثقافة والسياحة التركى وبحضور السيد الحبيب الشطى ، الامين العام للمؤتمر الاسلامى .

ومما تجدر الاشارة اليه ان هذا المهرجان **يقـــام بالتنسيق بين الحكومة التركيـة** ومنظمة المؤتمر الاسلامى ومركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية فى اسطنبول والتابع لمنظمة المؤتمر الاسلامى .

إنه مهرجان كبير تعيشه تركيا المسلمة **بقلبها وجـــذورها وتاريخها وخاطرهـــا** ومستقبلها ، ليحكى جانبا مضيئا من جوانب الحضارة الاسلامية التى شعت بنورها على تركيا والعالم الاسلامى وجانب **من أوربا لقرون طويلة ، ومازالت تشرق** باشعاعاتها على الانسانية جمعاء والى ان يشاء الله .

مفيد فوزي .. يحاور :

د. سهير القلماوي

طه حسين : كان يحرضني على الشجاعة !



د. سهير القلماوى .. استاذة الجامعة التى كان حلمها يوما ان يصبح فى كل بيت مكتبة ، فيها كتب رخيصة الثمن ، انيقة الطباعة !

كنت انطوى على احترام شديد لها ولازلت .

ولم أكن فريداً فى هذا الاحساس . كانت هى ولاتزال دائما فى حدقات العيون . ربما لشخصيتها المتزنة . ربما لريادتها ، فهى واحدة من جيل سبق عصره ودخل الجامعة . ربما لأنها كانت تلميذة لعميد الأدب العربى د. طه حسين .

لكننى كنت انطوى على احترام شديد لها ، عبرت عنه مرتين :

● مرة ، وانا طالب بالجامعة ، ذهبت اسألها عن الكتب التى يمكن لدارس الآداب ان يستعين بها اذا اراد احاطة بالأساطير الشعبية فلسفتها ، وعمقها ، ومدلولها !

● مرة ثانية ، عندما ، ذهبت أسجل برنامجا للشاشة الصغيرة عن «القمم العربية» فى الفكر والفن ، وكانت متواضعة وكانها لم تبرح مقعدها فى مدرج ٧٨ بكلية الآداب وهى شاردة يرن فى اذنها صوت المحاضر العظيم طه حسين !

وكلما قابلت الدكتورة سهير القلماوى . شعرت انها «الأستاذة» . فهى تعطينى هذا الشعور بشدة . ملامح وجهها . صوتها . طول قامتها . انصاتها . عقلها . تواضعها الجم !

وكثيرا ما تصورت اننى ساقرا يوما اسم «سهير القلماوى» فى أى تشكيل وزارى . وكنت أحسب أن تصورى سيسعدها فاكتشفت انها لا تعشق المناصب . وإنما أعظم «مواقعها» فى العمل العام هو : استاذة الجامعة .

وهذا حقيقى ، إن مبعث فخر الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى انها «انجبت» جيلا من التلميذات ، تبوأن المناصب فى عواصم عربية ، يشعرن بالأمومة والانتماء للجامعة .



قالت الدكتورة سهير القلماوى ان استاذها طه حسين كان يحرضها على الشجاعة ، وتعلمت منه معنى الالتفات الى العقل !

حين طلبت «محاورة» الدكتورة سهير القلماوى ، قالت لي بادب هامس :

ـ ما الموضوعات التى سوف تطرحها للنقاش ؟!

وادهشنى السؤال ، فقلت لها تليفونيا : موضوعات ادبية بحتة .

قالت د. سهير القلماوي : احب ان «استعد» للحوار . احب ان اكون عارفة حاتكلم فى إيه !

وادركت ان سهير القلماوى مخلصة لاسلوبها فى الجامعة إنها «الأستاذة» دوما . تحب ان تستعد لموضوع ما ، سوف تتحدث فيه . إنها لا تفضل الثرثرة ، لمجرد الثرثرة ! إن سهير القلماوى تريد ان تضيف لقارئها أو سامعها شيئا ، فاذا اكتشفت انها لن تضيف كفت عن الحديث واعتذرت !

ولما قلت للدكتورة سهير القلماوى اننا سوف نتحدث عن استاذها العميد د. طه حسين ، شعرت بسعادة ، وظهرت السعادة فى رنة صوت الدكتورة .

وكان بيننا «مسجل صوت» ، وظيفته ان يلتقط كل كلمة ، حتى الهمهمات والسكنات .. والهمسات ، فان سيمون دى بوفوار تقول عن زوجها الراحل سارتر : «ان همسته او صمته او همهمته او حتى سعاله المفاجىء ، له مغزى . انه يسيطر جيدا على عقله ويعرف كيف يجيب على سؤال ما . إن كل صوت يصدر منه هو إجابة» !

وقد حرصت ان اترك المسجل يعمل بلا توقف ، لأحصل على اجابة سهير القلماوى عن كل سؤال طرحته !

ولكن اسلوب «السين والجيم» ، أسلوب تقليدى عند الحوار . فما يهمنى هو ان انقل افكار د. سهير القلماوى . وكان جون جنتر ، واحدا من اعظم المحاورين فى دنيا الصحافة يقول «اترك لقارئك يتصور سؤالك انه يحب ان يشترك فى لعبة الحوار . ان اشراكه معناه دخوله حلقة النقاش فلماذا لا تجعله يستمتع بخياله الخاص» !

ولست اقلد جون جنتر ، ولكنى اريد ان اقدم لكم ـ عبر حـوار ـ مع الاسـتـاذة خلاصة افكارها .. ومنهجها .

تذكرت ـ فجاة ـ اننى قبل زيارة د. سهير القلماوى فى بيتها الهادىء فى ضاحية المعادى احد ضواحى القاهرة الغارقة فى الصمت والهدوء .. انى «تسلحت» ببعض اراء عن الدكتورة ، لعل هذه الاراء ، تتحول الى جسور حوار ، امدها .. لافهم عقلها ومنهجها اكثر .

مثلا : عرفت أن الدكتورة سهير من اوائل من «تمردن على غرفة الصالون» فى البيت العربى .

مثلا : عرفت أن الدكتورة سهير كان مقدرا لها أن تصبح دكتورة طبيبة وليست دكتورة فى الأدب ، لكن خط مسارها تغير !

مثلا : عرفت أن الدكتورة سهير القلماوى وجه عربى ، فقد كانت فى وقت ما ، رئيسة لاتحاد النساء العربيات .

مثلا : عرفت أن الدكتورة سهير القلماوى اشرفت يوما ما على الكتاب وكان حلمها ان يصبح فى كل بيت مكتبة ، فيها كتب رخيصة الثمن ، انيقة الطباعة .

حينما جلست فى غرفة مكتبة الاستاذة قالت لى وكانها ترد على تساؤل جال بخاطرى ... «قلت لنفسى لما اتجوزت ، مفيش حاجة اسمها صالون . فيه غرفة مكتب وغرفة معيشة واللي يحب يقعد معايا فى مكان زى ده ، اهلا وسهلا واللي مش عاجبه ، بلاش يزورنى ! فكرتى باختصار ان الجمال عندى وظيفى يعنى المكان اللي له وظيفة يبقى جميل ، لكن الصالون رمز للاستعراض ، وانا أكره هذا الأسلوب . انا فخورة بعدد الكتب فى بيتى اكثر مما افخر بنوع السجاد الذى يغطى ارضية بيتى ، أو نوع الكراسى التى تزين الصالون» !

تسـتـطرد الأسـتـاذة الدكتـورة سهير القلماوى ، وكانها تؤصل تفكيرها :

ـ «والدتى تعلمت فى مدارس الجاليات تعلمت اللغة الفرنسية واللغة الايطالية . وكان جدى رجلا متحررا بالنسبة لجيله ، فلم يكن يزوج بناته قبل سن العشرين . كان يرفض الزواج المبكر ويعتبره ماساة اسرة صغيرة ! فى طفولتى لم اعرف فرقـــا بين الرجال والنساء وربما كان هذا مدخلا



د. سهير القلماوي

طه حسين: كان يحرضني على الشجاعة!

نفسيا طبيعيا لي عندما دخلت الجامعة ، فانا لم ارتبك مطلقا امام تجربة الاختلاط . لم اشعر ان هناك «حاجة غلط» . ولذلك مرت سنوات الجامعة بيسر شديد ، واكتسبت خبرات هامة فى وقت متقدم . وتفتحت مسام ذهنى . ومن هنا ، عرفت الجدية والالتزام والمسئولية فى وقت كانت بنات جيلى غارقات فى اللهو والمرح ! لعلك لا تعلم مثلا ان امى شركسية والدها كردى وكانت القسوة سمتها الاساسية ، اننى اتذكر اننى دخلت الجامعة ولم يكن مسموحا لى ان ازور او ازار ! كانت تتصل بالجامعة فى الثانية ظهرا لتسال بلهجة حاسمة «البنت مارجعتش ليه ؟؟ وكان ابى هو نافذة الحرية . كان طبيبا يحلم بان اكون مثله طبيبة ، ولكنى لم اعشق مهنة الطب وكنت دائما اعتقد انها مهنة يناسبها «تكوين» خاص ! وقد كان من الممكن ان اصبح طبيبة لولا الدكتور طه حسين الذى ذهبنا اليه للاستشارة فى مستقبلى ، فاشار علي دخول قسم اللغة العربية بكلية الاداب وتغير مسارى ! » .

تقفز الدكتورة سهير القلماوي فوق الستين ، وتتوقف عند « القيم » التي استفادتها من لقائها الفكري بالدكتـــور طــه حسين :

« اول قيمة اذكرها جيدا هي الصلابة . ولو لم يكن طه حسين صلب الارادة لما وصل الى المكانة التي وصل اليها . كان يقول بصوته المميز الرنان « حنبقى ضعاف ليه » وكنت احس انه يحرضني على الشجاعة . كان د . طه حسين يقول « الحياة مواقف ، والاديب موقف والمشتغل بالفكر موقف » وكنت احس انه يبدو فى اعماقي اهمية الشعور باتخاذ المواقف . تعلمت من طه حسين التمسك بالحق . كان يقول « من لايتمسك بحقه ، يفرط فى نفسه » . وتعلمت ان الاعتراف بالخطأ فضيلة ، بل اهم الفضائل لانها تنم عن تواضع مع علم . تعلمت معنى الالتفات لعقلى ، فانا من جيل كان يطل عليه عمالقة كطه حسين ولطفي السـيد وكانا يؤمنان بتعليم البنت لانـه « سياج حقيقى لكيانها » .

تعلمت من د . طه حسين ان الجامعات لها مكانة سامية . كان يقول «إن اهم جامعات في اوربا اصلها كنائس ، وان الرواد في مصر والعالم العربي ، ذاكروا في الجوامع وكان يركز على اهمية المعهد العلمي والجامعة وكيف انه مرادف للجدية والاحترام ولعلك لا تعلم ان د . طه حسين كان اذا دخل مدرج الكلية ، شعرنا بهيبته . كانت نظرته الى اعلى تقول لنا « هذا مكان عقول ولابد لها من السمو » . كنت احس ان د . طه حسين يتمتع بالبصيرة ، وان حرمته الاقدار من .. البصر . ربما لا تعلم ان د . طه حسين هو صاحب فكرة رسالة الدكتوراه التي قدمتها ، وكان الموضوع : الف ليلة وليلة ! ومن المهم جدا ان نتوقف عند سؤالك الاعتراضي هذا .. هل طه حسين مفكر ام اديب ، ام فنان ؟ في الواقع ، انا اراه اديبا فنانا ، لقد كان تكوينه مميزا وفريدا . لقد بدا حياته رجل الازهر الذي اتقن اللغة ولا شك ، وكان نطق طه حسين للكلمات له رنين خاص . وعندما سافر طه حسين الى فرنسا ، انفتح عقله على عالم فكر لا حدود له .. وقرا « ديكارت » وفهمه وهضمه . ثم تعمق في ابن خلدون ، كان يجتذب العميد امور الفكر ربما اكثر من امور الادب » .

●

طه حسين الانسان والفنان والاديب ، بعدسة مكبرة للدكتورة سهير القلماوي ..

« طه حسين ، ولابد ان تضع الضمة على حرف الحاء . كانسان جياش العاطفة ولاشك ، وتعلقه بزوجته كان وطيدا . ولكن كانت هناك « ثغرتان .. » .

١ ـ الاولى : انه كان يرى الحياة من خلال زوجته السيدة الفاضلة سوزان . فقد كانت كما يصفها « نور عينيه » . فالنظرة لم تكن مصرية خالصة . وكان هذا يعكس عن العميد الكثير من القيم . لم يكن «متفرجا» ولكن نظرته للامور على اي حال ، لم تكن نظرة « عربية » .

٢ ـ الثغرة الثانية : تاثر د . طه حسين باراء السيدة العظيمة زوجته وضع مائة خط تحت كلمة العظيمة .. لانها الواقع . فكونها سيدة فرنسية لا يعيبها ، ولكن هذا اعطى للدكتورطه حسين مزايا وعيوب .

● التليفزيون لم يحجب الكتاب!

● كانت في حياة عميد الأدب ثغرتان!

● تعلمت من طه حسين الصلابة والتمسك بالحق والاعتراف بالخطأ !

● تقييد الغرائز مطلب إنساني !

مزايا الانفتاح على الثقافة ، يعني السيدة سوزان كانت تقرأ لطه حسين حتى سن الستين .. وتلخص له الكتب ولا أظن ان هناك زوجة مصرية قادرة على هذا باي حال ، بل لا اعتقد ان هناك مصرية ترضى بالزواج من رجل ضرير الا نادرا !

لقد سكبت السيدة سوزان في وجدان زوجها الراحل « القيم المادية الغربية » ولم يكن هذا عيبا ، بقدر ما كانت النظرة اليه بعين مصرية ، خطأ ! انا مثلا ، لم يكن مستساغا لي كتلميذته ان يعود لجريدة كوكب الشرق بعد أن اختلف معها بشدة وكان الخلاف فكريا . ولكن عاد لامور .. مادية . ان أي سيدة عربية او مصرية تصمد جيدا اذا اضير زوجها لسبب او اخر ، ولكن مدام طه حسين لا تتحمل الخسارة !

●

عندما قلت للاستاذة الدكتورة سهير القلماوي ان هناك قولا يرى ان « القاهرة هي مركز الأدب والعراق مركز القراءة ولبنان مركز الطباعة » قالت بهدوء :

ـ فى القول شيء ما من الحقيقة . لكن إخاف أن تركن الى هذا الكلام ، القاهرة في قلبي وقلوبنا جميعا ، ولكننا فى الواقع لا نشعر ان هناك منحدرا خطيرا يجب ان ننتبه له !

١ ـ المنحدر ، أن الكتاب فى مصر مخنوق ، واسمح لي انه أفكر امامك بصوت عال « امتنا ، لا تقرا » ! وهذه عملية غير طبيعية ، واذا كانت العراق تقرا وسوريا تقرا ولبنان تقرا ، فنحن شعب غير قارىء ! ولعلك تريد تأصيلا لقولى «امتنا لا تقرا» أن اسلوب التعليم في بلادنا خطا . وعلاقة التلميذ في المدارس بالكتاب خطا . وعلاقة الكبار بالكتاب خطا . وغير صحيح ان التليفزيون هو الذي حجب الكتاب . من الممكن ان يرشد التليفزيون الناس للقراءة .

٢ ـ المكتبة في حياة البيت العربي لا تاخذ « ركنا » صغيرا فيها . والتليفزيون ومن بعده الفيديو ، ياخذ اهم مكان ، انها النظرة للكتاب والكلمة والحرف التليفزيون يمكن توظيفه في شعوب العالم الثالث بشكل امثل : في التربية في نشر التذوق ، في محو الأمية . في الترويج لموسيقى افضل .

●

القراءة عند د . سهير القلماوي « حب وهواية » . والموسيقى عندي غذاء وخبز . ذوقي في الغناء يتمركز في فيروز وام كلثوم

تسالني عن مفهومي للسياسة اقول لك « الاحساس بالمجتمع . بمشاكله اليومية البسيطة » . يجب ان نحيا في عصر «الالتفات للمجتمع» . يجب أن نشد الانتباه للعطاء الاجتماعي ، فهو بحق صميم العمل السياسي . ثلاثة أرباعنا . مغلق على نفسه وماشي جنب الحيط ، وهذا منتهى السلبية لازم اعرف المجتمع المحيط بي . لازم الوطن العربي يتعرف على نفسه جيدا . لابد ان يحيط الانسان بكل ما في عصره من قيم ومصطلحات . اننا في عصر الثقافة ، والتخلف معناه الموت الادبي .

●

ازمة فكر . هل تعاني ـ يا دكتورة ـ ازمة فكر ؟

الاستاذة ترد : نعم هناك ازمة فكر ، واعتقد ان الكتاب في اوربا لا زال يتحسس طريقه . لو تلاحظ بمرصد واع الانتاج العالمي للكتب سوف تكتشف ان هناك اتجاها خطرا في تاليف الكتب . الاتجاه ان الساسة يكتبون مذكراتهم وهي ان الرجل العظيم يكتب تجربته لكي تصبح فيلما في السينما . هذا ليس فكرا خالصا لوجه الفكر خذ مثلا « ترودو » رئيس وزراء كندا . انني اقرا سيرته الذاتية انني اشعر انها مكتوبة كادب سينمائي عبارة عن مشاهد حياة وليس عمق تجربة انسانية تضاف الى ثراء السير الذاتية .

●

للدكتورة سهير القلماوي راي هام . «لست ادري اين المفكر الذي يرصد حركة المجتمع الآن . اين الكاتب الذي يبشر بالقيم الاصيلة النابعة من الاسلام . يجب الا نحكم على المجتمع ببعض مظاهر قشرية على سطحه . المجتمع هو السواد الاعظم من الامة ، وهو في نظري بخير . فالمرأة اساسا طهارة وترفع عن الانقياد وراء الغرائز ، والانسان الذي لا يقيد غرائزه لا يستحق ان يسمى انسانا . هذه قيود نحبها ونقدرها ونقدمها بايدينا لانفسنا لانها عنوان انسانيتنا .

قلت للدكتورة سهير القلماوي

ـ ما ازمة جامعاتنا ؟

قالت بصراحة شديدة : ازمتها مجانية التعليم بلاجدال !

قلت بسرعة : عودة لطه حسين ! ؟

قالت الاستاذة : طه حسين قال مجانية التعليم في مرحلة « الثانوي » وانا معه ، اما مجانية في الجامعة : لا !

قلت لسهير القلماوي : ما علاقتك بالاذاعة اعرف انك تحبين هذه القناة ؟ قالت : الراديو ، هو فن الهمس المسموع . الراديو يصل لكل الناس . وانا كنت اقدم احاديث اذاعية كل يوم ثلاثاء على الهواء مباشرة وكنت اشعر بمدى « الاتصال » بيني وبين الناس .

سالت د . سهير القلماوي : متى قرص د . طه حسين اذنك بنصيحة ما ؟

قالت ضاحكة : قال لى مرة بحدة « الادب يحتاج لتفرغ مش تنطيط بين الاذاعة والصحافة . الأدب مشوار كبير ..» .

قلت لسهير القلماوي : ماذا اضافت اليك تجربة العمل العام .

قالت : التجربة اعظم سياج للانسان . الرؤية . الناس .

قلت لسهير القلماوي : اسمع صوت عصافير ...

قاطعتني وقالت : هذا هو الطائر الوحيد الذي احبه .. مثلما تحبه حفيدتي .

قلت لسهير القلماوي الحوار معك قصير مهما طال ...

وصمتت الأستاذة خجلا ...

وشعرت اني كنت في ضيافة عقل عربي لا يعترف بتاء التانيث ؟

« مفيد فوزي »



هذه قصة حدثت فى المستقبل ، ربما عسى على القارىء فهمها او أدرات راسه وقائعها ، الا انه لا حق له فى عدم تصديق هذه الوقائع لمجرد انها لا تخضع لمسلمات علمية متعارف عليها فى عام ١٩٨٣ للميلاد . على القارىء ان يتذكر ان احداث هذه القصة تجرى ، ليس فى ايامنا هذه بل فى ايام اتية ، فى العام الميلادى ٢٠٨٣ .

« ... فى أول توجهي اليكم ، فى اجتماع دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم هذا ، لابد من ذكر المبدأ الذى انطلقت انجازاتنا من تطبيقه ، على الرغم من معرفتى بان ما اقوله هو من بديهات تفكيركم . المبدا هو ان الفرق بين المادة والطاقة هو فى الحركة وفى سرعة الحركة . فالمادة طاقة ساكنة ، والطاقة مادة متحركة ... ليس كل حركة بل الحركة التى تبلغ سرعتها او تتجاوز هذه السرعة رقما اعتقد اسلافنا الاولون ، حتى نهاية القرن الفائت ، القرن الميلادى العشرين ، باستحالة بلوغه . واعني بهذا الرقم مقدار سرعة الضوء البالغة مائتين وتسعة وتسعين الف كيلومتر وسبعمائة وثلاثة وتسعين كيلومتر فى الثانية فى الفراغ .

طريق الوصول من المبدا الى التطبيق واضحة . اسلبوا موجة الضوء حركتها اجعلوا سرعتها صفرا او ما يقارب الصفر ، تتحول فوتاناتها حينئذ الى مادة . الى مادة ملموسة . وبالمقابل اعطوا المـــــادة التى تختارونها سرعة ٧٩٣ ٢٩٩ كليومترا فى الثانية تتحول تلك المادة عندها الى اشعاع ربما الى نور غير مرئى ، اعنى الى طاقة مشعة يمكنكم بثها الى اى مكان تريدون .

نحن فى هذا الزمن ، فى اواخر القرن الواحد والعشرين وفى عام ٢٠٨٣ على التحديد ، قد فعلنا هذا . لقد حولنا المادة الى اشعاع ، ثم استطعنا ان نعيد تحويل الاشعاع فنرده الى مادة ، وذلك عن طريق سيطرتنا على عامل السرعة سلبا وايجابا . ونتيجة لتوصلنا الى عملية التحويل المزدوج هذه قدرنا على ان نقوم بترحيل ما نريده ومن نريده ، بسرعة لم تكن تخطر على بال الاوائل ، ترحيلا بين الكواكب السيارة ، ثم بين النجوم الثوابت ، فى سبيلنا الى الاسفار بين المجرات وهذا ما عجز اسلافنا عنه ، فى القرن الفائت وما قبله ، بل ما حكم اولئك الاسلاف بانه مستحيل الامكانية والتحقيق .

لماذا عجز الاولون عن هذا وهم قد عرفوا تلك المبدا مثلنا وقبلنا ؟ نعم إنهم عرفوه . بل انهم طبقوه ، وان ظل تطبيقهم له محدودا . طبقوه على المادة ذات البعد الواحد ، فحولوا الصوت الى امواج كهرطيسية بثوها فى الاثير بسرعة النور فى الاذاعة الصوتية ، او ما كانوا يسمونه الراديو . وطبقوه على المادة ذات البعدين فيما سموه التلفزيون . حولوا الصورة واللون فى اجهزة التلفزة المرسلة الى امواج معدلة ، كهربائية مغناطيسية ، تتلقاها اجهزة مستقبلة لتردها الى صور والوان . فعلوا كل هذا وتوقفوا . عجزوا عن تحويل المادة المجسمة . المادة ثلاثية الأبعاد ، الى اشعاعات قابلة للبث والارسال ... لماذا ؟

ربما كان عجزهم لأنهم افتقدوا الشجاعة على المضى فى الطريق الى نهايته . والاصح لانهم وقعوا فريسة تضليل فئة قصيرة النظر والادراك من العلميين كانت تؤمن بقيم مطلقة عصية على البلوغ والتجاوز . سرعة الضوء ، وهى ٢٩٩٧٩٣ كليومترا فى الثانية ، كانت عندهم قيمة حدية نهائية لايمكن الصعود فوقها . درجة الحرارة ــ ٢٧٣,١٥ مئوية تحت درجة تجمد الماء المقطر كانوا يسمونها الصفر المطلق ويعتبرونها قيمة حدية نهائية لايمكن النزول دونها ، تلك القيم التى توهموا استحالة تجاوزها كانت اغلالا

كبلت ايديهم وعقولهم وحالت بينهم وبين متابعة البحث المؤدى الى السفر بين الكواكب ثم الى التجول بين المجرات . كان اكثر ما افتخروا به وتشدقوا هو نزولهم على تابع ارضنا الصغير ، القمر ، الذى لايبعد عن منازلهم الا ٣٨٤٥٥١ ثلاثمائة واربعة وثمانين الف كيلومتر وخمسمائة وواحد وخمسين كيلومترا ....

اعرف ان صغار ابنائنا ، الذين يرونني الآن على شاشات منصاتهم ، يضحكون من افتخار اسلافنا بنزولهم على القمر ، لابد ان نعذر هؤلاء الصغار فى ضحكهم ، فقد فتحوا اعينهم على اسفار منظمة لمؤسسة الترحيل بين النجوم تنقل بها الباحثين ثم الزوار الى فوبوس وديموس ، قمرى المريخ الصغيرين ، والى مستعمراتنا القائمة على سطح كوكب الزهرة . اسفار لم يحلم بها الأولون لانهم ما تمكنوا من الوصول الى الطريقة الصحيحة للترحيل ، اذ عجزوا عن التحكم بالسرعة تحكما يتيح لهم تحويل المادة الى اشعاع ثم رد الاشعاع او الطاقة ، الى مادة . وها انا الآن اعلن لكل من يلتقط كلماتى باذنية او يقراها على شاشة منصته ، عن افتتاح جدول السفر التابع يابيتوس ، العاشر من اقمار الكوكب زحل . من هناك ، من مخبر الاستقبال فى دائرتنا على ذلك التابع ، ، تنظم الرحلات الى الحلقة الأولى من نطاق زحل ، وبعد عبور شق كاسينى الفاصل بين الحلقتين الأولى والثانية من ذلك النطاق يمكن القيام بجولة تصل الى سطح زحل نفسه ...

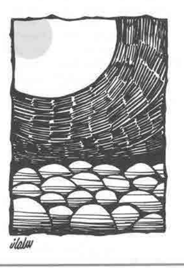
اعلن هذا اليكم الآن من منصتى فى دائرة الابحاث لاننا فى هذا اليوم ، وفى هذه الساعة ، نقف فى منتصف النافذة الزمنية التى منها يمكن الولوج الى عالم زحل . تعرفون ، او يعرف من له علم منكم بمبادىء الأسفار فى الفضاء بين الكواكب ، ان زحل يتم دورته حول الشمس فى تسعة وعشرين عاما من اعوامنا الأرضية ومائة وسبعة وستين يوما . منذ نصف هذه المدة اعنى منذ أربعة عشر عاما ومائتين وستة وستين يوما ونصف اليوم ، كان زحل بنطاقه واقماره العشرة فى ذروة ابتعاده عنا وراء الشمس . وقد اخذ منذ ذلك الحين يقترب من ارضنا حتى اتم نصف دورته وصار فى هذا اليوم بالذات فى اقرب مواقعه الينا ، على بعد يبلغ ١,٢٧٢,٥٨٧,٠٠٠ ، مليار ومائتين واثنين وسبعين مليونا وخمسمائة وسبعة وثمانين الف كيلومتر . هذا البعد الذى يبدو شاسعا ليس كذلك بالنسبة لنا فى دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم . والاشعاعات التى نبثها ، سواء كانت امواجا ضوئية او مجردة او مادة مجسمة حولتها اجهزتنا المرسلة الى فوتونات ، تقطع هذا البعد بمدة واحد وسبعين دقيقة ، تنقص اثنتى عشرة ثانية فى حالة ما يكون البث الى القمر يابيتوس وليس الى زحل ذاته .

ولكن زحل ، ابتداء من هذه اللحظة التى اكلمكم فيها ، سيزداد ابتعادا عنا باستمرار فى مداره حول الشمس ، الى أن يصبح بعده سحيقا بحيث يدركنا الجهد فى اللحاق به بعد ستة شهور . فالنافذة الزمنية التى يسهل علينا من خلالها البث المتكامل الى هذا الكوكب النائى لايتجاوز مداها العام الواحد . مضى من فترة هذه النافذة ستة شهور قضيناها فى تجارب كانت كلها ناجحة وبقى منها ستة شهور علينا ان نغتنمها لنبث فيها ، بشروطنا الخاصة ، ما نريد ومن نريد الى يابيتوس . والا فاننا سننتظر تسعة وعشرين عاما اخرى قبل ان تنفتح لنا النافذة التى وصفتها لكم .

بعد هذه المقدمة المبسطة سافصل لكم ما ياتى ....

– ٢ –

هذه المقدمة المبسطة كما سماها ملقيها ، وهو العالم هامان رئيس دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم ، هى مدخل الحديث الذى توجه به الى مستمعيه ، ســـــــواء الحاضرين منهم باجسادهم فى قاعـــــــة الاجتماع الاهليلجية او المتابعين له على شاشات اجهزتهم المستقبلة ، فى مدن الارض وعلى قمر الارض وفوق الاقمـــار الجيوستاتيكية حول الأرض بعد هذا المدخل جاء دور الأبحاث الرياضية الفيزيائيـــة المعقدة التى كانت عناصرها ترسم على شاشات المشاهدة من قبل روبوتـــــات الكترونية وعقول كهرضوئية يسيّرها ، كما يسيّر المايسترو بعصاه عازفى اوركستراه ، العالم هامان وهو واقف على المنصة بقده المشيق الفارع .



من تقع عينه على هامان مرة واحدة لاينسه ابد الدهر . رجل طويل مستقيم القد ، تنطق بفحولة مثيرة تقاطيع وجهه وارتسامات تكوينه . ويحار الناظر الى هذا العالم الطائر الصيت بين ابيضاض تاج الشعر الكثيف على هامته وبين حيوية الشباب المتفجرة فى نبرات صوته والطافحة من فتاء ملامحه ، فلا يعرف اى قدر من العمر يعطيه . عيناه الزرقاوان ، بقدرتهما البصرية الكاملة تومضان باشعة مباشرة لايبدو انها تمر باية عدسة لاصقة ، مما يؤكد ان الفتاء فيهما بيولوجى وليس مصطنعا . فى مظهره ، وفى سلوكه ، يبدو هامان النموذج المتكامل للبشرى العلمي ، اومو سابا نتيفيكوس ، العقلانى ، الذى تعالى عن المشاعر والقى الاحاسيس العاطفيـــة فى الادراج المهملة من مكتبـــه . الا ان الذين يلازمونه فى عمله فى دائرة الابحاث يعرفون له وقفات ، فى ادق لحظات التنفيذ التكنيكى ، توحى بانه يخضع فيها لخوالج شعورية قاطعة مسار تفكيره الرياضى وملقية ضباب السهوم على زرقة عينيه . ويرد المطلعون على سيرة حياته من رفاقه ومريديه تلك الوقفات الى زمن معين ، هو الزمن الذى فقد ثالثة واحدة من مرافقاته ... فقدها فى حادث مفاجىء لم تتنبأ به نقاط التصالب لخطوط حساب الاحتمالات البيانية فى اربعة عقول كهرضوئية تعمل ليل نهار فى مكتب العالم هامان فى دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم .

منذ ذلك الزمن المعين ، المضبوط باليوم والساعة ، لم يشرك هامان فى حياته الشخصية امراة ، اية امراة . هل ذاك لانه تقدم فى السن ، فشاخ وعجز ؟ .. ما من احد من تلامذته ، ومن تلميذاته بصورة خاصة ، اعتقد بهذا . ومع ذلك فان هاتيك التلميذات يرينه قد اغلق باب مخدعه امام كل من سولت لها نفسها ان تاخذ بقربه مكانة مرافقته الثالثة . يحدث احيانا ان تظن واحدة من معاوناته الفتيات ، وكلهن يجمعن الى جانب الذكاء ومؤهلات المعرفة

زيلوس

كوكب الغيرة

الجمال الجسدي المتكامل ، يحدث احيانا ان تظن واحدة منهن ان رعايته لها تعني القرب منه . فاذا بدرت منها بوادر تصرف موح بما تظن ابتسم لها هامان برفق ونقل مسار العقل الكهرضوني الذى كان يلقمه بمعادلاته الى برنامج جديد يبحث فيه لتلميذته عن فتى من معاونيه تتوافق خطوط القوى فى شخصيته مع خطوط قوى شخصيتها ، فاذا وجده اشار لها اليه .. وربما اعطاها الرقم الحميم الذى ما ان تنقر به على لوحة الضوء على باب غرفة ذلك الفتى حتى ينفتح لها على مصراعيه مرحبا بقدومها ..

كان ذلك تصرف اشتهر به هامان عند اصدقائه وزملائه . والى هذه الشهرة ترجع الرسالة التى تلقاها هذا العالم عقب انتهائه من عرضه التاريخى عن خطة البث الى نطاق زحل وقمره العاشر كما قررتها دائرة الترحيل بين النجوم . انها رسالة وجهها اليه زميل قديم فى دائرة الضوئيات تقول كلماتها : « لم تأت فى محاضرتك على ذكر لطريقتك التى سمعت بها واعجبتنى فى معاملة شباب هذا الجيل . الفتيات نسين الانوثة ، والشباب معجبون بانفسهم. ارسل اليك سامارا ، ابنتى ، لعل احد عقولك الكهرضوئية يجد لها سعادتها ، فقد اعيتنى ياهامان ... » .

ـ ٣ ـ

كان الى جانب هامان ، عندما تبلغ تلك الرسالة مرتسمة احرفها على لوحة التخاطب امامه ، اقرب معاونيه اليه واشبههم به ، وهو الباحث رامي . قال رامي :

ـ هل عندك وقت تضيعه فى ارضاء نزوات اباء ضاقوا ذرعا بسلوك بناتهم ؟ سامارا هذه ؟!

ابتسم هامان وقال : لعلك صدقت ما قاله زميلى القديم ! انها وسيلة لادخال ابنته الى دائرتنا . سامارا ، اعرفها منذ الصغر ، واعرف ما حوته التقارير عن مؤهلاتها حين شبت . ستنجح فى الاختبارات وستملأ شروطنا الخاصة .

هز الباحث الشاب راسه كان شكا يخامره فى ما قاله استاذه العالم ، الذى كان له بمثابة الأب . حين يقف الاثنان ، العالم والباحث ، امام منصة التخاطب بعيد المدى يتبادر الى ذهن الرائى انهما حقاً اب وابنه . الطول واحد ، وتقاطيع الوجهين متشابهة . لابد ان المكونات الانسالية عند والدى كل منهما قد اخضعت لنفس الاساليب البيولوجية فى الاصطفاء والتوجيه ، وان كلا منهما ، قبل الولادة ، تلقى فى حبله السرى نفس كميات الاوكسيجين المشع . الا ان طرق التنظيم الولادى المتقدمة لم تمح كل الخصائص الشخصية للمورثات فى صبغيات خلايا تكوين الرجلين : فبينما بشرة العالم بيضاء موردة وعيناه زرقاوان واللمعة الذهبية فى بياض شعره توحى بشقرته قبل ان يشيب ، ترى بشرة رامي سمراء نحاسية وعينيه الواسعتين خضراوين ولمة راسه الكثيفة فى لون الليل الحالك .

عاد هامان الى الكلام عن ابنة صديقه بعد ان انشغل لدقيقة او دقيقتين فى تتبع معادلات راحت تعرضها لعينيه شاشة احد العقول الكهرضوئية ، قال :

ـ اعرف ما تطمح اليه سامارا : رغبتها ليست فى العمل فى دائرتنا هنا ، بل إنها تريد ان ترحلها الى مخابرنا حول زحل ، الى يابيتوس .

قال رامي بلهجة المستنكر لطموح هذه الفتاة التى لم يسبق له ان سمع باسمها :

ـ كانك رايتها قبل الآن يا هامان !

قال العالم : كلمتنى من مخبر ابيها ، امس . وهى الآن فى طريقها الينا .

وقبل ان يعقب رامي بكلمة سطع فى جو القاعة ضوء بنفسجي يشير الى ان قادماً قد اخترق نطاق المخابر العاملة . وبرزت ، بعد ثوان ، من المدخل ، سامارا وعلى شفتيها ابتسامة هادئة ، لا يرتسم على ملامحها اى انفعال ، مما يوحي بان التردد على معاهد الابحاث فوق العالية من مالوفاتها . صبية دقيقة الملامح ذات قد نحيل ، لا يبدو على تكوينها اثر التدريب الرياضى المنهجى والمعالجة الهورمونية الذى طبع افراد العنصر النسائى فى دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم بطابع موحد ، طابع التناسق الاندروجينى ، المسترجل . قال هامان للفتاة بعد ان رد على تحيتها بتودد :

ـ هذا رامي . سمعت بلاشك بأبحاثه . نحن ندين له بتحقيق فكرة القناة الوحيدة لبث المادة ثلاثية الابعاد .

مدت سامارا يدها الى الباحث ، فاستدار هذا فى مقعده ليتلقى تحيتها . قالت لهامان وقد اتسعت ابتسامتها :

ـ هل هو متعجرف ؟ إنه يمد يده دون ان يتحرك من مكانه . معك الحق يا رامى فى إعجابك بنفسك .. لولا القناة الوحيدة لتبددت مادة المبثوثين على مختلف المستقبلات فى مخابر الكواكب البعيدة ، ولكان حظى ضئيلا فى الوصول سالمة الى مختبر يابيتوس .

قال رامى ، دون ان يخفى امتعاضه من هذا الثناء المبطن بالتقريع : انت تحلمين بالسفر الى يابيتوس . يجب ان تعرفى قبل ذلك ان العودة الى بيت ابيك ، على كوكبنا الارضى ، لن تتاح لك قبل ان يتم زحل وتوابعه الدورة المقبلة حول الشمس .. اعني قبل تسعة وعشرين عاما وبضعة شهور . هذا عدا مخاطر تحولك من مادة حية الى اشعاعات مبثوثة . اما تخافين ؟

قالت ، وهى تنقل طرفها بين العالم والباحث : انني اثق بهامان .. واثق بك .

ثم ابتسمت قبل ان تضيف : الخوف ياتي من الجهل . وانا على معرفة بابحاثكم وبتجاربكم وانجازاتكم . فى مخبركم على يابيتوس ، الدائر حول زحل فى مدارٍ نصف قطره ثلاثة ملايين وخمسمائة وثلاثة وستين الف كيلومتر ، جهاز استقبال مكتمل تلقى قبلي نماذج من الصخور والمواد العضوية وصلت اليه على شكل اشعاعات مبثوثة فاعاد تحويلها الى صخور . ونفس المواد العضوية لم ينقص من تكوينها او يغير مكانه فى تكوينها بروتون واحد . وارسلتم اليه بعد ذلك سلاسل من الحموض الأمينية ، وفيروسات ، وفئران مخابر ، وشمبانزى ، ثم متطوعين من الشاذين ممن لم تفلح المعالجات البيوكيميائية فى تقويم سلوكهم ..

فقاطعها رامي ، وتطلع الى استاذه بنظرة المعاتب ، قائلا : من اخبرها بهذا ؟

فابتسم هامان وهو يقول : هذه ابسط معلوماتها . إنها تعرف كذلك ان نافذة البث الى توابع زحل ونطاقه لن تظل مفتوحة إلى ابعد من بضعة شهور ، واننا لن نستطيع ان نبث احداً الى يابيتوس بعد ذلك .

واذ رأى ان رامي لا يزال يحدجه بنظرة العتاب الناقم ، ضحك وقال مجيبا على



سؤاله عمن زود الفتاة بالمعلومات :

ـ لست انا على كل حال . ثقة ابيها بها كبيرة . ومركزه فى الهيئة العليا يبيح له ان يبوح بما يراه مناسبا لمن يراه مستحقا لا تقطب حاجبيك هكذا يا رامي ... مادامت سامارا مصرة على ان تُبَثَّ مع معرفتها بالظروف والمخاطر فستتولى انت تهيئتها لذلك . انت الذى تتولى تحويل مادتها الى طاقة قابلة للبث . هذا قرارى .

فتطلع رامي الى الفتاة بنظرة المتفحص. احس ببعض النقمة عليها ان وجد نفسه فى موقف ضعف امامها . ولكنه لم يملك إلا ان يعترف بينه وبين ذاته انها فتاة جميلة ليست هى فى تركيب من يحب.قال، محاولا ان يتظرف فى هذه المرة :

ـ سافعل . انت يا هامان غير مشفق على هذا التكوين الدقيق من ان يتفكك الى ذرات فى برودة ما تحت المطلق لتتحول بعدئذ الى فوتونات فى اسطوانات مفاعلاتنا التى تعطيها سرعة ما فوق سرعة النور . اطمئنى يا سامارا ... ستصلين الى مخبرنا فى يا بيتوس فى ساعة وربع الساعة ، شرط ان تتحملي عمليات التحويل الى اشعاع قابل للبث .

قالت الفتاة : ادرك انها عمليات مضنية ولكنى قادرة على تحملها .

قال الباحث الشاب : اذن لن نضيع وقتنا امامنا اربع وستون ساعة قبل بدء الاختبارات . تجدين التعليمات فى كراس ينتظرك عند المدخل . اشدِّد على ان تبتعدى عن تناول اى غذاء مشع فى هذه الفترة .

وبدا ان سامارا على الرغم من ثقتها بنفسها ومن تصميمها لم تطمح الى ان تتحقق رغبتها بهذه السرعة . فقد تحولت عن رامي منطلقة الى العالِمْ . قبل ان تهتف قائلة : ـ شكرا ... شكرا يا هامان .

فقطب العالم الوقور ما بين حاجبيه وربت على كتفى الفتاة وهو يقول :

حسنا فعلت . اكثر من ستجدينهم فى محطتنا فى يابيتوس شاذون . عليك الآن فى السير وراء رامي . انه هو مديرك . لا تنخدعى بخضرة عينيه فتظنين بها الرافة انه فى بعض الاحيان بربرى جلف . ولا تعتمدى عليَّ ، فقد نفضت يدى منك .. ربما على الرغم مني !

نطق هامان بجملته الاخيرة مازحا ، وهو يتصنع الأسى . الا ان نبرة فى صوته اوحت الى رامي ، وربما للفتاة ، بان ذلك الأسى ليس كله مصطنعا ، وان اثرا من الحزن الحقيقى قد تسرب إليه .

ـ ٤ ـ

من سامارا الى ابيها ، عالم الضوئيات :

« ... انى لا ازال فى البدايات . حيث يقول لي رامي انى اجد مشقة ، وعناءً ، والما ، اجد لذة المعرفة .. لذة عيش المعرفة. اترقب اللحظة التى ادخل فيها حجرة التهيئة الأولى ، تلك التى درجة حرارتها ٢٧٣ ، ١٥ تحت درجة تجمد الماء المقطر ، استعدادا للتحول إلى عناصر تكوينى البسيطة . لا ، لست خائفة . ولكنى قلقة من فقدان الادراك ، ادراكى لذاتى . سالت هامان عن هذا ، وهل اظل مدركة لتحولى من مركبات عضوية الى مجموعة عناصر ، ومن عناصر بسيطة الى ذرات مفككة ؟ قال لي بحدة : اسالي رامي ! احسبه لا يريد ان يضيع وقتا معي . ام لعله لا يريدنى ان افتتن به كما افتتنت به كل فتيات دائرة الابحاث ، كما اخبرتنى نورا امس ، فهو يحيلنى دوما الى رامي ...

وعن رامي .. ستضحك من بنتك ، صحيح ان هامان ، صديقك ، جدير بان تنجذب اليه كل فتاة ، الا ان عينى رامى تعجباننى ، انهما خضراوان ، تهدئان قلقى وتعطيانني املا . امس قلت لهامان ، وانا اذكر ما هو معروف عنه من استشارته العقول الكهرضوئية فى تصالب خطوط القوى عند فتياته وفتيانه ، قلت له : ما رايك فى ان تدقق فى خطوط القوى لشخصيتنا ، انا ورامى ، فانى اجد فى نفسي ميلا اليه ؟ فقطب صاحبك فى وجهى وقال : ستدخلين قريبا جدا فى مرحلة التحويل إلى اشعة مبثوثة ، فدعى هذه السخافات البسيكوباتية لفتيات ليس لهن اب مثل ابيك ..

هل فى هذا الطلب مني اساءة يا ابي ؟ اضحك مني اذا شئت » ..

ـ ٥ ـ

من حديث هامان الى نفسه ، منقولا من المسجلات الليلية :

« يبدو انى شخت . وإذا استمرت الحال على هذا فان مردودي من الانتاج العلمى لن يعود متناسبا مع طاقتى وجهدى ، وعليَّ حينئذ ان انسحب الى معهد الاستشارات تاركا دائرة الابحاث الى من هو اكثر مني ايجابية ..

إنها سامارا . تاتيني فى كل مساء لتعدد امامى الاختبارات التى اجراها عليها رامي والتمارين التى اجراها لها . تاخذ وقتى ، وعلي ان اردها فى كل مرة الى رامي . اعترف باني لا افعل هذا دون جهد . بصعوبة اتغلب على ميل نفسي الى استبقائها والى اعطائها وقتا اكثر . ثم إنها لا تنسى ، فى كل مساء ، ان تقول لى ان عينى رامي خضراوان . ما دخل هذا بغرفة التبريد الى ما دون الصفر المطلق ، وفى التحويل من عناصر الى ذرات الى فوتونات ؟! » .

ـ ٦ ـ

من حديث هامان الى نفسه فى ليلة اخرى :

« ... سالتني مجددا ان ابحث لها فى تلاؤم خطوط القوى فى شخصيتها مع خطوط قوى شخصيته هو .. رامي . هذه المرة لم تطلب مني ذاك مازحة . جاءتنى مجهدة بعد اختبار عنيف وقالت انه يهيئها للنزول الى البرودة المفرطة ، وانها تريد ان تعرف ذلك قبل ان يبثها الى يابيتوس ، فى مدار زحل . تريد ان تعرف .. وهو ، الا يريد ان يعرف ؟ » .

ـ ٧ ـ

وفى ليلة اخرى :

« هى تلح ، وانا احاول صرفها عن طلبها المضحك . هل اقول لها انها تضايقني بهذا الطلب ؟! لن اكذب اذا قلت لها ذلك . لماذا تحدثني عن خضرة عينيه كان لاجمال الا فى العيون الخضر ؟ ليس اجمل من عينيها العسليتين . هل بدات أضعف ، لانى بدات اشيخ ؟

يجب ان اعترف بان حكاية تقصي خطوط القوى فى العقل الكهرضوئى قد اخترعتها ، ابتدعتها ، لاتخلص من فتيات دائرة الابحاث اللواتى يضايقنني . وحين تطلب مني سامارا ان أطبق عليها ما كررته على زميلاتها اتضايق . ما معنى هذا ؟

لنفرض .. لنفرض اني وجدت الخطوط ، فى شخصيتها وشخصيته ، تتصالب فى نقاط التوافق ، فماذا يفيدها هذا ؟ حتما لن تجد طريقها اليه . فبعد ستة وثمانين ساعة واثنتين وعشرين دقيقة من هذه اللحظة سيتلقى جهاز الاستقبال فى محطتنا فى يابيتوس ذرات جسدها على شكل فوتونات ثم الى ذرات فعناصر ثم الى سامارا ، ذات العينين العسليتين والقد الاهيف ، وذلك على بعد مليار ومائتين وتسعة وستين مليونا واربعة وعشرين الفا من

زيلوس

كوكب الغيرة

الكيلومترات من قاعة التجارب في دائرتنا للابحاث على كوكبنا الأرضي .. اعني عن رامي !

لا .. خطوط القوى هذه ، لن احسبها » .

ـ ٨ ـ

في اواخر القرن الفائت ، اعني اواخر القرن العشرين ، حين كان بنو البشر يتناقلون الاخبار والأفكار بوسائل معقدة ومربكة يسمونها الصحف ، وهي مساحات من الورق مسجل عليها الكلام بحروف ملونة ، سوداء في الغالب .. في ذلك الزمن ورد في واحدة من تلك الوسائل جواب من مختص بالسلوك الاجتماعي ، عالم بالنفس على سؤال وجه اليه حول اسباب الكوارث التي تلحق بالجنس الانساني من جراء الخلافات الجماعية ، تلك الكوارث التي تدعى حروبا . في جوابه على السؤال رد المختص السبب الى التفاوت بين نمو جهاز الفكر في الكائن البشري ، وهو العقل ، ونمو جهاز الشعور في هذا الكائن ، وهو النفس . فالعقل ينمو ويتطور باستيعابه وبابداعه المتمثلين بالعلم ، بينما تظل النفوس الانسانية مرتبطة بالغرائز البدائية لا تملك فكاكا من قيودها . وقال المختص لمحاوره : خذ قضيبين متساويين بالطول والثخن ، احدهما نحاسي والاخر من الحديد ، والصقهما ببعضهما على طولهما ثم الحمهما ، تحصل على قضيب واحد متماسك ومستقيم . لنفرض انك عرضت هذا القضيب المزدوج التركيب الى منبع حراري ، إن اختلاف عامل التمدد بالحرارة في النحاس عنه في الحديد يجعل كلا من شطري القضيب يتمدد بقدر يختلف عن قدر تمدد الاخر ، وينتهي ذلك بالقضيب الى الانحناء ، ثم إلى التفكك وربما إلى الانقصاف . وهذا ، كما قال المختص ، تفسير اختلال التوازن في السلوك الانساني امام مؤثرات يستجيب لها كل من مكوني افراد الجنس البشري ، ويعني العقل والنفس ، بشكل يختلف عن استجابة الاخر ، فتسبب استجاباتهما المتباينة المآسي الفردية الصغيرة لعناصر هذا الجنس مثلما تسبب كوارثه الجماعية

هذه مقولة اوردها ذلك المختص منذ حوالي مائة عام ونقلتها تلك الوسيلة من وسائل بث المعلومات ، وعلى التحقيق نقلتها صحيفة صادرة في يوم من ايام عام ١٩٨٣ . ويبدو ان المقولة نفسها لا تزال صادقة في هذا الزمن . في عام ٢٠٨٣ بالذات ، على الرغم من تدخل العلم الحديث في تطور النفس البشرية عن طريق أساليب التربية المبرمجة والمدعمة بما انتجته ابحاث الزمن الحاضر من المبدلات البيوكيميائية للسلوك : لا تزال المقولة صادقة ، اذا لم يكن في كل الحالات ففي بعض الحالات التي ظلت بها النفس الانسانية عصية على البرمجة وعلى التبديل السلوكي .. ومنها حالة هذا الثالوث المؤلف من هامان وسامارا ورامي .

ـ ٩ ـ

من كلام رامي ، أو لعلها خواطره ، بعد عملية الارسال :

« ـ اجتازت كل الاختبارات وتحملت كل التجارب ، وكنت بذلك سعيدا .. سعيدا لسعادتها . وعندما سارت لوحدها نحو اخر المفاعلات فائقة البرودة في طريق التحول الكبير الذي سيطبق على كيانها المادي الحي ، انتابني الضعف الذي ما زلت اليوم نفسي عليه . انا مبتكر القناة الوحيدة وقد سلكت فيها ، بعد تحويلها في سلطة اجهزة الارسال الى فوتونات ، الجمادات والاحياء ابتداء من ذرة الهيليوم وانتهاء بافراد الطاقم المقيم في مخبرنا في يا بيتوس مرورا بالصخور والفيروسات والجمل ذي السنامين ... انا رامي ، اي خوف انتابني من ان تعجز هذه القناة عن استيعاب الفوتونات التي تحولت اليها ذرات عناصر أعضاء جسد سامارا؟! ماذا لو .. ماذا لو ... ماذا لو ؟! ياله من شك مريع ذاك الذي تسلل إلى وجداني وانا ارى سامارا تتقدم ، بعد ان قبلتنا جميعا ، اباها وهامان وانا ، تتقدم نحو الباب السيليكوني لمفاعل التبريد !

شك مريع تكشف ، في دقائق قليلة ، عن وهم لا مبرر له . ها هي الآن ، وقد نقلتها القناة الوحيدة امواجا نورانية ثم اعادها الجهاز المستقبل في يابيتوس إنسانة سوية ، تنقل خطاها في حجرات مخبرنا هناك .. هناك ، على بعد (١ ٢٦٩ ٠٢٤ ٠٠٠) كيلومترا ، وتخاطبنا من هناك . بل انها تخاطبني انا ، رامي ، فيخترق صوتها الأثير امواجا كهرطيسية تحولها اجهزتنا الى صوت سامارا برنته البلورية الصافية ، فكأني احس بانفاسها تلهب صفحة خدي حين همست في اذني ، قائلة : لا تقلق علي .. احبك ! » .

ـ ١٠ ـ

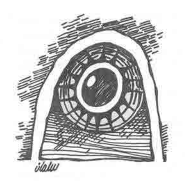
عودة الى حديث هامان لنفسه :

« ـ ضعفت . لم يعد لي شك في ذلك . احسست بالضيق يمسك عليّ انفاسي حين رايتها ، بعد ان قبلت اباها ثم سمعتها ، على الرغم من خفوت صوتها ، تقول له : احبك !

تحبه .. انا الاحمق الذي هياتها لذلك . انا الاحمق ، تعاليت عليها ، وعاملتها بما عاملت به اولئك المتهافتات على الحظوة مني الراغبات في حلول محل مرافقتي الاخيرة . وعندما تبينت انها من طبيعة اخرى ، ومن تكوين جسماني ونفسي اخر ، تعلقت ميولي بها فاحببتها . حدث هذا بعد فوات الاوان ، بعد ان سحرت بعيني رامي الخضراوين .

والآن ؟ الآن لا يبرد من الحرقة في صدري على فراقها الا علمي بان هذا الفراق قد جعل بينها وبين رامي في غرفته في مساكن الباحثين مسافة تفوق المليار وربع المليار من الكيلومترات في الفضاء ما بين النجوم ..

ضعفت . أقر بهذا على نفسي ، في منجزات الترحيل بين النجوم والابحاث التي ادت الى تلك المنجزات ، انا راس الحربة ، وانا الذي اصبح اسمه رمزاً للتقدم الحضاري في العشرة التاسعة من هذا القرن ، الواحد والعشرين الميلادي ، منزلتي عند العلميين ليس فوقها منزلة ، واكبار معاوني لي ليس له حدود ، وثقتي



بنفسي لا تقل عن هذا وتلك .. الا ان سامارا كشفتني وعرفتني بضعفي . تبينت امامها اني في هذا الضعف انتسب الى الجيل الذي ولدت فيه ، جيل ابناء العشرة الأولى من هذا القرن .

كيف رضيت بارسال سامارا بعيدا بعيدا .. الى يا بيتوس ؟ ربما كان هذا هو جنوني الصحيح . اما كان ممكنا ، لو انها بقيت معي على كوكب الارض ، ان تصبح لي المرافقة الرابعة ، على الرغم من ان عيني زرقاوان ؟

ـ ١١ ـ

« احبك » ، قالتها سامارا لرامي .

« تحبني » ، قالها رامي لنفسه .

« احببتها » ، رددها هامان في حواره مع ذاته .

كل هذه افعال نصف الحب في ازمنته المختلفة . والحب ، كما يعرف كثير منكم ، عامل من عوامل التكوين العاطفي للنفس البشرية لا يزال ذا فعالية مؤثرة فيها لانها ، اي النفس ، لم تتطور في المنحي الايجابي الذي تطور فيه العقل في هذا الزمن ، وذلك على الرغم من أساليب التربية المبرمجـــة وتطبيقاتها الموجهة نحو هذا المنحى . كل ما توصل اليه التدخل العلمي في مجال عامل الحب هذا هو دراسة تاثيره وكشف مساراته بصورة أصبح معها من الممكن رسم هذه المسارات بشكل خطوط قوى بيانية تستطيع العقول الكهرضوئية ان تبين نقاط تلاقيها وتعين زوايا تباعدها . وهذا ما كان يعهد به هامان ، احيانا ، الى عقول معهد الأبحاث لحل مشاكل معاوناته المتورطات والمتورطين في متاهات ذلك العامل العاطفي .

ونحن نعرف على التاكيد سبب احجام هامان عن تطبيق طريقته هذه على ما اخذ يقلقه ، ويؤرقه في قضية المشاعر التي تربط بين الثلاثة ، هو ورامي وسامارا . لعله احجم ، كما حدث نفسه عن نفسه ، لانه شاخ وضعف فلم يعد قادرا على تحمل الحقيقة وعلى القبول بواقع الحقيقة ، كما هو منتظر ممن هو في منزلته بين العلميين المهيمنين على الحقيقة معرفة وتطبيقا . ولعله لو فعل لرسم العقل الكهرضوئي لعينيه محصلتي خطوط قوى الفتاة ابنة صديقه والباحث تلميذه كمسارين لولبيين ملتوين احدهما على الآخر ، متعانقين كتعانق سلسلتي الجذور الامينية في ذرة د . ن . أ . . حامض الديزوكسي ريبونوكليك . اما مسار خطوط قوى شخصيته هو فسيبدو له مستقيما ، منحرفا عن ذينك المسارين المتعانقين بزاوية تزداد انفراجا بازدياد البعد بين مخابر دائرة الابحاث على سطح كوكب الارض والجهاز المستقبل على تابع زحل الذى بثت الفتاة اليه ، يا بيتوس .

من اقوال آبائنا الأولين في القرون السالفة تشبيههم البعاد بالنسبة للحب بالريح بالنسبة للنار . نسمة الريح الخفيفة تزيد النار اشتعالا ، والريح القوية تخمد الجذوة المشتعلة وتحيلها رمادا . ولو قسنا بعد سامارا عن عاشقيها بمقاييس أولئك الأولين الكيلومترية لحكمنا بخمود جوى الحب في صدور هذا الثلاثي منذ الساعة الأولى لارســـال الفتاة الجميلة الى يابيتوس ، فبعد تلك الساعة اصبح بعدها عن العاشقين مقدرا بمئات الملايين من الكيلومترات بل بالافها ... تستغرق اسرع مركباتهم في قطعها ما يزيد عن الخمسين عاما ، اذا تلك المركبات كانت تنطلق بسرعة ثمانية كيلومترات في الثانية ، وحين تفرط في السرعة تبلغ ، في الثانية ٣ ، ١١ كيلومترا ! الا ان متيمينا الثلاثة يعيشون في عصرنا الحاضر ، في القرن الواحد والعشرين وفي اواخره ، في زمن الترحيل بين النجوم . في زمنهم هذا لم يعد زحل ونطاقه وتوابعه ، وبينها يابيتوس تبعد عن كوكبنا الأرضي اكثر من ساعة وربع الساعة . فلا عجب ان يؤثر هذا البعد المختصر زمنيا في عواطف ابطال قصتنا ما تؤثر به النسمة الخفيفة على الجذوة المشتعلة ، فتنعشها وتزيدها وقدا والتهابا .

وهذا ما حدث بالضبط في مشاعر كل من افراد الثلاثي . هامان ، كما راينا ، اصبح موزعا بين عذاب نفسه بهوى عقيم وبين عزائه لتلك النفس في ان المحبوبة قـــد بعدت فلن يظفر بهواها غيره . ورامي الذى عادت به همسة من سامارا الى تحليل عواطفه فاكتشـــف ان تعلقه بالفتاة كان وراء حماسته في تامين بثها الى يا بيتوس في اكمل الشروط ، اصبح ينقم على نفسه انه هو الذى ابعد الحبيبة وقذفها الى قرابة مليار وثلاثمائة مليون كيلومتر في الفضاء بين الكواكب . اما سامارا نفسها ، فهي اوضح رؤية من كلا الرجلين لمشاعرها واجرا تعبيرا عما تحس به واصرح فيما تريده . دليل انها اخذت تشغل نصف وقت التخاطب المحدد لاتصال مخبر الدراسات في يا بيتوس مع دائرة الابحاث في كوكب الأرض ، بكلام شخصي تصف به شوقها الى رامي وحلمها في ان تراه الى جانبها على هذا التابع الدائر حول زحل .

اخذت سامارا تشغل بهذا الكلام نصف الوقت في المرتين النظاميتين المحددتين يوميا ، وفي بعض المرات استبدت بوقت غير مخصص لها وراحت تنادي فيه رامي . واحنق هذا التجاوز على النظم المرسومة هامان ، فسجل للمرة الاولى،على الصفحة المضيئة في عدد من منصات دائرة الترحيل كلمات تقريع لكل من رامي وسامارا لسوء تصرفهما وتبديدهما طاقة علمية جوهرية في احاديث نفسية ، سطحية وتافهة .

ـ ١٢ ـ

لم تفلح كلمات التقريع في صرف سامارا عن احاديثها ، غير المرتبطة بمهمتها العلمية ، مع رامي ومن ردود رامي عليها . نستطيع ان نسمي تلك الأحاديث نجوى متبادلة بين حبيبين عبر الاقضية بين الكواكب ، لولا انها لم تقتصر على الحبيبين . اذ أصبح يشاركهما فيها ، وربما على رغمه ، العالم هامان . فهو اذا صرف نظره عن سامارا التي ينقل الجهاز المستقبل صورتها له وصم اذنيه عن سماع صوتها ، وجد نفسه محكوما بالاطلاع على عباراتها بالفاظها حين يستعرض في نهاية يوم العمل تقارير محطة الارســـال في يا بيتوس . لا مناص له في كل ليلة من ان يقع في ثنايا المعادلات الرياضية وتعرجات الخطوط البيانية على كلمات الفتاة العاشقة التي تحول جداول الارقـــام والحسابات الفلكية إلى قصائد شوق ملتهب يزداد وقدها يوما بعد يوم ويزداد لها حنق العالم على تصرف بنت صديقه وعلى استجابة تلميذه لهذا التصرف ، أو لتنعمه بهذا التصرف ، يوما بعد يوم .

ما الذى يقوى به هامان على الفتاة التي تتصرف بهذا الشكل ؟ انها الآن منه على بعد متزايد ، اقل قيمة له مليار ومائتان وسبعون مليون كيلومتر . في رحلة مبرمجة على تسعة وعشرين عاما ومائة وسبعة وستين يوما ارضيا . فهو لا يملك ، ولا يحق له ، ان يعيدها الى مخابر دائرة الابحاث على كوكب الارض قبل انقضاء امد البرنامج . وتراه ، لو ملك ذلك ، راغبا في اعادتها الى الأرض لتلقي بنفسها بين ذراعي رامي كما تتمنى هي ذلك وتعبر عنه بصراحة تتمادى بتمادي احاديث شوقها الملتهب ؟ !

حنق العالم هامان الذى لم يكن له متنفس على الفتاة . انقلب على التلميذ العاشق ، رامي الذى كانت تربطه به ، قبل ان تتدخل سامارا بينهما ، رابطة اب بابنه . لم يكن قادرا على انكار مكانة الفتى بين

باحثى ادارة الترحيل ولا الاســــتهانة بانجازاته ، ولكنه لم يعد قادرا على ان يتلقاه بنفس الحنو والعاطفة الابوية التى كان يتلقاه بهما قبلا . وذلك تبدل لم يخف على رامي ، ولكنه كان من الانصاف ومن التقدير بحيث لم يلق لوما فيه على استاذه بل وجد له فيه العذر فى تجاوزاته هو وسامارا على الاعراف المتبعة فى حلقات الدراسات الكونية ، باتخاذهما عناصر البحث العلمي مطية لهواهما الشخصي .

وجاء يوم قرر فيه رامي ، وهو يرى فى معاملة هامان له جفاء يقارب القطيعة ، ان يفضى الى العالم بكل مشاعره ، من هوى لا يملك الفكاك من اسره ، ومن شعور بالذنب ، ومن إقرار بالخطا فى التصرف ، وان يطلب اليه ان يشير عليه بالحلول التى يرتئيها لواقعه فى ضوء معرفته السامية وعقله الراجح وتفكيره الموضوعي .

ـ ١٣ ـ

قال رامي وهو يتحدث الى استاذه العالم :

ـ اشعر بالضعف امامك يا هامان . فعلى الرغم من اني ، لفارق الزمن بين جيلينا ، قد تلقيت فى صباى من دورات التربية المبرمجة اكثر مما تلقيته انت فى صباك ، اجدني عاجزا عن التباعد عن المشاعر الغريزية ، التى حقنتنا تلك التربية بمصول المناعات عليها . على المشـــاعر الغريزية اعني . معك الحق فى ان تبعدني عن اهتمامك وان تجفوني . خيبت ظنك وارتبطت بالخصوصيات النفسية ، ممـــا لا يجدر بتلميذ مقرب منك . ولكني لا استطيع ان ارائي واخفي احاسيسي .. اني متعلق بسامارا تعلقا لاحدود له . انت مسؤول عن هذا . لا اقول ذاك لالومك بل لاشكرك .. منحني هذا التعلق ســـعادة لا تفوقها سعادة ، لولا ..

وقطع رامي كلامه كالمتردد ، فتطلع اليه هامان بنظرة جامدة ، تبدو خلوا من كل محتوى حسي . وسال :

ـ لولا ماذا ؟

قال الشاب : لولا نقمة اشعر بها على نفسي اني ابعدتها ، بيدى ، عني جسمانيا فى اللحظة التى كانت فيها اقرب ما تكون إلى روحي . وانت كذلك مسؤول عن هذا . اليس هو قرارك ان اتولى انا بثهـــا الى يا بيتوس ؟

قال هامان ، بلهجة من نفذ صبره : ماذا تريد مني ؟

فاجابه رامي : ان تفتح لنا طريق الاجتماع ، انا وسامارا .

فسكت هامان لحظة . ولما عاد الى الكلام راح يلفظ كلماته كانه يتلذذ بتقرير معانيها قال :

ـ إنها فى يا بيتوس . انت الذى بثثتها وتوليت برمجة رحلتها التى لن تنتهى قبل ان يتم زحل دورة كاملة له حول الشمس .. اعني قبل ثلاثين عاما تنقص بضعة شهور لا يمكن لاجهزة يا بيتوس المرسلة ان تعيد بثها إلينا قبل ذلك .

قال رامي : اعرف هذا ونحن ، سامارا وانا ، نقبل به . هى لن تعود قبل ختام برنامجها . ولكني شخصيا لست مرتبطا ببرمجة ذات موعد محدد . ما اطلبه منك هو ان تبثني انا اليها .. الى يا بيتوس .

فوجىء العالم بهذا الطلب من تلميذه ، فقال بلهجة اقرب ما تكون الى الاستنكار :

ـ انت ؟!

قال رامي : نعم . ارحولك ، رحلني الى يا بيتوس . انا على استعداد لخوض كل الاختبارات والمرور بالتجارب التى اخضعت لها قبلا من بثثتهم ، تحت اشرافك الى يا بيتوس . ولقد ابتكرت انا ايضا ، تحت اشرافك ، القناة الوحيدة ، واريد منك الآن ان تسلكني فيها . لا اريد ان اضيع الوقت ، فما تبقى من زمن نافذة البث الى مدار زحل ليس كثيرا . إبدا بتاهيلي ، اذا لم يكن اليوم ففى هذه الأيام القليـــــلة القادمة .

قال هامان : يبدو لي انك فقدت توازن عناصر المحاكمة فى تفكيرك . كل هذا من اجل سامارا .. من اجل امراة ؟

فقال رامي بلهجة فيها الاحترام ، وفيها الرثاء ، وفيها الشعور بالغبطة :

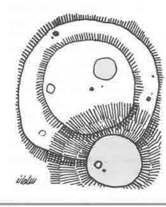
ـ كل هذا لانني احبها . تفكيرك يا هامان يحلق فى عوالم تسمو على الحب ، ولذا فانى لا الومك اذا لم تفهمني ..

ـ ١٤ ـ

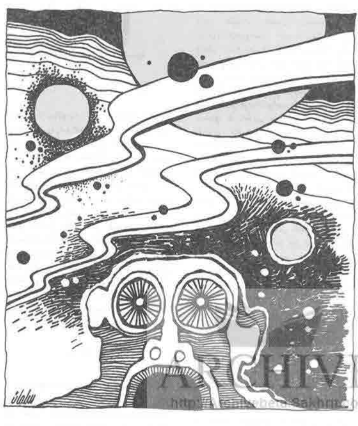
ليس صحيحا إن هامان لا يفهم رامي ومشاعره ودوافعه . وليس صحيحا كذلك ان تفكيره ، تفكير هامان نعني ، يسبح فى اجواء تسمو على عاطفة الحب .

ففي الفترة الاخيرة ، فى الأيام المتتالية التى اعقبت انتقال سامارا الى يا بيتوس ، اَسَفَّ تفكير هذا الانسان العلمى الخطير ، ملتقى الاضواء فى محافل الدراسات والانجازات المفرطة التعقيد ، حتى انغمس فى دنيا المشاعر وعالم العواطِف والأحاسيس المعنوية . نحن نقول اَسَفَّ ، على الرغم من أن بعضا من الناس يعتبر هذا الاسفاف سموا . ولعلنا نوافق بعض الناس اولئك فى اعتبارهم لو ان تحول تفكير هامان كان إلى عاطفة الحب وحدها . ذلك ان هذا التفكير قد تحول ، فيما عدا الحب ، الى الأسى على مافات والحرقة على ما لم ينله صاحبه ، ثم الى الحقد الوضيع الذى لا يليق بشخص متميز مثله .. الحقد على الفتى رامي لانه نعم بحب حرم هو منه .

واذا كان هامان قد عزف فى اول الامر عن شهود تناجي الحبيبين عبر الافضية بين الكواكب فى صورة وصوت مباشرين ، مكتفيا بالاطلاع على فحوى ذلك التناجى فى تضاعيف محاضر الارسال والاستقبال بين دائرة الابحاث ومخابر يا بيتوس ، فانه لم يلبث ان وجد نفسه مدفوعا الى رؤيتهما بعينيه وسماعهما باذنيه ، على لوحات المنصات فى قاعات العمل ، وهما يتطارحان الصبابة ويشتكيان من طول فترة التباعد التى تحول دون لقائهما . وكان هو ، هامان بين لذع الفؤاد بما يسمع وما يرى وبين برد التشفي بمعرفته ان الوصال الذى يتحرق فى انتظاره الحبيبان امنية مستحيلة .. مستحيلة على الاقل فى الوقت القريب .



ولكن .. ولكن هذا هو تلميذه يحطم للنهج العقــــلاني ويطلب ان يبث الى يا بيتوس ، الى حيث تتلقاه ، سامارا مفتوحة الذراعين متلعة العنق والصدر مستسلمة ! إنه ، فيما يامل ، مجنون . من يملك ان يسمح ببثه ، ومن يستطيع بثه غير هامان ؟ ومن يشقى بوصــــوله الى يا بيتوس غير هامان ؟ ... ومع ذلك ، فانه يطلب ما يطلب من هامان !



― ١٥ ―

تحولت الأيام التى إعقبت ذلك الطلب الجرىء من رامي الى استاذه ، إلى ساحة تضاربت فيها مشاعر ثلاثي قصتنا واحاسيسهم تضارب الحمولات الالكترونية والكهرطيسية والكهرضوئية فى مجــالات التجارب الكونية .

هذه ، مثلا ، نداءات ساهارا إلى رامي ، وما توجهت الفتاة قط بنداءاتها الى هامان، لقد اخذت تلك النداءات تحتل من برامج التخاطب على الموجات بالغة القصر ، وكلها من فئة المليمتر طولا ، بين محطتي دائرة الأبحاث فى الأرض وعلى يا بيتوس ، فول اخذت تحتل مساحات تزداد اتساعا كل يوم ويزداد محمولها من الشوق والتوق لعله جو التابع الدوار يا بيتوس هو الذى حول هذه الفتاة المفرطة الذكاء من باحثة نصيب العقلانية فى تفكيرها ٦ ، ٩٦٪ ، كما هو مثبت فى جدول مؤهلاتها ، الى كائن عاطفي تتضاءل العقلانية فى تصرفاته إلى نسبة مئوية دنيا . ولعل ذلك الجو هو الذى اعطاها هذه الجراة وفصاحة التعبير فى التصريح بميولها الروحية ورغباتها .

نداءات صارخة ، ملتهبة وجارحة ، وما كان يسمعها سوى رامي واستاذه ، ولابد لكل منهما أن يتاثر بها تاثرا عميقا . وواضح ان مسار التاثر عند كل منهما كان يعارض الآخر فى اتجاهه معارضة قطبية . فبينما يندفع رامي ، مدفوعا بتلك النداءات فى الحاح على المعلم ان يلبي رغبته فى الرحيل الى يــابيتوس ، يتصلب هامان مدفوعا بالحنق الذى توجه فى صدره النداءات ذاتها مقررا ان يظل لقاء الفتاة على تابع زحل مستحيلا . لا .. كان هامان يقول لنفسه .. لا ، لم يبق من النافذة الزمنية لاطلاق المادة ثلاثية الابعاد الى يا بيتوس غير اسابيع قليلة ، ولن اسمح لهذا الصبى ان يعبرها مبثوثا الى حيث ساهارا بذراعيه الطويلتين !

ويلح رامي ، ويلح . ويا عجــبا ! .. ففى ذات صباح ، وبعد ليلة مؤرقة ملأت اذني هامان احاديث الغزل الملتهبة بين الحبيبين ، فكادت نفسه تزهق حسرة وتالما ونقمة ، نادى اليه تلميذه الباحث ليقول له بصوت حاول ان يعيد اليه لهجة العلمي الذى كل الآخرين عنده ، حتى اقرب المقربين اليه ، مواد تجربة وتطبيق .. ناداه ليقول له :

ـ هيىء نفسك للنزول تحت الصفر المطلق . سترحل الى يــابيتوس ، مادمت مصرا . لست بحاجة إلى دراسة للتعليمات ومتى ما أجريت عليك الاختبــــارات الروتينية ، ستُبَثّ !

وفتح رامي عينيه الخضراوين باكبر سعتهما وقد امتلأتا دهشة ، وغبطة ، وهم بالكلام . إلا أن هامان لم يترك له فرصة لذلك ، اذ اضاف :

ستسلك القناة الوحيدة . انها قناتك ، ولك الافضلية فى سلوكها .

لم يكن فى هذه الاقوال اى إشارة الى ساهارا ونداءاتها . فكان هامان اراد ان يعلم الفتى ان الامر امر تطبيق علمي مجرد ليس للشعور الانسانى به دخل او علاقة .

وهكذا خطا رامي خطوته الاولى فى الرحلة الى تابع زحل فى فلك ذلك الكوكب السيار .

― ١٦ ―

لأول مرة تتوجه ساهارا عبر الأفضية بين الكواكب بالحديث الى هامان . محياها يتالق فرحا ، وابتسامتها تكاد تطفر من شاشة المنصة لتنير القاعة الاهليلجية المتسعة التى يتصدرها مكتب العالم . قالت وهى تقصد هامان :

ـ كنت واثقة من انك لا ترضى بان تتركنى لنار الشوق ، احترق بها تسعة وعشرين عاما ، قبل ان التقي برامي . واثقة بانك ستبث لي حبيبي قبل اغلاق النافذة الزمنية واستحالة الارسال . انا اطير فرحا .. الست ترى هذا على وجهي لن اخذ بعد الآن دقيقة واحدة من وقت البرامج ما دام رامي ، فى مرحلة التهيؤ ، لا يتاح له أن يحاورني ، الى اللقاء بعد اثنين وعشرين



يوما ... ستتوجه اليك حينذاك بالتحية والشكر ، وترانا امام عينيك ، بعيدين عنك وقريبين منك ، متعانقين انا ورامي ..

واختفى وجه سامارا من الشاشة بينما كان رامي في طريقه الى غرفة تطبيقات البث لينزل الى برودة الصفر المطلق ، ثم الى ما دونها بدرجات ، حيث يتحول تكوينه الى عناصر ثم الى ذرات ، ثم الى مركباتها التي تنطلق على شكل فوتونات بسرعة ثلاثمائة الف كيلومتر الا بضع عشرات من الكيلومترات في الثانية نحو فلك زحل ، فتبلغ الجهاز المستقبل بعد ثلاث وسبعين دقيقة وبضعة اجزاء من الدقيقة ، لأن ابتعاد موقع يا بيتوس على ذلك الفلك ، ما بين بث سامارا اليه وبث رامي ، يزيد امد رحلة الأخير هذه الدقائق القليلة الفائضة .

― ١٧ ―

اسمحوا لنا بالتوقف هنـــــا قليلا . انتم تتصورون ، فيما نحسب ، ان قصتنا قد انتهت ، وبخاتمة لا تختلف عما تنتهي به حكايات اسلافنا الاولين ، حين تختتم كل قصة باجتماع شمل الحبيبين واقامة الأفراح والليالى الملاح . ولعلكم تاسفون على ما اضعتم من وقت فى تلاوة هذه الصفحات التى لم يختلف محتواها عن تلك الحكايات الساذجة الا بان الابطـــال المتباعدين كانوا هناك يركبون العربـــات والطيارات ، أو الصواريخ ، بينما أبطال قصتنا يمتطون ذرى الأمواج الجيبية للنور أو الدفقات الكوانتية للطاقة المبثوثة .

ولكن مهلا ، كان احب الينا ان يصدق ما تتصورون ، لولا ان بقيت لنا كلمة نعود فيها الى ما كنا ذكرنا ، فى الفقرة رقم ٨ من هذه الصفحات ، عن التباين بين تطور عقل الفرد البشرى وتطور النفس عند هذا الفرد مما يؤدى الى التشوه والتقصف ووقوع الكوارث . عند هذه النقطة من قصتنا يحتل ذلك التباين محله . إنه التباين بين التطور المذهل الذى بلغه العقل الانسانى فى عام ٢٠٨٣ للميلاد ، ممثلا بمنجزات التقدم الذى يتركز فى ضغطات انامل العالم هامان على لوحات مجموعة العقول الكهرضوئية فى مركز ابحاث دائرة الترحيل بين النجوم وبين انشداد النفس الانسانية الى غرائزها الحيوانية ، انشدادا تمثل بتصرف هامان ذاته تصرفا كارثيا نتيجة لتأثره بحب يائس . ومن يحلل سلوك هذا العالم الشهير يجد واضحا انه كان ردة فعل لمجموعة مشاعر حَسِبَ مختصو الدراسات النفسية فى قرننا الواحد والعشرين هذا ان نشاطها قد امّحى منذ زمن بعيد . انها المشاعر التى كان اسلافنا فى القرون الماضية يطلقون عليها اسماء تختلف من لغة الى لغة ، وفى اللغة العربية يسمونها خصلة الغيرة أو شعور الغيرة .

هذا التصرف الكارثى الذى تصرف به هامان ، ما كان ممكنا ان يقوم به من هو دونه منزلة ومعرفة وقدرة على التحكم بمعطيات التقدم العلمى الفائقة . رامي ، ذلك العلمى الفذ ، ها هو قد اجتاز كل اختبارات البث واصبح ، فى النطاق المصمت للجهاز المرسل الذى يديره هامان ، فى مرحلة الاعداد الختامية ليشحن بالسرعة المعينة منطلقا الى يا بيتوس . المنصات فى كل شُعَب دائرة ابحاث الترحيل كانت تتابع على شاشاتها ترحيل الباحث القدير واعين العلماء والعالمات من الكهول ، والباحثين والباحثات من الشباب معلقة باطراف اصابع هامان المتنقلة بين ازرار تشغيل العقول الكهرضوئية انتقال انامل العازف على آلته . وكما يتحول الصوت فى بث المادة ذات البعد الواحد إلى موجات كهربائية مغناطيسية متباينة الشدة ، فى التواتر او فى الارتفاع ، وكما تتحول الصورة ، فى بث المادة ذات البعدين الى مجموعة نقاط يترجمها الجهاز المرسل إلى شدات من نفس النوع ، اخذت المادة الحية ثلاثية الأبعاد التى هى جسد رامي تتحول ، بعد تحولها إلى عناصر فذرات فجزئياتها ، الى طاقة ستخترق الفضاء بين الكواكب اختراق الصورة والصوت بعد تحويلهما الى طاقة . والفرق بين مصير هذين الاخيرين ومصير فوتونات جسد رامي ان هذه الفوتانات لن تتوزع فى الاثير ليلتقطها كل جهاز مستقبل مؤهل . انها ستسلك القناة الوحيدة إلى بؤرة محطة الاستقبال القائمة على سطح عاشر اقمار زحل ، التابع يا بيتوس .

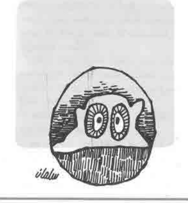
تلك القناة الوحيدة ! اى جزء من مليار جزء من مكوناتها على مسارها الطويل قد تخلخل من مكانه حتى جرى ما جرى ؟ جمدت أمام اللوحات المضيئة فى المنصات اعين المتتبعين ، من علماء وباحثين وتلاميذ ، وهلعت قلوبهم ، شيء ما فى جزء من الثانية التى تلت ضغط أصبع هامان على اخر أزرار الارسال قد حدث فى آلة البث المتشابكة . قبل ذلك الجزء من الثانية كان جسد رامي قد انطلق بصورة طاقة مرسلة من جهاز دائرة الترحيل نحو يا بيتوس ، ليبلغ جهاز الاستقبال فى هذا التابع بعد ثلاث وسبعين دقيقة ، مخترقا مليارا وما يزيد عن أربعمـــــائة مليــــــون من الكيلومترات . إلا ان اضطرابا غير متوقع قد بدا فى حركات اصابع هامان وهى تنتقل على لوحة الأزرار الرئيسية . وفى نفس اللحظة اشتعل فى كل من العقـــــول الكهرضوئية فى جوانب قاعة العمليات ضوء احمر ينذر بان القناة الوحيدة التى سلكتها فوتونات ذرات المادة المبثوثة قد اصيبت بتخلخل . يا للكارثة !

وانها لكارثة . اترى هذه الفوتونات المبثوثة تصل الى فلك زحـــــل ، ثم الى يا بيتوس ، ثم الى جهاز الاستقبال فى محطة الابحاث ليعود رامي ، هذا الفتى الباحث ، إنسانا سويا تتلقاه فى حضنها الدافيء حبيبته سامارا ؟!

― ١٨ ―

أهي القناة الوحيدة التى اصابها خلل ، ام انها أصابع العالم هامان التى ضلت طريقها على أزرار البث والارسال ؟ الذى نعرفه ان رامي ، ذلك المنكود الحظ ، قد انطلق إشعاعا من مخابر دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم فى كوكب الارض ، ولكنه لم يلتقط فى جهاز الاستقبال فى تابع يا بيتوس جسدا آدميا .

وقد دلت الأبحاث التى أجراها زملاء هامان ، الذى اصيب بانهيار عصبى بعد تلك الحادثة الكارثة ، على ان الكتلة الاشعاعية التى نجمت عن تحول المادة



ثلاثية الأبعاد فى جسد رامي الى طاقة قد بلغت فلك زحل حقا ، إلا ان القناة الوحيدة التى سلكتها لم تتوقف بها فى مـــدار يا بيتوس . الذى جرى هو انها استمرت فى مسيرها حتى بلغت حزام زحل ، وهو كما تعرفون نطاق مشكل من اربع حلقات دائرية متفاوتة فى الاضاءة وفى الانشـــحان الالكتروني ، ويفصل بين اولها وثانيها شق كاسيني المظلم المشهور . كل حلقة من تلك الحلقات الأربع تتكون ، كما بينت ابحاث العلماء القدماء ، لا من ذرات نور بل من اجسام مادية بالغة الصغر ، يمكننا ان نعتبرها توابع واقمارا متفاوتة فى ضالة الحجم ، وهى تدور حول زحل بسرعات تتناسب مع احجامها ومع بعدها عن مركز ذلك الكوكب السيار .

عند الحافة الخارجية لحلقة حزام زحل الاولى تضاءلت سرعة فوتونات جسد رامي المبثوث حتى قاربت الصفر ، وبذلك تحولت من طاقة إلى مادة مجسدة . الا انها لم تجد امامها جهاز الاستقبال الذى يعيدها إنسانا ســـويا . ولا حتى مـــادة حية . لقد اصبحت مزيجا من العناصر ، وربما كتلة من المركبات المعدنية والعضوية ، انضمت الى مجموعة الأقمار الدقيقة والتوابع الصغيرة الدائرة فى الحلقة الاولى من حلقات الحزام ، مكونة فيها تابعا جديدا . وهذا ما اكدته الاستكشافات والدراسات التى اجرتها هيئة خاصة الفت بغاية البحث عن مكونات جسد رامي . واذا كانت اعمال هذه الهيئة قد توصلت الى معرفة مصير ذلك الجسد فانها قد باءت بالفشل فى محاولة اعادة عناصره إلى مخابر دائرة الأبحـــاث فى يابيتوس او على كـــوكب الأرض .

وهنا ، فى ختام قصتنا هـــذه ، نورد ما اثبته التقرير النهائي لتلك الهيئة الخاصة ، الا وهو الاقتراح الذى تلقته تلك الهيئة من الباحثة سامارا ، المقيمة فى محطة دائرة الابحاث على التابع يا بيتوس طالبة رفعه الى مجلس التسميات الفلكية . فقد طلبت هذه الباحثة ، ولسبب لم يكن يعرفه الا قليلون ، ان يطلق على هذا التابع الجديد الذى تم تحديد صفاته المميزة اسم « زيلوس » ، وهى الكلمة التى يعادلها فى اللغة العربية لفظ « الغيرة » .

وهذه حكاية الكوكب زيلوس ، كوكب الغيرة الدائر فى فلك زحل وعلى هامش الحلقة الاولى من حلقات حزامه ، فى قلب المجموعة الشمسية التابعة للمجرة الكبرى فى كوننا المنظور .

د . عبد السلام العجيلى

نـــجـــمـــة

شعر : عـــلام عبـــد الله



● (تعاطفت معي اكثر من صمتي ...)

عندما تخضرُّ نفسي
أو تناجي الأرضَ ماءً من وريدْ
آهِ
لا مِنْ سامع ، عينٌ
ولا اذنٌ تحاورْ
أضربِ الصمتَ براسي
فأراه خشباً .. أو حائطاً
لا يستمعْ
فى انشغالِ الكدحِ والهمِّ المُراقْ
فى بساتينِ الليالي الغافياتْ
إنني ابحث عن ظلٍّ لصوتي
حيث لا مِنْ سامعٍ ، عينٌ
ولا اذنٌ تحـــاورْ
أينَ انتِ .. ؟
اين انتِ .. ؟
أضربِ الراس براسي
رجةٌ تبحرُ من قلبى
واخرى فى اللسانْ

رتّبَتْ كلســـا ..
وسدَّتْ مخرجَ الصمتِ
وصمتي فى انحصارْ

أضرب الكلسَ بصمتي
تستشفُّ الآهَ مني طفلةٌ
سنبلتْ جرحا خليجياً بقلبي
سنبلَتْني
انهكتْني السنبلهْ
اضربِ النفسَ براسي
لا أرى شـــيئاً

سوى ريش من البسمة
أو بؤرةِ رملٍ فى حجرْ
همسةِ نارٍ فى جسدْ
مثلما يحتضنُ الغيثُ نجتَهْ
ها أنا أحتضنُ الطفلةَ
من دونِ زَغَبْ

ثلاثية الأبعاد فى جسد رامي الى طاقة قد بلغت فلك زحل حقا ، إلا ان القناة الوحيدة التى سلكتها لم تتوقف بها فى مـــدار يا بيتوس . الذى جرى هو انها استمرت فى مسيرها حتى بلغت حزام زحل ، وهو كما تعرفون نطاق مشكل من اربع حلقات دائرية متفاوتة فى الاضاءة وفى الانشـــحان الالكتروني ، ويفصل بين اولها وثانيها شق كاسيني المظلم المشهور . كل حلقة من تلك الحلقات الأربع تتكون ، كما بينت ابحاث العلماء القدماء ، لا من ذرات نور بل من اجسام مادية بالغة الصغر ، يمكننا ان نعتبرها توابع واقمارا متفاوتة فى ضآلة الحجم ، وهى تدور حول زحل بسرعات تتناسب مع احجامها ومع بعدها عن مركز ذلك الكوكب السيار .

عند الحافة الخارجية لحلقة حزام زحل الاولى تضاءلت سرعة فوتونات جسد رامي المبثوث حتى قاربت الصفر ، وبذلك تحولت من طاقة إلى مادة مجسدة . الا انها لم تجد امامها جهاز الاستقبال الذى يعيدها إنسانا ســويا . ولا حتى مــادة حية . لقد اصبحت مزيجا من العناصر ، وربما كتلة من المركبات المعدنية والعضوية ، انضمت الى مجموعة الاقمار الدقيقة والتوابع الصغيرة الدائرة فى الحلقة الاولى من حلقات الحزام ، مكونة فيها تابعا جديدا . وهذا ما اكدته الاستكشافات والدراسات التى اجرتها هيئة خاصة الفت بغاية البحث عن مكونات جسد رامي . واذا كانت اعمال هذه الهيئة قد توصلت الى معرفة مصير ذلك الجسد فانها قد باءت بالفشل فى محاولة اعادة عناصره إلى مخابر دائرة الابحـــاث فى يابيتوس او على كـوكب الأرض .

وهنا ، فى ختام قصتنا هـــذه ، نورد ما اثبته التقرير النهائي لتلك الهيئة الخاصة ، الا وهو الاقتراح الذى تلقته تلك الهيئة من الباحثة سامارا ، المقيمة فى محطة دائرة الابحاث على التابع يا بيتوس طالبة رفعه الى مجلس التسميات الفلكية . فقد طلبت هذه الباحثة ، ولسبب لم يكن يعرفه الا قليلون ، ان يطلق على هذا التابع الجديد الذى تم تحديد صفاته المميزة اسم « زيلوس » ، وهى الكلمة التى يعادلها فى اللغة العربية لفظ « الغيرة » .

وهذه حكاية الكوكب زيلوس ، كوكب الغيرة الدائر فى فلك زحل وعلى هامش الحلقة الاولى من حلقات حزامه ، فى قلب المجموعة الشمسية التابعة للمجرة الكبرى فى كوننا المنظور .

د . عبد السلام العجيلى

نـــجـــمـــة

شعر : عـــلام عبـــد الله



● (تعاطفت معي اكثر من صمتي ...)

عندما تخضرُّ نفسي
أو تناجي الأرضَ ماءً من وريدْ
آهِ
لا مِنْ سامع ، عينٌ
ولا اذنٌ تحاورْ
أضربُ الصمتَ براسي
فأراه خشباً .. أو حائطاً
لا يستمعْ
فى انشغالِ الكدحِ والهمِّ المُراقْ
فى بساتينِ الليالي الغافياتْ
إنني ابحث عن ظلٍّ لصوتي
حيث لا مِنْ سامع ، عينٌ
ولا اذنٌ تحـــاورْ
أين انتِ .. ؟
أين انتِ .. ؟
أضربُ الراس براسي
رجةٌ تبحرُ من قلبى
وأخرى فى اللسانْ

رسَّبَتْ كلســـا ..
وسدَّتْ مخرجَ الصمتِ
وصمتي فى انحصارْ

اضربُ الكلسَ بصمتي
تستشفُّ الآهَ مني طفلةٌ
سنبلتْ جرحا خليجياً بقلبي
سنبلَتْني
انهكتْني السنبلهْ
اضربُ النفسَ براسي
لا أرى شـــيئاً

سوى ريش من البسمة
أو بؤرةِ رملٍ فى حجرْ
همسةِ نارٍ فى جسدْ

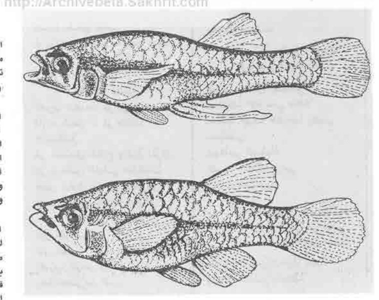
مثلما يحتضنُ الغيثُ نجيّهْ
ها أنا أحتضنُ الطفلةَ
من دونِ زَغَبْ

سمكة البعوض

والحشرة التي حيرت العلماء

بقلم: الدكتور خليل أبو الحب

لا يختلف اثنان فى ان البعوض من أهم الحشرات التى يعانى منها الانسان ويشارك الذباب «بشرف» كونهما عَدُوَّي الانسان رقم واحد من الحشرات الطبية ، فالبعوض يلسع ويمتص الدم ويترك اثراً بالغاً من جراء حقنه اللعاب فى الجرح ليمنع تخثر الدم. وتصل حساسية بعض الناس لهذا اللعاب من الشدة الى الحد الذى يحتاج فيه المرء الى التطبيب. والبعوض كثيراً ما نغص الحياة فى الريف والمصايف والمتنزهات بدورانه ولفه حول الرأس والوجه وتساقطه فى العين والاذن ، حتى فى حالة عدم اللسع والعض . وبالاضافة الى هذا وذاك ، والأهم من كليهما ، ان البعوض ينقل للانسان ـ وللحيوانات أيضاً ـ كثيراً من مسببات الأمراض مثل الرشحيات (ذات السحايا النزفية وحمى الضنك والحمى الصفراء) والأوالى (الملاريا) والديدان الخيطية (الفلاريا مسببة داء الفيل) وذلك بحكم طبيعته الطفيلية واعتماده على الدم فى التغذية وانتاج البيض .



رسم تخطيطى توضيحى لذكر وانثى سمكة البعوض التى تعيش فى المياه العذبة وتتغذى على يرقات البعوض

عانى الانسان من البعوض والأمراض التى ينقلها كثيراً منذ الأزل ولم يتمكن من مكافحتها الى الحد المرضي والجيد إلا بعد تصنيعه المبيدات العضوية الحديثة وعلى رأسها مادة الـ « د.د.ت » الشهيرة .

وقد تنفس العلماء الصعداء وظنوا انهم اخيراً وجدوا الدواء لهذه الحشرات اللعينة وما تسببه من مآس للانسان بنقلها الأمراض المختلفة . حتى لقد وصل بهم التفاؤل الى حد أن منظمة الصحة الدولية أصدرت قرار إبادة الملاريا عام ١٩٥٥ وراحت الدول الصغيرة والكبيرة ، المتقدمة والنامية تعمل على تطبيق القرار .

ولكن مع الأسف لم تطل الفرحة ، فقد أبت الطبيعة ان تنصاع بهذه السهولة للانسان وتراجع الانسان امامها فى قضية مكافحة الحشرات ـ وهنا البعوض ـ باستعمال المبيدات والاعتماد عليها كليا . فالحشرات لا تموت بالمبيد كما كانت لنشوء المقاومة لديها ، والمبيدات نفسها احدثت ضجة وصرخة عالية نظرا لما تسببه من

تلويث للبيئة وما قد يسببه هذا التلوث من اخطار ومشاكل للانسان . عندها اتجهت الانظار الى البديل او البدائل للمبيدات فى مكافحة البعوض . وكانت من هذه البدائل إعقام الذكور سواء بالاشعاع او المعقمات الكيمياوية وعن طريق الهندسة الصحية فى ترشيد وتنظيف وردم ومنع هدر المياه لكى لا تكون محلا صالحاً لتكاثر البعوض ،

وعن طريق تسخير الهندسة الوراثية فى المكافحة ولكن من أهم واحسن هذه البدائل هى اللجوء أكثر فاكثر الى المكافحة الحيوية وذلك بتسليط الطفيليات المرضة للبعوض او المفترسات للبعوض . المكافحة الحيوية ليست بالأمر الجديد فقد استعملها الانسان — وبنجاح — ضد الحشرات الزراعية ولكن استعمالها ضد الحشرات الطبية كان على حد اقل وقد ظهر أن استعمال الأسماك كان من انجع الطرق فى مكافحة البعوض حيويا واحسن الأسماك فى هذا المضمار هى سمكة جامبوسيا افينس Gambosia Affinis

سمكة جامبوسيا .. لأول مرة

بدأ الاهتمام باستعمال السمك للمكافحة بعد أن عرف العلم علاقة البعوض بالملاريا ولكن ظهور الـ «د.د.ت» والمبيدات المصنعة الأخرى قللت ، لفترة ، الاهتمام بالسمك ، والآن وبعد حديث التلوث على البيئة وخطر المبيدات على الانسان ، اخذ الاهتمام يتصاعد مجدداً . ففى سنة ١٩٦٨ ظهرت قائمة ببليوغرافيا لـ ٦٨٦ بحثاً عن استعمال الأسماك فى المكافحة ٤١٪ كانت عن سمكة الجامبوسيا افينس .

كانت هذه السمكة قد وصفت لأول مرة عام ١٨٥٤ . ومنذ اوائل هذا القرن صارت تنقل من محل لآخر لغرض المكافحة . فاول مرة نقل منها (١٥٠) فرداً من تكساس — الولايات المتحدة — الى جزر هاواى كان فى ١٩٠٥ ، وفى ١٩٠٧ اثبتت إنها كفؤة وفعالة . وفى ١٩١٣ وصلت الى الفيليبين ومنها الى بلدان الشرق الأقصى . وفى عام ١٩٢١ وبواسطة الصليب الاحمر دخلت اسبانيا ومنها الى إيطاليا ثم دول البلقان وروسيا . وفى بلادنا العربية فانها دخلت الجزائر ١٩٢٨ وبعدها وصلت مصر وقبرص وسوريا والسودان وفى العراق دخلت حوالى ١٩٤٥ . ثم إنها دخلت امريكا



وضع سمكة البعوضة (ذكر وانثى) اثناء التغذية على سطح الماء فى شراهة لا مثيل لها بين عالم الاسماك

اللاتينية عن طريق مؤسسة روكفلر . وبذلك تكون قد انتشرت من اصلها فى تكساس الى جميع انحاء العالم بفترة لا تتجاوز النصف قرن .

هذه السمكة

تعود السمكة الى عائلة Poecilliidae وهى اسماك تعيش فى العالم الجديد وقد جاء اسمها العلمى من اللغة الاسبانية يعنى «لا شىء» أى ان من يصطاد هذه السمكة فكانه صاد لا شىء .

رأسها مفلطح ، جسمها صغير وفمها ممتد الى الأمام . التباين الجنسى واضح ويظهر بعد فترة من الولادة . تصل الانثى الى حد ٦٠ مللم فى الطول وهى دائمة النمو ، ولكن الذكر لا يتعدى ٤٥ مللم ولا ينمو بعد بلوغه الرشد . الزعنفة الشرجية فى الأنثى صغيرة ومستديرة واشعتها (او عروقها) تتصل مع بعضها بغشاء والأشعة غير متحدة . أما فى الذكر فان هذه الزعنفة محورة الى عضو جماع .

توجد بقعة ارجوانية على جانب البطن فى الانثى . الزعانف عادة صغيرة والحراشف كبيرة بالنسبة لحجم السمكة .

كيف تحيا ؟

تعيش هذه السمكة فى المياه العذبة فى المناطق الدافئة من العالم ولكنها تقاوم البرد فى محلات استعمالها وادخالها ، تفضل المياه البطيئة الجريان والضحلة ولكن قد توجد فى انواع أخرى من المياه إلا إذا كانت ملوثة وحامضية . تعيش وتتغذى على انواع كثيرة من الحشرات والنباتات المائية مثل العوائم والقشريات والاشنات والديدان . تفضل التغذية فى أول وآخر النهار وتهدأ فى الليل والظهيرة . لا يبعد نظرها اكثر من (٤ — ٥) انجات ولكن حركة الفريسة تساعدها لذلك نشاهد إن يرقات البعوض تبقى هادئة عندما توجد افراد السمكة فى المنطقة ، غريزة نمت للدفاع عن النفس .

ماذا عن كفاءتها ؟

لقد اثبتت هذه السمكة جدارة وقدرة وكفاءة فى مكافحة الادوار المائية للبعوض للاسباب التالية :

● تبحث عن غذائها على سطح الماء ويساعدها بذلك راسها المفلطح وفمها الممتد وتصل الى محلات لا يمكن ان يصلها السمك الكبير الحجم وتلائم يرقات البعوض .

● تتكاثر بكثرة وبسرعة . فهى تلد ولادة ولا تضع البيض وبذلك خلصت من الخسائر التى يسببها وضع وفقس ومعيشة البيض . قد لا تحتاج الأنثى الى التزاوج المتكرر ، مدة الحمل (٢٣ — ٢٤) يوماً ، تلد الانثى على فترات ، فى كل مرة تلد (٤٠ — ١٠٠) فرد وقد تلد (٣ — ٤) مرات بحياتها . الأنثى تعيش أطول من الذكر لمدة (٤ — ٥) سنوات .

● تعيش وتنتعش فى وتحت ظروف مختلفة جداً وأحيانا تقاوم الصعوبات ، فانها توجد فى الآبار ومياه النزيز وتجمعات المياه الآسنة وفى البرك والأحواض .

● سهلة النقل والتربية والادارة والتداول ، لذلك امكن نقلها من محلات بعيدة وبوسائط مختلفة على الحيوانات او الطائرات ، وفى الاحواض والاكياس .

● شرهة التغذية ، ففى ساعة واحدة اكلت سمكة واحدة ٢٢٥ يرقة وخادرة بعوض ويصل إستهلاكها الآلاف .

لكل هذه الاسباب نجد ان هذه السمكة تجد إقبالا واسعا فى استعمالها بمكافحة البعوض الناقل للملاريا وللحمى الصفراء وتهتم بها الدول ومنظمة الصحة الدولية وتحاول تكثيرها جهد المستطاع .



من روائــــع
الفن العـــالــــمي



جان فيرمير (١٦٣٢ ـ ١٦٧٥)

بيـــن النســـيان وصمود العبقرية

بقلم : جمـــال قطـــب

فناننا اليوم هو (جان فيرمير) احد اقطاب المدرسة الهولندية التى ازدهرت إبداعاتها بصفة خاصة فى القرن السابع عشر ، وهو عصر تالقت فيه روائع الفن الهولندى فى اوروبا ، حتى انه يمثل فى التاريخ عصر نهضة حقيقية بعد ان سيطر عصر النهضة الايطالى فى القرن السادس عشر من قبل .

ويعتبر فيرمير من اقل الفنانين العالميين حظا ، واكثرهم معاناة من الجحود وعدم التقدير والانطواء الذى فرضه عليه معاصروه .. حتى انه مات وهو فى ريعان شبابه فى الثالثة والاربعين تاركا زوجته واطفاله الثمانية وهم فى اشد حالات العوز والفاقة .. بل كانوا مطالبين كذلك بتسديد ديونه المتراكمة ! مما اضطر الارملة المسكينة الى ان تسدد الديون بعشرات من لوحاته ، فحملتها لكى توزعها على الخباز والبقال والقصاب وكثير من المتاجر .. !

وحتى بعد وفاته ، فقد أسدل عليه ستار النسيان نحو مائتى عام ، ثم بدأ العالم يعترف بعبقريته وكان ذلك بفضل الفنان البريطانى الشهير (السير رينولدز) اول رئيس للأكاديمية البريطانية ، عندما زار هولندا فى أواسط القرن الثامن عشر ، فاتيحت له فرصة مشاهدة أعمال فيرمير ودراستها بامعان .. ثم اعلن على الملا ان فيرمير يعتبر احد عباقرة الفن فى التاريخ .

ولم يترك الفنان فى حياته القصيرة إلا نحو اربعين لوحة .. وهو عدد قليل ـ نسبيا ـ يتهافت عليها جامعوا الصور واصحاب المتاحف .. وقد بلغت اثمان لوحاته حاليا ارقاما مثيرة .. تعد بالملايين !

بل إن لوحة واحدة من اعماله تمثل اليوم ثروة طائلة لمن يمتلكها .. ولكننا إذا رجعنا عبر التاريخ لثلاثة قرون خلت رأينا انه فى عام ١٦٦٣ يقول (دى مونكنيز) ـ وهو من كبار النبلاء حينذاك ـ : «قابلت فيرمير فى بلدته (دلفت) ، ورأيت لوحة له فى منزل احد الخبازين اشتراها بمبلغ ستمائة فلورن ، وفى نظرى ان ستة بستولات كثيرة عليها» ! والبستول عملة اسبانية صغيرة لا تكاد تساوى شيئا . ومن العجيب ان هذه الصورة التى تحدث عنها مونكنيز وهى اللوحة الشهيرة (خادمة تصب اللبن) ..

هى نفسها التى حظيت باعجاب فنان بريطانيا الكبير (رينولدز) وقال عنها : «إنها احسن ما رأيت من اعمال فيرمير الرائعة» !

ومن عجائب القدر كذلك ، انه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، تحدثت صحافة العالم عن فضيحة كبرى : فقد قام فنان هولندى يدعى (فان ميجرن) بتقليد اعمال فيرمير ، وظل يقوم بهذه العملية ما بين عامى ١٩٣٥ و ١٩٤٥ .. واستطاع ان يقلد ست لوحات اكسبها طابع القدم بطريقة فنية خاصة ثم باعها بنصف مليون جنيه حينذاك ، على انها مقتنيات أثرية من اعمال فيرمير ، وقد باع اللوحة السادسة لأحد قواد النازية هو (الماريشال جورنج) . وكان يمكن ان يظل (ميجرن) مستمرا فى تقليده وحصوله على الملايين ، لولا انكسار النازية فى الحرب وحصر ممتلكات قادتها .. فقد وجدت اللوحة ضمن مقتنيات جورنج ، وقبض على (ميجرن) بتهمة التضامن مع العدو وبيعه احدى لوحات فيرمير للقائد النازى !! .. واسقط فى يد الرجل .. ولم يجد بدا من ان يعترف بالتزوير .. وفضل هذه التهمة على ان يعتبر خائنا لبلده ! وهكذا كشف نفسه ، وما كانت هذه الواقعة لتعرف فى العالم لولا ان اعترف (ميجرن) بنفسه ، فقد بلغ من دقة التقليد ان صنع الوانه من المواد الخام التى كان فيرمير يصنع الوانه منها

بنفسه ، كما كان يرسم لوحاته على قماش بالغ القدم يحصل عليه من مخلفات أثرية بطريقته الخاصة ! .

وهكذا كان فيرمير .. عاش مهضوما ومات بائسا .. وهو الموهبة الفذة التى لم يعترف بها العالم إلا بعد رحيله بقرنين من الزمان .. وأثرى الآخرون والمزورون من الاتجار باسمه ولوحاته !

ولكنه ترك لنا فنا خالدا وتراثا عبقريا نعتبره الآن من أبرز المنارات فى مسيرة الفكر الانسانى على مر القرون !

جمال قطب



وجه .. للفنان الهولندى - جان فيرمير -



« الدوران .. اللف » .. إحدى اللوحات التى حاول الفنان ان يبرز فكرتها عن طريق اسلوب الفن الدائرى



الفنان الكويتي خليفة القطان .. خاطب عقل المشاهد من خلال موضوعات وافكار جذابة

خليفة القطان

فنان كويتي يقتحم عقل المشاهد بالأفكار!

بقلم : يوسف أحمد

لا يذكر الفن التشكيلى فى الخليج العربى ، إلا ويذكر الفنان الكويتى خليفة القطان صاحب مدرسة (السر كلزم) او الفن الدائرى فى التصوير الحديث .. فهذا الفنان الذى ولد فى عام ١٩٣٤ ، بدأ يمارس الفن منذ ثلاثين عاماً مضت ، استطاع اثناءها ان يعبر عن فنه بصدق ويقدم معاناته المليئة بالرؤى والافكار المتعددة التى تدل على جدية الفنان واصالته وموهبته المتميزة التى جعلت الكثير من النقاد يتحدثون عنه من خلال اراء مختلفة وإن كانت فى مجموعها تؤكد عبقرية ريشته فى لوحاته الذكية الموحية وانسجام الالوان والظلال مع وحدة الموضوع فى كل عمل فنى قدمه لنا !

والواقع ان الفنان خليفة القطان هو احد الفنانين التشكيليين الذين شغلتهم قضايا الحياة فاقتحموا عقل المشاهد من خلال موضوعات وافكار جذابة ، تثير فى النفوس خاصية الاستمتاع والتامل ورقة الأحاسيس ، فى اطار يتعدى الحدود التقليدية للوحة مع الغوص إلى اغوار النفس الانسانية بما تنطوى عليه من مركبات وخصائص نادرة وقيمة فى وقت واحد !

وأعمال الفنان خليفة القطان تتميز ـ ايضا ـ بدرجات الالوان الحارة والباردة ، فهو يستخدم التناقضات اللونية فى بناء العمل الفنى وتحديد شخصيات اللوحة بتعابير معينة تخدم الفكرة الأساسية التى يسعى إلى ابرازها ، ولهذا راينا فى لوحاته الوجوه الزرقاء والصفراء والخضراء وهى تختلط تارة باشكال « التفاحة » او « البيضة » لتترجم ما يدور من افكار ومعاناة فى أعماق نفسه !

ويلخص الفنان فكرته عن المدرسة التى يقدمها وهى مدرسة « السركلزم » او الفن الدائرى بقوله : « كلمة واحدة هى التطور تعطى المعنى العام لطريقة السركلزم ، فالسركلزم دراسة بواسطة الفن عن طريق الخطوط المنحنية والالوان ، إذ ان الفنان يحاول أن يعبر بها عن القصة الكاملة للموضوع المقصود .. فكل شىء من حي او جماد على الارض او بداخلها فى البحر او فى الجو بل وجميع ما فى الكون من مرئى وغير مرئى يخضع لقانون واحد ثابت هو التحرك الدائرى المستمر » ..

ويرى الفنان ان لطريقة الفن الدائرى قواعد محددة ثابتة يستطيع بواسطتها الفنان التوصل إلى نتيجة طيبة ، وهذه القواعد هى الخطوط ، وتكون على منحنيات أو على اشكال دائرية ، وهى القاعدة الأساسية للتعبير عن التطور وعن الحياة ، فمثلا إذا بدانا السير من نقطة معلومة ، وواصلنا السير قدما لانتهينا إلى النقطة التى بدانا منها ، وهذا لا يعنى ان



الموج .. النار .. العواصف



الرحمة .. الانقاذ من الوحل



الثمرة الخيرة

السير قد انتهى بل سيستمر على هذا المنوال إلى مالا نهاية ويعنى ايضا ان التطور الدائم موجود فى هذا الكون ، وان الغرائز مثلا لا تنتهى بانتهاء الافراد ، فهى مستمرة ، لأنها تولد مع الفرد ، وهى تدور وجوداً وعدماً مع البشرية !

ويحدد الفنان خليفة القطان فكرة اللون بان لكل لون مدلوله الذى يرمز إليه ، وبواسطة هذه الالوان يمكن التعبير عن الغرائز والانفعالات ، فمثلا اللون الأسود يرمز إلى الغموض والموت ، واللون الأبيض هو العفة والصفاء ، واللون الأحمر هو الحب والخطر ، واللون الأزرق يعنى الطمأنينة والبرودة ، واللون الأخضر هو الشـباب والحسد ، وبينما نرى فى اللون الأصفر الرفاهية والحقد ، فان اللون البنفسجى هو الحظ والقوة الخ !

ويرى ان الطبائع والعادات والافكار والأحاسيس وغيرها موجودة فى جميع المخلوقات لا يمكن رؤيتها ، ولكن بواسطة السركلزم يمكننا رؤيتها ، وذلك عن طريق الخط واللون والأرضية !

ويعتبر الفنان خليفة القطان صاحب أول معرض شخصى فى الكويت ، أقامه عام ١٩٥٣ بالمدرسة المباركية بعد ان وجد نفسه متجها الى الفن منذ نشأته وقد اتيحت له فرصة لدراسة فن النجارة فى بريطانيـا ليعود ثانية إلى الكويت عام ١٩٥٨ لياخذ مكانه فى هيئة التدريس بالكلية الصناعية وانتقل بعد ذلك إلى وزارة الاعلام ليشتغل مشرفا بالقسم الهندسي ، وقد ظل فى هذه الوظيفة حتى منح حق التفرغ ، واصبح ثانى فنان كويتى يعطى هذا الحق بعد الفنان عيسى صقر !

ويعتبر خليفة القطان صاحب اكبر رصيد بالمشاركة فى المعارض سواء على المستوى الشخصى او المستوى الجماعى ، فقد اقام اكثر من اربعين معرضا شخصيا فى الكويت والبلاد العربية والاجنبيـة ومنها ايطاليا ، امريكا ، لندن ، باريس ، المانيا الشرقية ، وغيرها من عواصم العالم .. وكذلك اشترك فى اكثر من ثمانين معرضاً مشتركا مع فنانين كويتين واخرين !

لقد زار الفنان خليفة القطان دولة قطر مرتين الأولى عام ١٩٧٦ لحضور حفل افتتاح المعرض الثالث للفنانين التشكيلين القطريين ووقتها ابدى اعجابه بالمستوى الذى وصل اليه الفن التشكيلى القطرى .. أما الزيارة الثانية فكانت عام ١٩٧٧ حينما اقام معرضا خاصا لاعماله التى تميزت بالاصالة والابداع ..

وباختصار فان خليفة القطان فنان له ريشة يجسد لنا من خلالها حرفية متطورة فى سبيل التعامل مع الحدث والزمن واللون .. وهو صريح حتى العمق .. وموجع حتى العظم .. وصادق كل الصدق !

يوسف أحمد

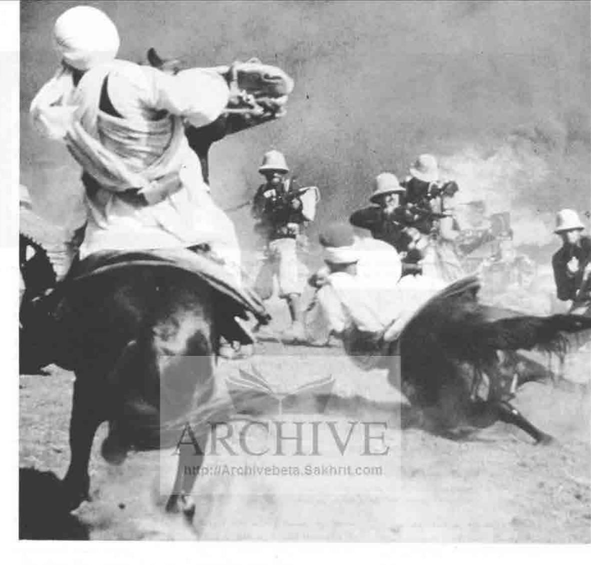
مشهد رائع من فيلم « عمر المختار » يمثل المواجهة بين الجيش الايطالي المزود بكامل العتاد الحربي ، وبين اتباع القائد الليبي من رجال الصحراء الذين رفضوا الخضوع او الاستسلام ثم المخرج السوري العالمي مصطفى العقاد ،

حوار مع
مصطفى العقاد

أجراه :
جميل العابد



الطائر العائد من خلف المحيط!



« ... أعود الى الوطن بين الحين والآخر ، لمجرد الاحساس بالأصول التى تربطني به ، ولكى أتنفس هواء فيه بلسم لصدورنا التى هجرها الدفء » .

« ... تمر السنون ونحن غرباء . يغالبنا الحنين الى التراب .. الى الشمس التى لفحت وجوهنا ونحن صغار .. الى الأم التى رضعنا فى لبنها الحب الذى لم ننسه » .

« ... أعود لكى أغرف من ينابيع أرضنا .. لأسمع لغتى ، ولأزود روحى بشحنات قومية وعاطفية تساعدني على المضي فى الدرب الشاق » .

أصغيت للطائر العائد من خلف المحيط . ورأيته ، من خلال كلماته ، وهو يحط على غصنه المحبب .. يختال تيها بعليائه وبالأفق الواسع أمامه .

تابع كلامه يقول لي :

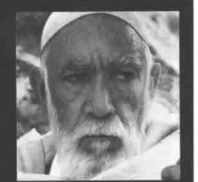
« اننا أصحاب حضارة . العالم يعرف ذلك . والحضارات وان اندثرت أعمدتها ، فان حكمتها تبقى كنزا انسانيا لكل بنى البشر . هل تعلم اننا ساهمنا بالهبوط على سطح القمر .. وان نظريات العرب فى علوم الفلك والكيمياء والرياضيات مازالت شاهدا على أقدم المنارات التى أضاءت ظلام عهود مضت ؟ » .

وأردت ان أبدي رأيا حول هذه النقطة ، لكنه استطرد : « المنطق يحتم علينا ان نستلهم من شخصيتنا الحضارية طريق المستقبل . والمنطق يحتم علينا ان ننهض بأعباء التحدي الكبير الذى يواجه أمتنا ، فنحارب على الجبهات فى الداخل والخارج » .

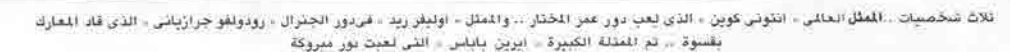
هنا عرفت اني امام تجربة ، واني اواجه بذرة طيبة من هذه الأمة .

بدأت كلماته تتراءى لي ، بالاضافة لمعانيها ، صوراً تتابع بسرعة ، وتختلف ألوانها باختلاف المشوار العربى والتاريخ العربى الذى وعاه ويتصدى الآن لاظهاره كما يحق له أن يكون .

إنه مصطفى العقاد . المخرج السينمائى العربى الذى قدم للعالم حديثا ، من بين ما قدم ، فيلمى « الرسالة » و « عمر المختار » . فعل ذلك بعد ان أينعت خبرته ، وبوحي من تمسكه واعتزازه بالقيم







ثلاث شخصيات .. الممثل العالمي « انتوني كوين » الذي لعب دور عمر المختار .. والممثل « اوليفر ريد » في دور الجنرال « رودولفو جرازياني » الذي قاد المعارك بقسوة .. ثم الممثلة الكبيرة « ايرين باباس » التي لعبت دور مبروكة

والمعاني التي حملها في ثنايا ملابسه وخلايا روحه وهو يقلع من مطار دمشق ، في سن التاسعة عشر ، الى العالم الجديد

وقد عرفت الرجل في فيلم « عمر المختار» الذي عرض هنا في الدوحة قبل سنتين تقريبا . وكنت قرات في الصحف والمجلات المحلية والأجنبية ، في اواسط العقد الماضي ، خبرا اثار في نفسي مزيجا من الأمل والقوة ، مفاده ان مخرجا عربيا اسمه مصطفى العقاد قد حط الرحال في الصحراء الليبية على راس جيش عرمرم من المع النجوم في العالم ، وفي مقدمتهم الممثل الاسطورة « انطوني كوين » ، وانه ، حينذاك ، يوجه تلك الجحافل الفذة لتصور سيرة ذلك البطل الخالد .

لم يدهشني ، في ذلك الوقت ، ان مشروعه رصدت له عشرات الملايين من الدولارات ، بقدر ما أدهشني وهزني كون ذلك العمل سيخرج من قلب الصحراء العربية حقيقة ناصعة البياض .

هل تعلمون لماذا « انطوني كوين » ، ونجوم هوليود ، واللغة الانكليزية ، في عرض قصة ذاك البطل ؟

الجواب بسيط :

استخدم العقاد تلك الوسائل والطاقات لكي يتمكن ببراعة مذهلة وقدرة واعية من التسلق فوق الاسوار المنيعة عبر البحر الابيض وعباب الاطلنطي ، وكسر العوائق والحواجز الطبيعية القائمة ، ثم اقتحام بلاط القيصر والدخول اليه والجلوس على مائدته ، ومخاطبته بلسان يفهمه هو وحاشيته .

ولأن القيصر وحاشيته يفقهون الفلسفة والبلاغة وعلوم المنطق ، فقد بدا العقاد جهاده وهو واثق من احراز النصر في النهاية !؟

دخل كل بيت ، وتحدث مع المجتمعات

يعد فشل اكثر من محاولة للقضاء على عمر المختار ، استدعى موسوليني اكثر قواده العسكريين شراسة لسحق اسد الصحراء باى ثمن !

الغربية فردا فردا . حدثهم عن عمر المختار ، وقبله عن الرسالة المحمدية ، ولم يغب عن ذهنه ان يوحي لهم جميعا بأن هناك حقائق عديدة اخرى .

الحضارة الاسلامية

كان كل ذلك في ذهني وانا احاور الفنان العربي مصطفى العقاد .

● سالته ، بداية ان يحدثنا عن الأهداف التي حققها من زيارته لدولة قطر .

أجاب :

ـ « لقد تشاورت وتبادلت الراي مع سعادة وزير الأعلام الاستاذ عيسى غانم الكواري حول مشاريع اعلامية على المستوى العالمي ، ولها علاقة بالوطن العربي . إن الاخ عيسى من المشجعين والمتفهمين للاعلام الخارجي » .

● هل هناك مشروع معين قيد البحث ؟

ـ « نعم . فيلم عن الأندلس والحضارة الاسلامية هناك ، بالاضافة لمسلسلات تليفزيزنية عربية ذات اهمية على مستوى عالمي » .

● إذن ، هناك توجه عام لتعريف الغرب بالثقافة والتاريخ العربي ؟

ـ « انني لا أهتم بالاعلام السياسي . ما اهتم به هو البعد الحضاري للاعلام ..

اعلام يشمل كل الأمة العربية كوحدة . لقد شرحنا الرسالة وما هي الرسالة . شرحنا افكارا عن الجهاد وعن المقاومة . أريد ان اقول للغرب اننا لسنا كما يتصورون امة ترعى الجمال وتسكن الخيام وتفترش الصحراء . لقد كان لنا في الأندلس حضارة .. لذلك ساحاول ان أقدم فيلما ذا خلفية حضارية ، ويشمل فترة عبد الرحمن الناصر التي تعتبر الفترة الذهبية لحضارتنا وأوج ازدهارنا . هناك ايضا فكرة « الفتح » . وطبعا ليس بامكاننا طرحها للعالم ، لان

بانجازاتك ، والامة العربية تعتز بك وبامثالك . ونحن نتساءل .. هل مصطفى العقاد هو مخرج فقط ؟

ـ « نحن كلنا ابنـــاء هذه الامـــــة . وإذا كان لي اى نجاح فى الغرب بعد تغربي ، فهو يرجع الى البيئة والتربية .. فى العائلة .. الى الوطن » .

« يسافر البعض الى الخارج سنة او سنتين ، ثم يعود،وهو ينطق بلكنة غريبة ، (يلوى حنكه) وينسى لغته . معنى ذلك ان تاثير بيئته عليه كان ضعيفا . إن تاثير البيت والمدرسة والامة ، عندما يكون بالدرجة الكافية فانه يستقر فى دورة الانسان الدموية ، ولا يفارقه اينما كان » .



حشود من الجيش الايطالى تحاصر رجلا واحدا طالما قاومها ببسالة .. عمر المختار فى الاسر بعد ان وقع من فوق جـــواده !



ضراوة المعارك الحربية ، والقوة الهائلة التى جندها موسوليني ، امام مجاهـــدين كان ســـلاحهم الاكبر هو الايمـــان

الفتح يعتبر بنظرهم استعمارا . من اجل هذا ، سوف نبحث امكانية عمل افلام عن طارق بن زياد وعبد الرحمن الداخـــــل لجمهورنا العربي فقط » .

« ان الفترة الأخيرة ، وهي سقوط الاندلس ، تشكل أهم الفترات التى يجب أن نتعلم منها . إنها تصور كيف كان العرب متفرقون ، مما أتاح الفرصة لايزابيلا وفرناند للاستيلاء على غرناطة ، وكيف بكى عبد الله الاحمر الصغير عندما سلم المفاتيح .

هذا الفيلم ايضا لا يمكن عمله عالميا . إنه للعالم العربي » .

« يهمنا أن يكون فى السينما حقائق ، تهز المواطن العربى .. لا ان نتركه يعيش على امجاده الماضية ويخرج من مشاهدة الفيلم (مبسوط) وهو يقول « الحمد لله ، نحن كنا » . نريده ان يهتز ويشعر بالخطر ، لعله يفعل شيئا » .

« اعلامنا يجب أن يتوجه الى العالم العربي قبل الغرب . يجب أن نعرف أنفسنا قبل أن يعرف عنا الغرب . لكن الوسائل تختلف . هناك خطة للتوجه الى جمهورنا . وهناك خطة اخرى للتوجه بها صوب الغرب » .

● كيف تفسر هذه الرؤية الصافية فى افلامك .. هل كان التـــاريخ من ضمن اختصاصكم ؟

ـ « إن معرفتي بالتاريخ ليست معرفة عميقة . احب قراءة التاريخ ، لكن قراءاتي عادية .. لا اختلف فى ذلك عن أى شخص آخر . فى حال التعرض لنقاط تاريخية فى افلامي ، فان هناك دائما مؤرخين ، يقدمون للشورة وصقل الرؤية ، ويفحصـــــون السيناريو الموضوع من قبل كتاب اجانب لاعطائه الروح القومية . لذلك فانني لست ضليعا بالتاريخ.

● لاشك ان المواطن العربى يفخـــــر

الجذور العربية

اسمحوا لي هنا ان اقطع عليكم حديث العقاد ، واستاذنكم بمنحه اعترافا يضيف (نيشانا) براقا على بزته الفنية التى بدات تزدان بالاوسمة نتيجة لوفائه وجدارته . ان موقفه من تراثه يلوح ، ايضا فى نبرته العربية (الحلبية) الصافيـــة التى حافظ عليها على مدى اكثر من ثلاثين عاما ، وبلا ريب حافظت عليه .. وعلى مصداقيته حين يتحدث عن ضرورة التشبث بالاصول ، ويدعونا لكى ناخذ من الإناء الذى يضم ويصون عراقتنا .

ـ « بالنسبة لنا » ، يتابع المخرج ، « لدينا مشاعر اكبر من الكلمات واعمق من الشكوى ، لاننا ، نحن الذين نعيش فى المهجر ، لا نملك المتنفس القومي والعاطفي. انتم هنا تستمتعون بصوت الآذان ، بسماع خطبة شعرية ، او تصريح سياسي ، فترتاحون . الحمد لله انتم (عاطفيا) بخير . اما هنالك ، حيث نرى العوامل المضادة من مصادرها الاجنبية السامة ، فان اعصابنا تبقى دائما مهتزة ومكبوتة . لدينا كبت قومي عاطفي . ان الدم العربى يجرى فى عروقنا ، والجنسية الامريكية هى مجرد جنسية عملية .. لكن الدم عربي ، والشعور عربي ، والاحساس عربي . ومهما يكن،فاننا نؤدى واجبا فى سبيل امتنــا وانفسنا . وكما قلت لك ، نحن بحاجة لان نتنفس قوميا لكى نرتاح » .

● وكيف تلائم بين ارتباطك الشديد بجذورك العربية وبين العالم الجديد الذى تعيش فيه ، فى الولايات المتحدة الامريكية. وهل تفكر باقامة مؤسسة سينما عربيـــة (جديدة) على المدى البعيد ؟

ـ « ان امريكا هى تجمع اقتصادى

دستوري يضم جميع الاجناس .. افق عالمي واسع ومجالات واسعة لأصحاب الطموح العلمي . وقد حصل انى تمكنت من الانطلاق فى مجالي هناك . لكني لم احاول هجر عاداتي ، واطباق طعامي ، والموسيقى التي اعتدت سماعها . لذلك تجدنا نصارع حنيننا دائما للعودة » .

« الا ان خلق مؤسسات (سينمائية) هو عمل الحكومة . وانا لا املك المقدرة ولا الامكانيات لكي اعمل مؤسسة من هذا النوع . وبعد ان انطلقت عالميا ، فانى اريد ان اتابع . ومع ذلك ، اشترط فى عقدى مع الفنان العالمي أن يكون معه ممثل عربي واحد أو أكثر ، للتدريب وخلق نواة . وقد فعلت ذلك فى كل أفلامي » .

● وكيف كانت انطلاقتك إلى العالمية ؟

ـ « المهم هو التخلص من مركب النقص وهذا المركب يصيبنا عندما نسافر الى الخارج نفكر ان الأجنبى هو الأقوى والاحسن دائما ! ! » .

« على طاولة الدراسة ، فى جامعة كاليفورنيا بلوس انجلوس ، وبين طلاب من جنسيات مختلفة ، كانت ثقتي بنفسي تنمو وأنا المس تفوقي عليهم . الشرارة يجب ان تكون من الداخل . وعندما يختبر الانسان نفسه مع زملاء من جميع أنحاء العالم ، وفى جو من التنافس ، يجد ان قصوره وهم وعجزه خرافة . وهكذا تكونت لدى الثقة بالنفس ، فانطلقت ، بعد تخرجى من الجامعة ، متعطشا للعمل » .

« كنت احمل شهادة ماجستير فى الاخراج ، وكان عنوان اطروحتي "الحيل السينمائية فى التصوير الخلفي" . وكان من الصعب على أى متخرج جديد ان يلقى قبولا سهلا فى الاستوديوهات ، لانها مغلقة ولا تفتح لأى كان » .

● وكيف فتحتها ؟

ـ « بتعرفي على المخرج الامريكى سام بيكنباه الذى عمل فيلم «الزمرة المتوحشة» الشهير . وكان ذلك المخرج ، انذاك ، ينوى عمل فيلم عن ثورة الجزائر ، واختارني لمساعدته » .

« أثناء التحضير لذلك الفيلم ، الذى لم ينجز ، نالت الجزائر استقلالها ، وكان التعارف الجيد بيني وسام قد تم » .

« بعد ذلك ، قرر أن اكون مرافقه ومساعده فى فيلم Rise up the high country . وكان معنا فى ذلك الفيلم نجما الكاوبوى المعروفان جون ماكراى وراندولف سكوت ، ساعدته فى كل جوانب الفيلم بما فى ذلك كتابة السيناريو . وتولدت لدى خبرة عملية اضيفت الى الخلفية النظرية الصحيحة ، بل كنت امتاز عن « سام » بهذه الناحية ، لانه كان يملك الخبرة العملية فقط .

« .. من هناك انطلقت الى التليفزيون والافلام الوثائقية . واشتغلت مدة عشر سنوات قبل أن أبدأ العمل بفيلم «الرسالة» الذى جاء وليدا للقلق اليومي الذى عانيته : كنت ارى أولادى يكبرون فى مجتمع غربي فى مجتمع يصعب علينا فيه ان ننقلهم بينهم وحضارتهم ولغتهم . لم اكن وحدى فى تلك المعاناة .. ان تلك مشكلة الجاليات العربية الكبيرة جدا ، والمزروعة فى انحاء شتى من الولايات المتحدة الامريكية . نحن نخشى على أولادنا من الضياع ، ومن فقدان ذلك التعلق الابدي بالوطن .. فهم عرضة للتاثر بالعوامل الخارجية فى الشارع والمدرسة ، ومن خلال شاشة التلفزيون . هذا هو الخوف الاكبر » .

« بدأ أولادى يوجهون اليّ أسئلة دينية وقومية ، وجدت نفسي عاجزا عن الاجابة عليها ، لاني لم أكن املك الوسائل السمعية البصرية المتوفرة عادة لدى الجاليات من اديان اخرى . لذلك اردت من خلال فيلم « الرسالة » ان اشرح لأولادى وأولاد غيرى من ابناء الجالية .. اردت ان اقول للاطفال .. ما هو الاسلام ، ولم يكن قصدي مخاطبة رجال الدين والفقه » .

● ومن يساعدك فى توضيح الاحداث التاريخية فى افلامك ؟

ـ « المختصون فى مجالاتهم ، فى « الرسالة » ، اخترنا مجموعة من كبار المفكرين للمساهمة فى العمل . وفى فيلم « عمر المختار » ، اعتمدنا على مختصين في التاريخ الليبي امثال علي التليسي وخليفة التليسي . وفى فيلم « الاندلس » ، سيكون هناك المؤرخ المختص ايضا » .

● هل كنت خائفا من الفشل وانت تخرج أول عمل عالمي لك ؟

ـ « كان هناك خوف من عدم الوصول الى المستوى المرموق . وبدون الخوف ، لن يجيد الانسان ولن يبدع . انني اخاف فى كل عمل مهما كان سهلا ، ولا يلاحظ ذلك احد ممن يعملون معي ، إذ املك مقدرة عدم اظهار هذا الخوف . يظن الناس ان اعصابي حديدية ، بينما اعصابي تتآكل من الداخل . وكل الخطر ، أن يظهر المخرج خوفه أو نرفزته ، فذلك ينعكس على من حوله ، ويشل العمل . لكن الخوف موجود دائما » .

« من ناحية اخرى ، انا لا احب الجلوس أو العمل مع متشائم ، كما لا احب التكلم عن الماضي الذى ذهب ، واحرص على ان لا اضيع دقيقة واحدة بالتفكير فيه . المخرج هو قائد ، وطبيب نفساني . هو الأب الذى عليه ان لا يهتز او يضطرب ، والا اشلت العملية كلها . واعتقد ان رباطة الجاش هي عامل لازم للنجاح . وفي تفكيري الدائم بالمستقبل ، تراني لا انطلق إلا من زوايا ايجابية نحو العمل » .

● ما هو الالهام الذي يدفعك لبذل الجهد ؟

ـ « اليس إلهام الانسان هو حلمه الذي يسعى لتحقيقه ؟ هناك ما اعتبرته حلما ووصلت اليه . لم اتوقف عن الحلم ... وكلما حققت واحدا ، اخلق لنفسي حلما اخر أسعى اليه . إن حلمي هو كل الخطوات التي قطعتها : من التفكير بدراسة الاخراج .. الى هوليوود .. الى العالمية . كل تلك الاحلام كانت تتوالى ، كنت دائما اضع هدفا أمامي .. والاهداف الصعبة هي ذاتها الأحلام التي بدونها تصبح الحياة بدون محتوى .. تصبح فارغة » .





اسد الصحراء الليبي عمر المختار فى لقطة وثائقية .. ثم انتوني كوين الذى اعجب به ومثل دوره



عدو عمر المختار اللدود فى لحظة من نشوة الانتصار على انقاض قرية الكفرة واهلها الذين تم افناؤهم بطريقة وحشية ! !

هبوط السينما العربية

● هل ترى فى العالم العربى اتجاها نحو سينما مرموقة .. ما هى سماته ، وإلا بماذا تنصح لتحقيق هذا الهدف ، وكيف تحدد المشكلة الجوهرية التى تعاني منها صناعة الفيلم العربي ؟

– « بامكانك القول : يجب ان نرى السينما العربية محترمة . اما أن تصبح السينما العربية عالمية ، فمستحيل . السينما الامريكية هى وحدها العالمية ، نجوما ولغة واسلوبا . انها طاغية فى كل شىء » .

« السينما الفرنسية والايطالية والانكليزية واليابانية ليست عالمية ، والسينما الهندية ، التى هى أضخم من الأمريكية ، مازالت محلية ، الا انها قوية ومحترمة .. عندهم مستويات عالية فى الاخراج والفن والتوزيع » .

« اننا نامل أن تصبح السينما العربية مرموقة .. لكن مشكلتها هى كونها مخنوقة اقتصاديا يجب اطلاق الحرية الاقتصادية للسينما ، ولابد من حرية التوزيع . إذ لا يمكن لمنتج ان يصرف على فيلم اكثر مما يمكنه أن يسترد من عائدات ذلك الفيلم . ومع الأسف ، كل الدول العربية اقامت مؤسسات حكومية تستغل التوزيع .. وأصبح المنتج ياخذ مبلغا مقطوعا . ومعنى ذلك انه لن يقدم مستوى ارفع لانه لن يملك ايراداً من وراء الفيلم . لذلك هبط المستوى . فى الماضى كانت الأفلام العربية اقوى بكثير لان المستثمر كان يربح ، كما ازداد عدد الذين وظفوا أموالهم فى السينما وبدأ الشباب يتخصصون فى هذا الفن » .

« أما الآن .. فقد تعثرت السينما العربية .. والناس يتذمرون من تدنى المستوى ..

« وهناك مشكلة كبيرة اخرى تعاني منها السينما العربية ، الا وهى عدم توفر كتابة السيناريو الجيد . عندنا ادباء وكتاب قصة لكن تحويل القصة الى سيناريو سينمائى ، عملية تحتاج لحرفية وتقنية لا يملكها كتابنا » .

● إذن ما هو هدف السينما ؟

– « التسلية » ..

« انت لا يمكنك تحديد الهدف . ان الهدف يحدده الجمهور الذى يدفع من جيبه لمشاهدة الفيلم ، والجمهور يفعل ذلك من أجل التسلية فقط . هل رايت احداً يدفع دراهم لسماع محاضرة ؟! لا اظن . والسينمائى الناجح هو الذى يولد الأثر المطلوب فى نفس المشاهد عن طريق التسلية والاثارة ، أى بشكل غير مباشر » .

« السينما الهادفة ، والسينما الثائرة ، كل هذه تسميات مخرجي مقاهى ! إذ عليك ان تتمكن من جعل الجمهور يتفاعل مع الشاشة . ما الفائدة من عمل تحفة سينمائية إذا لم يشاهدها الجمهور ويتفاعل معها ؟ هناك مخرجون يعملون افلاما بهدف نيل جوائز فى المهرجانات . وبعد ان تعرض هذه الافلام فى السينما للمواطن العادى ، لا ياتي لمشاهدتها احد ، فتسقط جماهيريا .

« السينما هى تسلية .. فن يجمع فنونا سبعة ، من تصوير وصوت وموسيقى وتمثيل واخراج ، وغير ذلك . انها مجموعة فنون فى فن واحد » .

شعرت وانا اغادر مجلسي مع العقاد ، باني اودع محاربا يتاهب للجولة التالية . ولانى اؤمن ايمانا شديداً بنبل مسعاه واهمية هدفه ، فقد اعتراني حزن ، لعلمي بانه لا يملك العدد المطلوب من الالوية وقادة الفصائل للانتشار فوق الهضاب ووراء السهول ، وبانه ، فوق ذلك ، يمتشق سلاحا (فرديا) يواجه به ابواق التحدى السافر وطبول الصلف الأعمى .

ابتعدت وانا افكر بالانجاز الكبير الذى حققه هذا الرجل عندما جعل ما يقارب مائة مليون اوربى وامريكى يشاهدون ويتاثرون بقصة البطل العربي عمر المختار .. واترقب بحماس بالغ وعده القادم عن « الاندلس » ثم « صلاح الدين الايوبي » .

جميل العابد



فتاة من قبائل « الجولجوس » امام بيت منسوج من شعر البقر الاسود !

تعتقد قبائل « اوكوس » الهندية ان هذا القناع يساعدها فى الحصول على محاصيل زراعية وفيرة !



مجتمعات تعيش في الماضي

بقلم : وليد عياد

مازالوا يرقصون بالثعابين .. ويرتدون الأقنعة !!

هذا العالم المليء بالمتناقضات ، مازال اناس فيه يعيشون حياة الماضى ، ومازالت قبائل عديدة فى ارجائه تمارس أغرب العادات والتقاليد . فبينما نرى فى بعض مدن اسبانيا من يستعملون «التنور» فى تجهيز طعامهم ، نجد ان قبائل «النباخو» الأمريكية يرقصون والثعابين السامة معلقة فى افواههم . ونجد بدو الصين يصرون على قطع خصلة شعر من ضيوفهم . وبعض القبائل الهندية ترتدى الأقنعة وتضيء الشموع فوق قمم الجبال الثلجية ، وهذا بخلاف زعيم احدى القبائل فى افريقيا الذى يستخدم مكبر الصوت كوسيلة لنقل الأخبار !

زعيم القبيلة يحمل مكبر الصوت كوسيلة لنقل الأخبار بدلا من قرع الطبول ، فهناك بعض المبتكرات التى لم ترحل مع رحيل الاستعمار

الاطباق الفضية على ظهر فستان الفتاة وهى فى كامل زينتهـــا !

ولعلنا سمعنا عن قبائل «الجولجوس» التى تعيش فى مناطق جبلية ترتفع حوالى اربعة الاف متر فوق سطح البحر ، ويبلغ تعدادهم حوالى مائة الف نسمة !

إن ابناء هذه القبائل يعرفون المعنى المباشر لتسميتهم بذلك الاسم (جولجوس) .. إنه يعنى الرؤوس المعكوسة ، وذلك لشدة عنادهم

وحتى عام ١٩٨٢ لم يجرؤ اى غريب او او سائح على الوصول إلى منطقتهم التى تقع فى اواسط الصين ، وذلك لكثرة الخرافات والأساطير التى حكيت حول بطشهم وشراستهم .

وفى الخمسينات من هذا القرن ارسل (ماوتسى تونغ) جيوشا جرارة (لتدجينهم) وبعد معارك ضارية وسقوط الاف القتلى من كلا الطرفين قررت حكومة (ماو) ان تمنحهم حكما ذاتيا خاصا وبالتالى الغت المشاريع التى كانت تنوى إقامتها هناك .

ومن غريب عاداتهم انهم إذا ارادوا ان يظهروا صداقتهم ومودتهم لزائر ما ، فان المضيف وبدون سابق انذار يستل سكينا حادة ويقطع خصلة من شعر الزائر ، ويقطع خصلة اخرى من شعره ، وثالثة يقصها من ذنب فرسه ، ويجدل الخصل الثلاث حتى تصبح مثل الكرة ليقدمها لناسك المعبد ، وبناء على ذلك إذا ما رايت حصان إحدى (الجلاجسه) قليل الشعر فى ذيله فذلك يعنى ان صاحب ذلك الحصان لديه اصدقاء كثيرون .



وتقطن قبائل (الجولجوس) فى غالبيتها بيوت الشعر المنسوجة من شعر بقر (القطاس) الأسود ، وبيوت الشعر تلك مثبتة فى الارض لدرجة انها تقف ثابتة امام رياح واعاصير تصل سرعتها الى ١٠٠ كيلو متر فى الساعة .

ومن عادات التزين والتجميل عند نسائهم هو تعليق عدد من الصحون الفضية على ظهورهن (يصل وزن هذه الصحون احيانا الى ٥ كيلو جرام) وكذلك يقمن بتجديل شعورهن الى (١٠٨) جدلات ، وهذا الرقم بالذات له اسباب ويعتبر سرا من اسرارهم !

النبع الصغير

وتزخر المدن الاسبانية بعادات ومعتقدات لا تمت الى واقعها الأوروبى الصناعى بصلة . ومن تلك المعتقدات حرق تماثيل مصنوعة من الخشب والكرتون فى الميادين العامة !

مجتمعات تعيش في الماضي

مازالوا يرقصون بالثعابين .. ويرتدون الأقنعة !!

بيت من الشعر فى اواسط الصين حيث يحرص سكان هذا البيت على اخذ خصلة من شعر الضيف الزائر!



مهرجان شعبى تستخدم فيه الألوان الزاهية والمساحيق وعقود الخرز والريش وايضا القبعات

وقد حاول الدارسون معرفة المبررات العقائدية التى تقف وراء تلك العادة ، ولكنهم لم يصلوا الى نتيجة معقولة . إلا أن البعض يعتقد انها عادة استشرت فى دمائهم قبل الفتوح العربية وانقطعت إبان الحكم العربى وعادت الى الظهور ثانية بعد خروج العرب من الاندلس عام ١٤٩٢ ميلادى !

ويعتقد اخرون انها مظهر من مظاهر القوة والحكمة التى نقلوها عن طارق بن زياد عندما حرق اسطوله على شواطىء الجبل المعروف باسمه ..

ومن عاداتهم ايضا تبادل الخبز والملح مع الجار الجديد الذى سكن فى حارتهم !

وفى العديد من القرى الاسبانية مازال الاهالى يستعملون (التنور) فى تجهيز طعامهم ، حيث يضعون الطعام (مكشوفا) فى طرف التنور وفى الطرف الآخر يشعلون النار فى الحطب ، ولكل نوع من الماكولات له نوعية معينة من الحطب والاعشاب البرية ، فقطعة حطب من شجر البلوط مع قليل من اعشاب (كف مريم)ليستعملونهافى شواء لحم الضان ، وحطب شجر اللوز لشواء لحم الارانب .. وهكذا .. وذلك كي تمتص الأطعمة الرائحة الزكية لمختلف الاعشاب البرية .

ومن العادات التى تثبت وفاء جزء كبير من اهالى (طليطلة) لاسلافهم الاندلسيين وهم بقايا العرب المسلمين الذين يطلق عليهم (AL MOZARABES) هو أن نساءهم يلبسن الشال الكبير الذى يساعدهن على إخفاء وجوههن فى حالة مرورهن بالقرب من إنسان غريب عن منطقتهن .

ومن المعتقدات التى يتناقلونها ابا عن جد هى قصة نبع صغير يسمى (تنهدة العربى) . يقع هذا النبع على تلة قبالة مدينة غرناطة الشهيرة ، حيث انه وفى نقطة معينة وعندما هبط (عبد الله الصغير) تلك التلة فى طريقه الى منفاه الأبدى واختفت عن ناظريه معالم غرناطة الرائعة سقطت من عينه دمعة حارقة على الارض التى فجرت ينبوع ماء رقراق . لم يزل (بخريره) يبث شجونه الى العديد من الأندلسيين الذين يذهبون اليه لقضاء فترات من الاستجمام !

بطارية الميكرفون

وعلى صدى دقات الطبول يجرى تناقل الاخبار والمعلومات بين القبائل التى تسكن «غينيا الجديدة» والمكونة من قرابة ٦٠٠ جزيرة ، والواقعة الى الشمال من إستراليا فى المحيط الهادىء ..

ويحاول ابناء البلد الذين يصل تعداد سكانهم الى اكثر من ثلاثة ملايين نسمة ان يتفاهموا بين بعضهم البعض باكثر من ٧٠٠ لغة ولهجة وان يتقدموا الى نهاية القرن العشرين بخطى ثابتة بعد ان امتص الاستعمار البغيض خيرات بلادهم على مدى قرن من الزمان ولم يترك لهم سوى طرق معبدة وسيارات شحن قديمة ومحطات بنزين تتباعد عن بعضها البعض مئات الأميال !

لقد رحل الاستعمار منذ قرابة العشر سنوات ومع قصر هذه المدة لم يستطع ابناء (غينيا الجديدة) الحفاظ على اللغة الانجليزية التى تركها لهم الاستعمار البغيض ، حيث قاموا بتحريفها حسب الجرس النطقى البدائى لكل قبيلة .

ومما يميز قبائل «غينيا الجديدة» عن بقية شعوب الأرض انها إنتقلت من العصر ما قبل الحجرى الى القرن العشرين من دون المرور بالعصر الحديدى او النحاسى .. الخ

وهذا من دون شك يرهق عقولهم حيث انهم يقومون بالتقليد الاعمى لعادات لا تتناسب مع طبيعة حياتهم اليومية .

وقد اخذوا بتسمية ابنائهم باسماء لا تمت الى واقعهم بصلة مثل (فلاش جوردون) (توم توم) و (جوزيف ستالين) !

كما ان بعض المبتكرات لم ترحل مع رحيل الإستعمار البريطانى الذى سبقه الاستعمار الألمانى وتلاه الاستعمار الاسترالى وذلك مثل الشمسية التى تقى الشمس عن راس صاحبنا فى الادغال ، ومكبر الصوت الذى اتخذه زعيم القبيلة وسيلة لنقل الاخبار بدلا من قرع الطبول !

وهناك قبائل (اوكوس) الهندية التى تقطن فى القرى المحـيطة بمدينة (كوزكو) فى (البيرو) الواقعة على الشاطىء الشمالى الغربى لأمريكا الجنوبية .

ويقول المؤرخون ان قبائل تلك المناطق مازالوا يمارسون طقوس غريبة تناقلوها ابا عن جد منذ الاف السنين وحتى يومنا هذا !

ومن غريب عاداتهم انهم فى منتصف شهر (يونيو) من كل عام يصعدون الى قمم جبال شامخة ترتفع قرابة خمسة الاف مترا فوق سطح البحر حاملين معهم صولجانات مزينة بمختلف انواع ريش الطيور ، متجهين للسماء الى حيث تشرق الشمس ، غير ابهين الى تدنى البرودة هناك الى عدة درجات تحت الصفر !

وحال وصولهم الى قمة جبلهم يقيمون المخيمات ويشعلون الشموع فوق الثلوج التى تنصهر بدورها مكونة حفرا صغيرة تتراقص فى جوانبها تعابير لانعكاسات ضوئية . يحورها تفكيرهم المحدود الى تصورات خرافية ، معتقدين ان هذه الجبال الجليدية ما هى إلا مقابر ارواح سلفهم والتى اتت على صورة رياح واعاصير لتسكن تلك القفار على مقربة منهم .

وقبل عودتهم من بين الغيوم يقومون بنشر كتل من الجليد ويربطونها على ظهورهم ويهبطون بها الى قراهم حيث يوزعون قسما منها على المرضى معتقدين ان فى ذلك شفاء لهم ، وجزء اخر من هذه الكتل الجليدية يغلونه فوق النار مع الشعير ويتركونه لكى يبرد ليشربوه خارج اكواخهم فى الليالى المقمرة !

وما تبقى من جليدهم يحتفظون به على شكل سوائل فى زجاجات لاستخدامه على مدار السنة !

ومن العادات المتبعة لديهم اعتقادهم بان ارواح الحقول قد تكون غير راضية عنهم ، ومن الجائز الا تعطيهم محاصيل وفيرة فى الموسم ، لذا فهم يلبسون الاقنعة ويخرجون بها لايهام ارواح الحقول بانهم اناس اخرون مختلفون عمن سـكن الديار السنة الماضية . لعل تلك الارواح تعطى هؤلاء القادمين (الجدد) محاصيل اكثر وفرة !

الرقص بالثعابين

ومن المعروف ان قبائل (النباخو) الأمريكية كانت تسيطر على معظم اراضى امريكا الشمالية من مشرقها الى مغربها إلى ان وصل إليها الرجـــل الابيض وبقوة المدفع والبندقيـــــة التى لم يكن يجابهها سوى بطولة الهندى الاحمر الذى لا يحمل من السلاح سوى قوسه او رمحه ، اخذت تتقلص اراضى قبائل (النباخو) كما حدث وشاهدنا العديد من افلام رعاة البقر !

وفى عام ١٨٨٢ قررت السلطة الحاكمة فى واشنطن تطويق القبائل المنشقة ، ومصادرة اراضيهم وحصرهم فى بقعة ارض قدرت مساحتها بـ ٢,٥ مليون هكتار . وفى عام ١٩٨٢ رات الحكومة فى واشنطن ان تستولى على اراض اخرى وقلصت البقعة التى يعيشون فوقها الى ١,٨ مليون هكتار !

ولكن ومع كل هذه التحديات بقي الهندى الاحمر صامدا فى ارضه ورافضا انتزاع جذوره من الاعماق ولم يهاجر على الرغم من شدة التعسف الطبقى والاجتماعى الذى لاقاه ومازال يلاقيه على ايدى الرجـل الابيض ولم يزل محافظـــا على (عادات ومعتقدات) توارثها ابا عن جد .

ومن عاداتهم الذهاب الى (قبب ملحية) توجد على مقربة من (جران كانون) . حيث انهم فى إحدى شقوق القبة الملحية يضعون بعض (عرانيس الذرة) التى يغطونها بريش من نسر ويقوم اكبر المتواجدين سنا باشعال عشب معين ذى رائحة زكية فى غليون مصنوع من الفخار وياخذ نفسا من ذلك الغليون وينفخه فوق الريش الذى يغطى (عرانيس الذرة) ، وفى اليوم التالى يعودون الى نفس المكان ويرفعون (العرانيس) الى السماء وبصوت عال يبداون فى دعوة الارواح من حولهم بان تاتى لمشاركتهم فى طعامهم ، واما عن امكنة هذه الشقوق فتبقى سرا لا يعرف مكانها سوى الكبار منهم !

ولأعراسهم عادات غريبة فهم يربطون الأجراس والقواقع على سيقانهم وعلى إيقاع نغمات ناي من القصب يستمرون فى الرقص حتى صباح اليوم التالى ، ويلى ذلك معركة يتقاذفون بها الشتائم وكتل الطين وهذا جزء مهم من طقوس اعراسهم .

وفى طلبهم (للمطر) يقومون فى البحث بين الحقول عن الثعابين السامة وعندما يحصلون على كمية منها يحملونها معهم الى ساحة القرية ويمسكون رؤوس الثعابين فى افواههم (الثعابين السامة تلك تسمى امهات الأجراس) وياخذون فى الرقص والثعابين معلقة ، حتى يتناصف الليل ، وإن حدث خلال الرقصات ان لدغ ثعبان احد الراقصين فى فمه فذلك يعود حسب اعتقادهم ان ذلك الشخص قد تفوه يوماً ما بكلام بذيء وبعد ان تنتهى حفلة (الاستسقاء) يطلقون الثعابين لتـذهب الى جحورها من دون ان يصيبوها باذى .

ومن يشاهد تلك الثعابين وهى هاربة من ساحة القرية يقول : إنها تشبه فرقة من المشاغبين قد خرجت لتوها من حفلة (ديسكو) .

ومن كل ذلك وغيره ، نرى كيف ان العالم مازال يزخر باغرب العادات والتقاليد ، ومازال يحيا فى طقوس قديمة لم تقترب منها عصا القرن العشرين . ولعل هؤلاء فى عاداتهم البسيطة الساذجة اسعد حالا من الذين ينفقون كل وقتهم فى انتاج اسلحة الدمار وهم يرتدون احدث ازياء العصر ويمارسون احدث تقاليد وعادات المجتمع الراقى !

وليد عياد



الصعود إلى قمة الجبل ، حاملين صولجانات مزينة بمختلف انواع ريش الطيـــــور



الفنانة الاردنية رمزية باج .. اقامت معرضها مؤخرا فى مدينة الدوحة



لوحة زيتية من ٢٧ لوحة شاهدناها للفنانة فى المعرض الذي اقيم بفندق الخليج فى الدوحة ، وكان مثار اهتمام الكثير من النقاد والجمهور

رمزية باج

فنانة تنتقي ألوانها دون صخب!

بشرى ناصر

الرحيل : هو البداية .. وهو النهاية .. منه نبدا .. وعنده ننتهى .. والكائن البشرى محاصر بهموم الحياة .. مغرم بالترحال والتجوال .. مشبع بالبحث عن اسرار المستقبل ..

ورمزية باج انسانها متعب .. يظل يعدو .. ويعدو .. قد يصل .. وقد لا يصل ..

وقد التقيت بها فى معرضها الذى اقيم فى فندق الخليج بالدوحة ، كانت تسير بحيوية ورشاقة ، لا تثقل خطواتها المساحيق او البهرجة . فعالمها بسيط، الاهتمام فيه بالاعماق اكثر من الاهتمام بالمظهر . ودون جلسات تحضيرية وجدتنى اجلس امامها .. انصت إليها فى شغف .. فهى فنانة تنتقى مفرداتها كما تنتقى الوانها ، دون صخب !

ببساطة متناهية تتحدث :

● نادرا ما اقوم بعمل تخطيط على الورق او وصف تشريحى للعمل الذى انوى الابتداء به .. كل الطقوس تعتمل فى الذاكرة .. حين اشعر بالفكرة قد بدات تكتمل فى تكوينها وتنضج ملامحها ، وأنها قد تبلورت تماما . اطلق سراحها وابدا فى معايشتها على القماش ولاذكر على سبيل المثال عملى « الحرب الاهلية » . اخترت منذ البداية ارقام ١ ، ٢ ، ٣ .. ولكنى لم اقدم لنفسي شروحات اكثر . لانها معى .. هنا فى الذاكرة .. وربما حين اعمل تكوينات لونية اولية .. تفقد اللوحة كثيرا من طفولتها .. الحلم .

قد تمتد المسافة بى فى تحويل اللحظة الابداعية من الحلم إلى الواقع ، ولكن امام تلك اللحظة اجد صرامة كبيرة . فلا اسمح لشىء ما يتعبنى او يحول بين ان انتهى من حالة المخاض تلك . وتجدينى بين كل فترة واخرى اتوقف لادور مع اللوحة فى حوارات واسئلة : إن كانت راضية عنى .. ام لا ؟ ما اريد قوله . اننى لا اصنع « الاسكتش » كاملا بالوانه كشكل مبدئى . لانى احب الاحتفاظ بافكارى عن العمل الابداعي دون

تسريه في عمل تخطيطات واستعدادات ، تعرضه للارهاق ، وقد لا يكون ساعتها بكرا كما احب .

● ... المواضيع التى استهدفها فى اعمالى مختلفة متنوعة ، ولاكن اكثر تحديدا . فمنذ ١٩٧٥ تقريبا ، وجدتنى اغرم بموضوع الانسان .. طالما انه واحد لا يختلف فى كل اقطار العالم بكل ما فيه وما يحمل ، ومن هنا اتجهت لاجسده بكل ما يعتمل بداخله بكل حالاته .. وبكل تطلعاته وهمومه . وحين نلتقى بالتاريخ ، نقراه ، ونراه . نجد الانسان قد كون التاريخ وحده وقراءاتي دائما توحي لي بالرحيل ..

كيف يحمـــل الانســـان الاول جسده ويشـــدنى باندفاعه البشرى ؟ وتخصب خيالي حركته الجسدية ، من اجل الحركة والتنقل بما فيه من شاعرية ؟ ..

● اضافة إلى روعة اللحظة تلك .. لحظة المحطات والتجوال .. التوقف والمسير .. اللقاء والوداع .. الذكرى والنسيان .. ودراسة التاريخ تثريني من ناحية فنية .

وتشكيل الافكار بصورة متكررة دون محاولة للتجديد او تطوير المواضيع مهما كان الموضوع مثيرا ، فلن يجد تاثيرا لدى الجمهور .. والحدث الفني فى اللوحة مهم .. ومهم جدا . ولكن ليس على حســـاب « تكنيكيته » ومحاولة التجديد فى إخراجه .. وإلا فلن يكون الفنان الذى يسير على خطى غيره سوى نسخة !

وبالنسبة لي الطموح دائم الاشتعال .. يهمني كثيرا ان اختط لنفسي مسارا وطريقا جديدا وليس تقليديا . وهو الذى يدفعنى دائما لسؤال اللوحة حين استريح معها : اما زلت معك ؟

● ... تكرار الموضوع فى عدة اعمال يزيد فى تاكيد المفهوم وترسيخه لدى المطلع او المتفرج .. ويفيده .

قد اجيء بالترحال واصنع منه عشرين لوحة .. فى كل لوحة اجد ما اقوله فيه وبشكل مختلف ..

● احاول حين ارسم .. ان اختزل .. دون بهرجة او تشتيت للموضوع . الغناء القصصي .. جمالية الخيال .. رقة المشاعر ورهافتها .. كل ذلك ليس بالضرورة ان يتحقق حين اضيع وسط الالوان والخطوط وتجسيد العين والشفاه .. وعموما عملية الاختزال دائما اصعب سواء كان ذلك بالريشة او بالحرف .. فاناحينها احتاج الى كثير من الالمام والتكثيف .. وكما قلت طالما كان الانسان همى .. فاهتمامي ينصب فى التركيز على إيماءاته .. إشاراته .. تحركاته .. بكل ما فيه من سكنات وتحركات .. وليس فيما يلبس او تحتوي تقاطيع وجهه . وقد تتجه انظارنا ساعات طويلة إلى شيء ما .. لا نحس به .. ولا ندري بوجوده !

انا هنا افكر بالعمل من هذا المنطلق .. لا احادث عينيك .. وإنما اقوم بمخاطبة شعورك .. الدخول الى اعماقك .. وحتى اوصل لك رسالتى ، وبشكل جيد ، فانى احتاج إلى الامساك بيدك لاوصلك إلى ما اريد ، دون تضليل فى مسارات مبهمة وامور هامشية .

● يفقد الانسان كثيرا فى يومه .. الفن التشكيلي باستطاعته ان يعيد اللحظات التى لا تعاد .. يجسدها امامه .. ليعيشها فترة اطول والفن التشـــكيلي له ادوار كثيرة في التسجيـــل بحـــرارة وبعاطفيـــة كبيرة ..

الفن يعطيك طعم الموسيقى .. ومـــذاق اللون ...

وقد يكون العمل الفني تجريديا ، لا يعبر بالضرورة عن شيء ما ، ولكنه يظل بالنسبة للمبدع او لنقل الفنان عبارة عن فعل .. ورد فعل .

● المفردات لدى الكاتب مختلفة .. لكل مفردة مجموعة احرف .. ثمة مفردة طويلة .. واخرى قصيرة .. هناك كلمة لها وقع جيد .. او بشكل معاكس .. احيانا تحس بلفظ كلمة ما .. باعتداد .. الكلمات عموما كل كلمة لها شخصية معينة ... الالوان لدى الفنان .. كل لون يحمل جمالية وطابعا وشخصية مميزة ... البعض يفضل لونا ما دون بقية الالوان الاخرى ،والتذوق العادي في هذه الحالة قد يضم اللون .. لان اللون جميل .. ولكن اختياره إلى جانب لون اخر ، او تشكيله في مجموعة متناسقة . هو الذي يجعل اللون الواحد مزهوا بجماله .. ممشوقا .. وسعيدا .

والانشاء التصويري هو الذي يعمل في ان يظهر لكل لون شخصية .. ذلك هم من هموم الفنان التشكيلي إلى جانب مهمة ترويض الفكرة لتولد على القماش بشكل متعاف وصحيح البنية .. وليس مشوها على الاقل بالنسبة له . وذلك امر يحتاج كثيرا من ذات الفنان . ولنذكر الخيال هنا .. فهو حصان جامح .. لا يحده طوق ولا تعب .. يطير باجنحة لا ترى .. ولكن يبقى التنفيذ هنا وكيف يستطيع الفنان ان يركض وراء ذلك الحصان ولابعد حدود يصلها كي يمسك به الفنان ...

● كل عمل فني له اهميته بين الأعمال الاخرى ، وبشكل منفصل قد يحدث ان يوحي لي عمل ما بعمل اخر ، يتصل او يبتعد عنه . ولكن عموما اعمالي اغلبها ـ وكما لاحظ كل من ارتـــاد معرضي الاخيـــر ـ نفس الموضوع يتدرج في اكثر من لـــوحة وبشكل ترقيمي .. ولكل لوحة نكهتها ومذاقها ..

● المراة لا تختلف عن الرجل وقد تتفوق عليه احيانا من ناحية قدرتها على الاحتمال .. الرجل في كثير من الاحيان نظلمه حين نعتقد انه يفرغ نفسه تماما لابداعه .. على العكس تماما من وضع المراة التي تضيع ما بين متطلبات الحياة اليومية وارهاقاتها . الرجل ليس كائنا مسخا ، بل يتحمل اضعاف ما تتحمل المراة من هموم يومية ومتاعب في توفير المستوى الاقتصادي الجيد . والرجل لابد ان يخرج من بيته وبشكل الي . المراة قد تظل ملازمة البيت إذا لم تكن موظفة ، فتجبر على منح كل مسالة حقها وهنا تتاتى اهمية توفير الوقت لكل جانب ، دون ان يضيع حق امر على إخر ...

ولابد في هذه الحالة من وضع برنامج ومنهج ليومها ، حتى لا تفقد في النهاية اهم ميزة تتمتع بها ، واهم حقوقها في ان تكون مبدعة ، فتتحسر ساعتها ، وتلقي باللوم وتســـلط جام غضبها على المســـؤولية ومتاعب الحياة .. وتظل اخيرا المحافظة على القدرة الابداعية وتربيتها والحفاظ على عافيتها : مهمة المبدع وحده دون اي تدخل من غيره ..

بشرى ناصر

الفنانة في سطور

● رمزية باج .. من مواليد عمان .

● درست الفن اكاديميا على يد الفنان فائق حسن في بغداد .

● تخرجت عام ١٩٧٢ م . حصلت على بكالوريوس في الفنون الجميلة بدرجة شرف سنة ٧٢ م .

● حصلت على بعثة من المجلس الثقافي البريطاني سنة ١٩٧٤ م للدراسات العليا في كلية الفنون في برايتون .. وتخرجت بامتياز .

● استقرت ثلاث سنوات في يوغسلافيا .. ثم انتقلت الى القاهرة .. قدمت الى الدوحة سنة ١٩٧٩ وعملت كمحاضرة في التذوق الفني بجامعة قطر ما بين ٨٠ ـ ٨١

● اقامت معرضا في عمان ١٩٧٤ بالاشتراك مع الفنان محمود صادق .

● معرض خاص في برايتون ـ انجلترا ـ عام ١٩٧٥

● معرض في بلجراد عام ١٩٧٨

● معرض في القاهرة عام ١٩٧٩ .



بقلم: وليد إخلاصي

ـ ١ ـ

كان هناك رجل يتمدد على أرض الغرفة . الغرفة كانت عارية وموحشة . وكان ثمة بساط صوفي قديم يغطي البلاط بالالوان الباهتة ، فيخفف من تلك الوحشة المزمنة ، ولكن زخارفه تمازجت باثار تراب الحذاء الذى رسم الحيرة عليه أقدام مشتته ، فبدت الأرضيــة وكأنها طلاســم تحيــط بالجسد المنهك .

وها هي الجدران تنتصب شاهقة ، تطل ساكنة على الفراغ المستسلم لضوء خفيف بينما جدار منها قد غطي بنافذة معلقة ، فيما الجدران الباقيــة قــد استخدمــت لتسجيل كتابات غريبة ورسوم مختلفة ، خطها بيده المرتعشة الرجل الوحيد الذى يسكن الدار ، عبر أيام طويلة من الانتظار والخوف والتردد فى الاستسلام .

قلق عبرت عنه الأقدام الحائرة تجوب الغرفة ، وخطوط التصقت بدهان الجدران القديم . تلك كانت أشياء سابقة ، ولكن القرار الأخير الذى اتخذه ساكن الدار ، كان حاسما لا رجعة فيه . ان يتمدد ارضا بكل ثقله الذى يحمله جسده الناحل ، بينما عيناه تتاملان العدم الذى اجتمع فى السقف رطوبة بيضاء ، خالها لفترة زبدا نبذته امواج الصور المتلاحقة ، فطارت من فوقه كالحمام الميت .

يوم إثر يوم ، فتصبح السنة مكتملة . الزمن يمشي بطيئا فى جسد الأيام ليصبح عمرا . الأيام تموت . الأيام تاتي ، والرجل يتعلم لعبة الانتظار . لم تعلمه مهنة التدريس فضيلة الصبر ، ولكن ما يحدث للدار هو الذى جعله يقاوم التاكل .

فى الفترة الأخيرة ، اختفى اسمه من شفاه الجيران وذاكرتهم . وبات اسمه (الحكاك) . جاء الحكاك . ذهب الحكاك . اختفى الحكاك . الحكاك يكلم نفسه . وكان من الممكن أن يصبح اسمه (المخبول) . لولا احترام اهل الحي لمهنة التعليم . ويبدو أن المعلم قد استسلم للاسم الجديد ، وما عاد يعيره اى اهتمام . وسقط على ارض الغرفة لا يحس بالزمن الا اذا سُمعت ضربات المعول فوقه تنهش سطح الدار . واذ تتوقف تلك الضربات المتواترة ، يموت الزمن الا من نبض الانتظار .

وكان جهاز الهاتف باردا ، لم يُسمع له صوت منذ ايام كثيرة . وتوقف الماء فى الأنابيب ، فلم يبق له وجود فى الدار الا فى الزير الذى ملأه المعلم بنفسه منذ يومين من حنفية السبيل القريبة . وقد مر على انقطاع الكهرباء اسبوع كامل ، فبدت آثار الشمع على الارض وكانها مرض جلدى تناثرت بثوره على كل بقعة . لقد انقطعت كل صلة بالعالم ، وظهرت الدار معزولة عن الحياة ، ولولا نبض قلب الحكاك وحركاته المتخبطة ، لبدت وكانها مقر للاشباح .

كانت الدار اخر عمارة تقاوم . والمعلم اخر المتشبثين . ومع انتشار الخراب ، تحول الحكاك الى حكاية تثير فضول الجميع . ويتنادى اطفال الحارة ، الذين ملأ التراب عيونهم وانوفهم ، إلى تسلق السلم الخشبي الذى ارتكز على الحائط الشرقي ، يحاول كل منهم ان يسرق نظرة من المعلم عبر النافذة التى يلصق وجهه بزجاجها المتسخ مرسلا بعينيه تبحثان عن المعلم ، فاذ به يتمدد على الأرض كالمجنون الميت ، فلا يلبث ولد اخر ان يستحثه بالتخلي عن مكانه على السلم كي ياخذ نصيبه من الفرجة .

« دعني ارى الحكاك . جاء دورى . لا تكن انانيا واعطني مكانك » .

ولكن المعلم الذى تصله أصوات الأطفال كخربشات على لوح الزجاج ، لا يبدى اى اهتمام ، ولا يعير فضول الأولاد المشاغبين اهمية . وهو الذى يعرف اسماءهم فردا فردا .

تعود المعلم ، وهو يمر في الشارع ان يجيب على اى سؤال يطرح عليه فى اللغة العربية او الحساب . كان صديقا لكل الأولاد ، وهو الذى يجمعهم عادة قبيل الامتحانات السنوية فى صحن الجامع الاثرى كي يشجعهم ويشرح لهم ما خفي عنهم من معلومات . ثم انه هو الذى تجاهل بعد ذلك تعليقاتهم ولمزاتهم ، منذ ان دخلت اليات الشركة على الحي ونشرت الخراب في ارجائه . وعندما تسلق فضولهم على درجات السلم الخشبي ، ظل مستمرا في التمدد على الارض في الغرفة العارية ، فاتحا ساعديه وساقيه كاشارة الضرب ، بينما عيناه تتعلقان بنقطة ثابتة فى السقف تتوالد فيها الصور والايام ..

ـ ٢ ـ

تحولت العمارة الصغيرة إلى قلعة وحيدة هجرها العمران من حولها . وكانت اخر بناء يزحف الهدم نحوه من الطرف الشرقى فى الحي القديم ، ثم لا يلبث ان يتوقف تزمجر الياته غضبا من عناد المعلم اخر الأحياء في العمارة الباقية .

كان الرجل هو الوحيد الذى وقف فى وجه الشركة . فلبثت « البلدوزرات » حائرة تنظر بحقد ظاهر الى ذلك المستطيل من الحجارة المتفاعلة مع الزمن وقد استعصت عليها . وبدت الدار الباقية . وكانها البيت العتيق وسط صحراء من تلال التراب والاحجار والأخشاب التى خلقها الخراب الشامل .

وها هى العمارة التى كتب على مدخلها يوم بنائها فى القرن الماضى « ادخلوهـــا بسلام امنين » ، تبدو كالمهجورة بعد ان غادر الدار العليا فيها اهلها ، ولم يبق سوى المعلم فى الدار التى طوقتها الحديقة الميتة كانت العائلة قد باعت حصتها الى

الشركة ورحلت مع الصبية «حياة» . وقد لبث المعلم ذاهلا يوم الرحيل ، يراقب نزول الاثاث بصمت خاله الجيران المغادرون وداعا فظا ، فاكتفوا بالقاء تحية وداع مقتضبة لا تليق بجيرة اباء واجداد امتدت سنين طويلة .

ما عاد الدرج مصدر انس تـدب عليه الأقدام نزولا وطلوعا ، وباتت الدار العليا فترة وكانها سكن للأشباح ، وعندما اقتلع عمال الشركة الابواب والنوافذ تحولت الى مصدر للعواء اذ تدخل الريح من كل جانب.

ويوم الرحيل ، اقبلت الصبية « حياة » من بين سحب الغبار ، لتقول له برقة لم تحرك عنده سوى البكاء الخفي :

« الن ترحل انت ايضا ؟ » .

ثم قالت وهى تحدجه بعينيهـــا المعاتبتين :

« لم يبق الا انت » .

فهز برأسه يمينا وشمالا ، ثم حك جبينه بعصبية ، ولم يستطـع ان يقول كلمة واحدة ، بينما هى قالت بمرح :

« نحن راحلون » .

فهتف بلهفة مكبوتة :

الن اراك بعد اليوم ؟!

فقالت وهى تستند بظهرهـــا الى الحائط الذى رسم عليه منذ سنين صـــــورة للكعبة :

« ومن قال إننا سنغادر حلب » .

ثم هتفت بشيء من التفاخر ردده فضاء الدرج :

« سنسكن فى الخالدية » .

وهو لا يعرف من حلب الا هذا الحي ، وبالرغم من تجواله مع طلابه فى كل انحاء المدينة ، الا انه رفض اى توسع لها خارج الحدود القديمة . وقال باسى :

« منطقة بعيدة والمواصلات إليهـــــا صعبة » .

ثم يهتف بقوة تزيل اى شك فى رغبة بالبكاء وقد تولدت عنده :

« لن اغادر » .

وبقوة اكبر :

« لم اولد الا فى حينا هذا ، وســـابقى فيه » .

فتنظر إليه بدهشة ، ثم تبتسم ، ثم تغيب . فيلحق بها عن بعد ، بينما يتواتر صوت الاولاد فى الحارة المقابلة :

« جاء الحكاك .. راح الحكاك » .

وينظر من شرفة المطبخ الذى شهد فى ايامه الغابرة حركة النسوة يعددن الطعام للضيوف ، فيرى نفسه وكانه اصبح فى جزيرة . الارض قد سويت عن طرفي البناء وظلت الحارة المجاورة بتفرعاتها الضيقة تغلي بالناس . وها هم تجار الانقاض ياتون بعمالهم المهاجرين حديثا من مدن محتلة ليقوموا بعمليات الفرز والتصنيف لبقايا الابنية المزالة عن وجه الارض . جعلوا يفرقون ما بين الاخشاب والاحجار والمعادن المختلفة من نحاس ورصاص واسياخ حديد وكان الرجل يقومون بتقطيع الاخشاب بفؤوس مسنونة ، واما تلك التى حملت الوانا وطرزت بالرسوم او بالفسيفساء فقد حملت بعناية على ظهور الشاحنات التى تنطلق بها بعيدا . كما ان المقرنصات والاحجار المنقوشة ، والاعمدة التى تهاوت بتيجانها ، فقد تجمع حولها قلة من الهواة يتفحصونها ويساومون عليها ليتم شراؤها بعد ذلك باثمان تتفاوت وفقا للمنافسة التى يظهرها اولئك الهواة . وقد حظيت الاحجار التى كتبت عليها الآيات او الاشعار ، باهتمام تجار الآثار الذين جاؤوا متاخرين ، فباتت لتلك الاحجار سوق رائجة ، وبخاصة بعد ان انضم اليهم خبراء فى الترميم . ولكن سوق الآثار تلك لم تعمر طويلا بعد ان اكتشف مسؤول فى الشركة قيمة تلك الاحجار فاحتجز ما بقي منها لنفسه .

لم تدخل الآليات الضخمة فجاة الى الحارة . سبقتها اشاعات تضاربت ، فلم ياخذها المعلم فى البداية على محمل الجد قيل إن جهة حكومية تاخذ على عاتقها فتح شارع عريض لن يمس بيوت الناس ، وقيل إن رجلا ثريا يريد ان يشترى الحي باسره ليبني قصرا ، وقيل إن محسنا كبيرا يخطط لبناء مركز ديني يضم اليه مسجدا ومدرسة لتعليم الفقراء . ولكن شـــيئا من تلك الاشاعات لم تؤثر على المعلم الذى اعتبر ان الامر لا يعنيه ، وعندما تهاوت احجار اول عمارة ، وتراكض الناس لبيع بيوتهم ، تطلع المعلم الذى جف حلقه من دروس الصباح ، فقدحت عيناه بالغضب إذ يعلم ان اهل الحارة بداوا فى تسلم المال ، ثم مالبث ان حك شعر صدره الكثيف بعصبية وتمتم بكلمات غير مفهومة ، فسرها اهل الحي بعد قليل على انها بداية لنوبة الجنون . قال المعلم محذرا .

« اين تذهبون اذا فقدتم بيوتكم ؟ » .

ويجتمع بالرجال فى المقهى ، يحاورهم ، يتمنى عليهم أن يوقفوا موجة الخراب ، فلا يصغي إليه احد ، فيخاطب اهل الحارة الغربية التى لم تقترب منها الشركة بعد :

« احذروا فالدور قادم عليكم » .

وتنتقل اصابعه إلى رقبته تعمل فيها خمشا رقيقا ولكنه لا يتوقف :

« لم يبق من هذه المنطقة التى شهدت تاريخا عظيما الا أكوام التراب » فيرسل رجل ضحكة تختلط مع التمني :

« نحن هنا ننتظر رجالهم كي يدفعوا لنا .. كما دفعوا لكم » .

فيهتف وهو لا يتوقف عن حك اجزاء من جسده :

« ما نفع المال اذا فقدنا البيوت التى ولدنا فيها » .

فينظر اليه الرجل باستغراب :

« إنهم يدفعون بالعملة الصعبة » .

ثم يقول له :

« الحساسية مرض العصر يا حضرة المعلم ، اليس كذلك ؟ » .

اقتحام

ثم يحاول ان يكلم الناس ، فينفضون عنه وكانه بات مصدرا للعدوى .

ـ ٣ ـ

جعل المعلم يراقب تفتحها بمتعة واهتمام . الصبية الصغيرة حياة تتفتح يوما بعد يوم ، وكان زمنها له خبرة فى كشف الستار عن روعة النمو خطوة فخطوة او طبقة فطبقة . قال انذاك لنفسه :

« هذه الصبية مثل البقلاوة » .

طالما راقب وقع خطواتها السريعة وهى تركض على السلم كالجنية فى صيف جاء مبكرا ، اعترضها المعلم عند المدخل ، وقدم لها فلة مكتنزة من الشجيرة التى قيل ان جدته رعتها بنفسها فكانت تسقيها بملعقة من الفضة فاخضرت وتفرعت وباتت لها شهرتها فى اكثر احياء المدينة التى تطل عليها القلعة مباشرة . قال المعلم انذاك :

«لو كانت جدتي راتك لسمت فلتها حياة» .

فابتسمت الصبية كشيطانة ، وهربت من بين يديه بخفر ظل يحفر فى نفسه حتى انساه أن يسقي الجنينة التى تحيط بالعمارة بالنارنج والياسمين والفل واعشاش العصافير التى ستهاجر بعد ذلك مذعورة مع اول ضربة معول فى احجار الدار العلوية .

كان حبا صامتا تغزله دودة الصبر بمهارة ، فامتد سنوات . ومنذ طفولة « حياة » التى خلقت الضجة المحببة ، والى تفتح صباها وهى تنشر الاحلام المعطرة ، كان المعلم يضع المشاريع السرية فى الاحتفاظ بالصبية التى يعتقها دفء الشوق ، زوجة . وكان يخطط للغرفة الغربية فى الدار مسكنا للحب الذى سيعيد للحارة امجادها فى صنع الفرح الذى طالما اثار فى الماضى غيرة الاحياء المجاورة .

وعندما ماتت ام المعلم التى اشتهرت بين النساء بجمال عينيها ذات يوم فلحق بهما العمى مع زحف الشيخوخة ، قال المعلم الحزين :

« سانتظر يوم الاربعين ، ثم اطلب يد الصبية » .

وكانت امه الطيبة قد اطلعته فى مرضها على (الكردان الذهبى) الذى تحتفظ به ليوم زواجه الذى تحلم به . فقام الى الصندوق يكشف عن الهدية الغالية فيتصورها تزين صدر حياة ، فتختلط عنده الأشواق بالحزن العميق على رحيل الأم .

ثم يحدث بعد ذلك ، ما يعيق تحقيق الحلم ، فقد غرقت اخته العانس فى الجب بينما هى تنادى على مياهه المسحورة ان تفرج عن حظها الذى قيدته كتابات الحساد وقد خيل آنذاك ان راس العانس الذى اثقلته احلام انتظار الزوج الموعود ، هو الذى جذبها الى عمق مياه الجب الآسنة ، فقضت نحبها .

وهكذا بقي المعلم فى الدار وحيدا ، وما عاد له احد يطلب الصبية ابنة الجيران زوجة له . ولكن الانتظار الذى عشش فى الصدر ، اطلقه ذات يوم إلى اتخاذ خطوة حاسمة ، فقرر ان يدق باب الدار العليا بنفسه ، ولكن الجيران كانوا قد استسلموا لاغراء الشركة التى كانت قد وضعت يدها على كل الابنية فى الحارة ، وضاع كل شىء .

ـ ٤ ـ

فى البداية ، كان اتصال ادارة الشركة بالمعلم مهذبا وقانونيا .

« يسر إدارة الشركة العربية للاعمار والتقدم ، ان تتقدم بعرضها اليكم ، لبيع عقاركم بالسعر المجزى . كما ويسر .. » .

وكان مصير الكتاب التمزق .

ثم ، دفعته الغيرة على الحارة ، فمشى بقدميه الى مكتب الشركة ، يريد ان يضع لطامحها حدا . وكان مندوب الشركة مهندسا شابا يلبس الجينز ويختبىء وراء نظارة غامقة اللون . وكانت شارة الجامعة الامريكية تبرز كالوشم على الخاتم الذهبى الذى احكم التفافه على خنصر اليد التى تلوح فى الهواء كلما اراد المهندس أن يبرهن للمعلم على اهمية اهداف الشركة فى إعمار البلد وتقديم الخدمات للناس .

ثم ، دفعه العناد إلى رفض كل الاخطار التى طرحها المهندس الشاب . وكان المندوب قد قرر ان يغير من لهجته ، فهدد وتوعد من يقف فى وجه التقدم ، فتحرك الخاتم كالسحر على المخطط الملون الذى كان الشاب يستخدمه سلاحا يصور به مستقبل المنطقة باسرها .

« هنا سترتفع ناطحة السماء تدل على قدرة الانسان فى التفوق على الطبيعة . وعلى هذه البقعة ستتجمع اسواق تقدم الخدمات من كل لون . وسيتحول باطن الارض الى مخازن وكاراجات واماكن للتسلية . ومن يستطيع ان يبني بمثل هذه القوة ، يستطيع ان يزيح من طريقه كل من يعارض خطوات البنـــاء والتقـــدم والتفوق و ... » .

وكان أن تطلع المعلم الى الشاب الذى توقد حماسة ، وساله :

« من اين يمكن للمرء ان يشترى مثل هذا الخاتم ؟ » .

فافرج المهندس عن عينيه ، وتطلع بهما تغطيهما الدهشة من جديد ، نحو الرجل الذى لم يشك لحظة فى جنونه .

ثم جاء دور محامي الشركة ، بلباسه الانكليزى العريق وغليونه الذى لم يشتعل سوى مرة واحدة . كان المحامي اكثر هدوءا ووقارا ، وكان يتكلم ببرود اثار المعلم ، فلم يسمح لخصمه ان يسترسل فى الحديث ، وهتف برفضه القاطع لاية عملية بيع للدور التى لها علاقة بالتاريخ المثير للذكريات . ولم يستطع محامى الشركة بوعيده الهادىء ان يتفوق على حيوية المهندس واندفاعه .

وياتى نائب المدير العـــام للشركـــة المختلطة ، والتى امتدت شهرتها من الخليج الى التخوم الشمالية ، ليقابل المعلم بنفسه . ولم يتوقف المعلم انذاك لحظة عن حك شعر صدره الكثيف ، وكانه مصاب بمرض يثير خوف من يفكر بالاقتراب منه . كان النائب متمرسا فى ترويض من يقف عادة فى وجه خطط الشركة ومشاريعها ، الا انه عاد يائسا بدوره ، فالمعلم لا يلين ولا يستجيب لاغراء وقد دفعت فى داره اعلى الاسعار ، كما انه لم يجب على اسئلة محاوريه الا بكلمات مبهمة او انها لا تمت بصلة الى الموضوع .

وما عاد هناك من امل امـــام الشركة لمواجهة منطق المعلم الغـــريب الا بمضايقته ، قطعت اسلاك الكهرباء من الدار ، وتفجرت مواسير المياه ، وعمل المقص على بتر خط الهاتف ، وعملت المعاول على هدم الطابق الثانى من العمارة بعد أن بات ملكا للشركة ، واستعرضت « البلدوزرات » عضلاتها امام المعلم فى تظاهرة ترسل الضجة فى الليل والنهار . ولكن المعلم لم يستسلم .

وقد قال مدير المدرسة الابتدائية التى يدرس فيها المعلم :

« لم لا تتعقل يا رجل » .

فقال المعلم مستغربا وهو يقاوم غليان شعر حاجبيه :

« كيف للعاقل ان يتعقل ! » .

وهتف المدير بغضب ابوى :

« لا تقاوم إغراء الشركة . تستطيع بالمبلغ الذى يدفع لك ان تشترى دارا افضل ، ويتوفر لك مال زائد فتتزوج به او تنشىء مشروعا تجاريا رابحا يدر عليك مالا .. وقد تصبح من الاثرياء خلال فترة من السنين» .

فنظر المعلم الى محدثه ، مستسلما للحك الذي امتد من الحاجبين الى الصدر ، فقال المدير مؤنبا :

«ثم إنك تتاخر في هذه الأيام عن المدرسة . وهذا امر يسيء الى العملية التربوية» .

ويقول متقززا :

«عليك ان تداوي مرض الحك الجديد هذا ، فهو يثير شغب الاولاد» .

ولم يتورع المدير بعد ذلك ، عن تنظيم كتاب شديد اللهجة ، يهدد به المعلم بالتسريح إذا لم يلتحق بالعمل لتوه ، بعد ان اعتصم الرجل في الدار أياما طويلة .

ـ ٥ ـ

دخلت عليه «حياة» . تقدمت بالضفيرتين وهما يحيطان بصدرها الذي بات صالحا للأمومة . كانت تتقدم بخفة كفراشة ، فلم يسمع لخطواتها وقع على البلاط المرمري الذى انهكت بتلميعه ذات يوم نسوة الدار . همت «حياة» مسرعة ، ثم تمهلت ، ثم دارت في ارجاء الغرفة كنسيم رقيق يواسي عزلة الجدران العالية . وكان يحس بلهاثها يومض كدفق يساعد القلب المثقل بالأحزان على الاستمرار في النبض . وطارت «حياة» لتمر فوق الجسد المسجى على البساط ، ثم ما لبثت ان كررت القفز من فوقه برشاقة دون ان تنطق بكلمة . هتف المعلم من مكانه :

«أعلم .. انك لن تعودي» .

فسمع صوتها ياتي من الزوايا كالصدى المتداخل مع الدوي الذي تحدثه المعاول :

«اعلم انك عنيد . ابق حيث انت ، وستاخذك الجرافات في طريقها» .

ويفتح المعلم عينيه ببطء شديد يبحث عن الصبية ، فلا يجدها . يحرك راسه في اتجاهات السقف الاربعة ، فلا يكون لها اثر . لكن صوتها ما يلبث ان يدخل سمعه قويا ليتلاشى لحظة فلحظة .

«إبق حيث تموت .. ابق حيث تموت .. إب .. حيـ .. تـ ..»

يهتف صامتا باسم حياة ، ويغمض من جديد .

وتسمع بعد هدوء ، اصوات العمال يتحركون في الدار العليا ، وتدق معاولهم الجدران ، فيتراقص السقف يوحي بانه قد يسقط في اية لحظة . يقول المعلم لنفسه ، وقد عجز تماما عن حك صدره:

«من يجرؤ على هدم الدار .. من يجرؤ على هدم ما بناه الأجداد !» .

كان جده لابيه من الذين حسبت لهم السلطة العثمانية حسابا ، فلم تولّه منصبا او تستوزره على امر ، ولكنها لم تجرؤ على اعتقاله او التعرض له بمكروه . وظل مراقبا بعيون السلطة الى ان لدغته الافعى ذات يوم فانزاح عن كاهلها عبء ثقيل . وهتف المعلم بصوت ضعيف :

«من يجرؤ على هدم الدار . وإبعاد حياة» .

واما خاله لامه ، فقد فرض هيبته على نصف المدينة لبسالته وجراته في قول الحق وحماية المظلوم . وقد قتل الرجل برصاصة قيل ان جنديا اخطا في تصويبها الى طير عابر . وصاح المعلم :

«من يهدم الدار .. من يقتل الفل والياسمين .. من يحرمني من حياة ؟» .

في البداية ، ومع انقطاع الماء والكهرباء تقدم المعلم بالشكوى الى مخفر الحي . وقد ردت الشرطة طلبه الذى يتهم فيه الشركة بحرمانه من حقوق لا سلطة لها عليها . وفى الدعوى الثانية كان المعلم يشكو العمال الذين يتقصدون بضرباتهم القاسية تصديع بنيان داره ، وكان محامى الشركة الوقور حاضرا عند تقديم الشكوى ، فنظر المعلم انذاك الى الاوراق بدهشة ملات تجاويف وجهه ، وتمتم قائلا :

«لم اكن اعلم ان ملكية دار الاجداد بحاجة الى اوراق» .

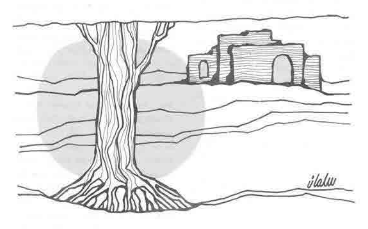
وقال له الرقيب العابس الذى تصدر المخفر الذى كان اسطبلا ذات يوم : «يا ولدى .. لا يمكن لك ان تقف في وجه شركة كبيرة مثل هذه» . وربت العسكرى كتفه مواسيا ، وهمس فى اذنه :

«انفد بجلدك قبل فوات الاوان» .

ولكن المعلم خرج هائما على وجهه . طاف الحوارى ، سمع باذنيه الاطفال يتصايحون والرجال يتهامسون . القى نظرة على الخراب ، وشاهد بعينيه المتعبتين تلك المعاول تنهش جسد الدار التي سكنتها حياة ، والتى عرشت على جدرانها ياسمينة امه التى قالت له ذات يوم انها شهدت مولده ، وانها تتجدد سنة بعد سنة تبحث عن جدار مرتفع لتؤكد انها التى لا تموت .

وهكذا ، خيمت سحابة من التراب على الجو ، ثم تساقط التراب على كل الأشجار والنباتات المحيطة بالدار ، فمسح معالمها ، ثم انهك خضرتها ، ليدفنها بعد ذلك . وقد تناثرت الأحجار الصغيرة على مدخل العمارة ، فكان المعلم فى البداية يحصيها ، ثم يجمعها فى ركن من الحديقة ، ولكن سرعان ما تضخمت كومتها وكادت أن تسد الطريق ، فكف بعد حين عن ذلك العمل الذى لم يجد منه فائدة ، وترك الحجارة تستقر حيث تقع .

وكانت امراة عجوز فى الحي المقابل ، وهى التى شهدت ولادته ، قد قدمت له نصيحة لم يفهم منها كل كلماتها ، ففمها الخالى من الأسنان ، حول النصيحة الى تمتمات مبهمة . إلا ان الوجه الذى رسم الزمن عليه باظافر حادة ياسا حكيما ، قال له :



اقتحام

«يا ولدى .. حرام على شبابك ان يدفن تحت التراب» .

وسمع شفتيها تقولان :

«الاتهم تسكنها العفاريت ، فمن يقاوم العفاريت» .

فلم يصغ اليها . قام لتوه الى الدار يعتصم بها . اغلق النوافذ ، واحكم اقفال الباب . واشعل شمعة وجدها بين ملابس امه ، ومثلها كان يستخدم للنذور ، لكن الشمعة ما لبثت ان ذابت فى الصحن النحاسى الذى رافقه مع امه ايام طفولته الى حمام السوق ، وكانت تملؤه بالبيلون احيانا او بمخلل اللفت احايين اخرى . كان يحب ذلك الصحن ، الذى كانت امه تصر على انه طاسة مباركة تستخدم لايام الحرب والفزع ، يشرب منها الخائف فيهدا . وعندما غطى الشمع السائل نقوش الصحن لم يملك المعلم قوة فى اقتلاعه ، وارتمى ارضا يتامل السقف ويصغى الى اصوات الهدم تمشى فوقه وكانها خطوات الجن والعفاريت ايام الخوف .

ـ ٦ ـ

راهم من النافذة العالية يطلون برؤوسهم الصغيرة ، ولكنه لم يسمع كلمة واحدة من همساتهم المتشفية . كان يراقب العيون الفضولية بطرف عينيه نصف المغمضة . هو يفكر فى الآلات الغريبة التى داست تاريخ طفولته وارعبت "حياة" فطارت كالحمامة المذعورة ينقض عليها الصقر . ولكنه لم يتحرك ، وظل ممددا على البساط .

كان اولاد الحي يتناوبون فى إلقاء النظرات على الحكاك الذى بدا للوهلة الأولى ميتا ، ثم اكدت تلويحات ذراعيه فى الهواء ، كمن يهش عنه الذباب ، على انه مازال على قيد الحياة . وكان الاولاد قد حملوا فى نفوسهم منذ فترة فكرة عن جنون المعلم . وقد سمعت مثل تلك الملاحظة عنه اكثر من مرة فى مجالس الآباء وفى اجتماعات النساء ، قيل مثلا ان الصبية «حياة» قد انتقلت الى حي جديد اخذة معها عقل المعلم . وقيل ان كنزا فى القبو يقوم الرجل على حراسته ولا يريد لاحد ان يشاركه به . وتردد فى الاحياء المجاورة ان المعلم ورث السحر عن جد له جاور ضريح الولي (ابن العربى البشلاقي) ، فهو لا يستطيع ان يغادر داره إلا بامر منه .

وتطل عليه العيون بخبثها وفضولها ، وتتحرك الشفاه . ويقع طفل من على السلم ليسمع صوته مستنجدا او باكيا . وكان المعلم يحس بالانس بالرغم من كل ما يحدث . هو يحبهم ، وقد فعل ذلك دوما ، وحفظ اسم كل واحد منهم فى الحي ، وتنبا لكل واحد بمستقبل معين :

«انت طبيب رحيم بالناس . اما انت فلا تفكر بالطب ابدا» .

«لاشك في انك ستصبح جنديا باسلا ، ابعد الله عنك الموت المبكر» .

«وانت ايها الذكي .. فلا تعمل بالتجارة فقد تملك السوق وتتحكم برقاب العباد» .

«قليلا من الاهتمام بالحساب وتصبح مهندسا يحفظ لهذه المدينة شخصيتها» .

ولكن المعلم في تلك اللحظات ، لم يستطع ان يربط الأسماء بالوجوه المتعاقبة على زجاج النافذة . بدا النسيان يختلط بالتشويش الذى خاضته "حياة" فى الغرفة .

وزادت حركة الاقدام على السطح ، وسمع للازميل الكهربائى صوت يفتك بالعقل ، فصاح مستنجدا بامه ، إلا ان السكون عاد من جديد ليطغى على كل ما عداه ، وتنبه المعلم بعد لحظات وهو يصغى بكل جلده المتحفز الى طرقات عنيفة تدق الباب الخارجى للدار .

ثمة قبضات واثقة تؤكد باصرار على ان يفتح لها . ضربات متوترة وعنيدة يرتج لها فراغ الغرفة نفسه ، فاستوى جالسا ، بينما وجوه الاطفال المتطفلة تختفى من ساحة النافذة ، يصغى بكل خوفه الى تلك الطرقات وهى تلح وتزداد شراسة ، يفكر فى كل الاحتمالات فلا يستطيع ان يعرف شيئا عن القـــادم ، وربما عن القادمين الـــذين ما عادوا يترفقون بالباب .

النهار فى منتصفه ، وهو قد قرر الاعتصام فى داره مهما كانت اجراءات الشركة والتى يمكن لها ان تصل حد هدم السقف فوق راسه ، ولكن الباب الذى لم يقرع منذ زمن طويل شده اليه . مشى كالقط الحريص باتجاه الباب الخارجى ، ثم الصق اذنه بالخشب الذى كان يتنفس ايضا .

كانت الضربات قد توقفت فجاة ، وقد بلغته انذاك اصوات مختلطة لرجال لم يستطع ان يقدر عددهم ، فاحتبست الأنفاس فى صدره بانتظار شيء ما قد يحدث . وفجاة عاودت القبضات الغليظة دقها على الباب ، وهتف به صوت خشن من الخارج ، وكانه يخرج عن فم كمم بكيس من القنب : «افتح الباب» .

فلبث صامتا تتملكه حيرة لم يعرف لها حدودا : «افتح الباب بالحسنى» .

فعض على شفته فتالم ، ولكن عقله كان لا يعمل .

واستطاع المعلم بعد قليل ان يتبين قول واحد من الرجال يتحدث : «مادام لن يفتح الباب ، فلنقتحمه اذن» .

ثم همس اخر بليونة رجال المكاتب ، فاخترق الهمس خشب الباب المعتق وكذلك جدار القلب المرتعش :

«اكسروا الباب ، وهناك سنجده مشنوقا بحبل الغسيل»

واكمل بانتصار مرح :

«لن يسال احد عن رجل مجنون له هواية فى شنق نفسه» .

انذاك تراجع المعلم مذعورا ، فى اللحظة التى كانت فيها كتلة ثقيلة تدفع الباب باصرار متواتر لا يعرف التراجع .

كان الرجال فى الخارج قد تحولوا كما بدى له الى كتلة متماسكة تضغط الباب الخارجي ، فتتخلخل المفصلات الحديدية الضخمة ،، وكانها ضرس يقاوم كلابة الطبيب . وعرف المعلم ان الباب سيسقط لا محالة ارضا خلال لحظات معدودات ، وهو الذى اعتز به الاجداد لصلابته يقف فى وجه الجنود الغرباء او اللصوص . انذاك قرر الا يستجيب للانذار الاخير الذى وصله عبر الباب المتهاوى تحت اقدام المقتحمين ، فهرع مسرعا كالبرق الى غرفته يغلق الباب فبلغه صوت المعاول تزداد حيوية ترتج لها الجدران والارضية وكذلك البساط من تحته .

نظر المعلم باسى الى التراب المتساقط من السقف ، ثم واجه الرجال الذين كسروا باب الغرفة الذى لم يكن اصلا بقوة باب الدار ، وتدفقوا نحوه ، واجههم بنظرة لم تحمل اى معنى . وفى تلك اللحظة تهاوى جزء من السقف ، وطقطقت اعمدة الخشب بالوانها الجميلة لتتساقط الواحدة تلو الاخرى ، فتلحق بها عاصفة من تراب طمر كل شيء فى المكان ، الذى تحول فى غمضة عين الى شيء اشبه بالمقبرة التى اخرجت الزلازل احشاءها ، فاختلطـــت الرؤوس بالايـــادى بالسيقان بالاحذيـــة بالنظرات الجاحظة بالخراب بالمعاول ...

ـ ٧ ـ

قال المعلم لنفسه فى وحدته التى لا تطاق :

«لاباس ، باع اهل الحي كل شيء .. ولكني لم افعل» .

ثم زفر باسى :

«لن اغادر الدار مهما حدث» .

وليد إخلاصي ـ حلب



هل تعلم

عبد العزيز
السيد المصري

ماذا يحدث لو لم يكن في الجو غبار؟

هل يكون العالم افضل مما هو عليه الآن إذا لم يكن هناك غبار ؟ علينا اولا ان نعرف ماهية الغبار ومكوناته .. فهو يتكون من جزيئات دقيقة من التربة او من مواد صلبة اخرى .. وتكون هذه الجزيئات خفيفة إلى درجة ان الرياح تستطيع حملها . من اين تاتى تلك الجزيئات او الذرات ؟ ربما من نباتات ميتة او مواد حيوانية متحللة او من املاح البحر او من رمال الصحراء او من حمم البراكين او من رماد المحروقات او من الهباب المتصاعد من المداخن او عادم السيارات والآلات الاخرى .

ونحن ـ عموما ـ لا نحب الغبار ولا نرغب فيه لما يسببه لنا من ضيق وامراض ، ولانكاد ندرك له اية فائدة .. وربما يدهشنا ان نعلم ان هذا الغبار الكريه يؤدى وظيفتين هامتين احدهما جمالية فنية فهو يساعد على جعل عالمنا الارضى اكثر جمالا وبهاء فلولاه لما كانت اضواء الفجر والغسق الرائعة التى تنشرها ذرات الغبار المعلقة فى الهواء حين تعكس اشعة الشمس فتجعلنا نرى ضوءها على الارض قبل الشروق وبعد الغروب ولما كانت الالوان المختلفة لضوء الشمس الساحرة التى تحدث عن انعكاس اشعة الشمس بزوايا مختلفة على ذرات هذا الغبار او بخار الماء السابحة فى الهواء .. ولما اصطبغ الأصيل بلون الذهب والشفق بلون الورد حيث تجعل هذه الذرات اشعة الشمس الحمراء اخر ما يختفى من المنظر ..

اما الوظيفة الاخرى للغبار فهى دوره الاساسى الذى يقوم به لاسقاط المطر ، فبخار الماء المعلق فى الهواء ما كان ليتحول بسرعة إلى سائل إذا لم تكن هناك جزيئات الغبار الدقيقة التى تتحول كل منها إلى مركز او نواة لكل قطرة ماء ولهذا فان السحب والظل ، والضباب ، والمطر إنما هى فى اعداد لا حصر لها من ذرات الغبار المحملة بالرطوبة .





كما تتميز الطيور بالريش تتميز الثدييات ومن بينها الانسان بالشعر . لماذا كان للثدييات شعر ؟ هناك اسباب متعددة تعال نتامل بعضها .

إن القيمة الاساسية للشعر هى انه يصون حرارة البدن . ولكنه فى المناطق الاستوائية يؤدى وظيفة مغايرة ، فهناك انواع معينة من الحيوانات الاستوائية يحميها الشعر من ضوء الشمس المباشر . والشعر الطويل جدا الذى ينمو على اجزاء معينة من جسم الحيوان يؤدى عادة بعض الخدمات الخاصة فمثلا شعر اللبدة او العرف قد يحمى رقبة الحيوانات من اسنان اعدائها . كما تعمل الذيول كمذبات (كمنشات) لطرد الحشرات . كما ان العرف له اثره فى اجتذاب الجنس الآخر . ويتحول شعر القنفذ الى درع من الأشواك الحادة تمكنه من مهاجمة عدوه .. ويقوم الشعر احيانا بوظيفة عضو اللمس .. فشوارب القطط بها اعصاب خاصة تستجيب سريعا للمس .

وهكذا نرى ان الشعر يؤدى وظائف وخدمات مختلفة للثدييات المختلفه .. وماذا عن الانسان ؟ نعرف جميعا كيف يجذب شعر المراة الجميل الرجال .. ولكن علينا ان نعترف بان شعر الانسان كان يلعب قديما دورا عمليا اكثر مما هو الآن .

عندما يولد مولود يكون مغطى بوبر ناعم رقيق وسرعان ما يحل محله شعر ضعيف نلاحظه فى كل طفل ، ثم تاتى مرحلة البلوغ وتتحول هذه الطبقة من الشعر الى طبقة الشعر التى عند كل بالغ . ويتحكم نمو طبقة الشعر عند البالغ غدد الجنس . فهرمونات الجنس عند الذكر تعمل على نمو اللحية وشعر الجسد كله بينما تحد من نمو شعر الراس .. او تعمل على ان ينمو لكن ببطء . اما عمل هرمونات الجنس عند الانثى فهو العكس .. إذ يطرد نمو شعر الراس بينما يكف نمو اللحية وشعر الجسد كله .. وهكذا لا يكون للمراة لحية بسبب أن غددا وهرمونات متنوعة تعمل عمدا على منع هذا النمو .

ولكى نوضح لماذا كان الامر كذلك .. لماذا تعمل غدد وهرمونات الرجل على المراد نمو لحيته .. قد يكون علينا ان نرجع إلى تاريخ الانسان الأول .. إلى الوقت الذى كانت فيه وظيفة اللحية ان تميز الرجل من المراة بسهولة من مسافة بعيدة .. وربما كانت ايضا اعطاء الرجل مظهرا للقوة والجلال .. وكذلك تجعله أكثر جاذبية وإثارة للمراة .. فقد كانت الطبيعة تساعد الرجل على ان يجتذب الجنس الآخر تماما كما تفعل مع المخلوقات الاخرى .

وتختلف كمية الشعر من اناس إلى اخرين فذوو الشعر الأشقر يكون شعرهم انعم واكثر من ذوى الشعر الاسود اما ذوو الشعر الاحمر فشعرهم اخشن واقل من غيرهم .

وقد قيست نسبة نمو الشعر ووجد انها تصل إلى نصف بوصة فى الشهر . ولكن الشعر لا ينمو بنفس النسبة طول اليوم ويبدو انه يتبع نوعا من الايقاع . ففى الليل ينمو الشعر ببطء وما إن يبدو النهار فان النمو يزداد ويبلغ اقصى سرعته فيما بين الساعة العاشرة والحادية عشرة صباحا ثم ينمو الشعر ببطء مرة ثانية ثم تزداد سرعته فيما بين الساعة الرابعة والسادسة بعد الظهر ثم يعود إلى البطء بعد ذلك . وطبيعى ان هذا الاختلاف فى سرعة النمو يستحيل ملاحظتها ، فلا تتوقع ان تقف امام المراة الساعة العاشرة صباحا لتتمكن من رؤية شعرك وهو ينمو ممتدا إلى اعلى .

لقد قيل لو ان الشعر الذى ينمو على جسم إنسان ما نما على شكل سلك واحد متصل لكانت نسبة نموه فى الدقيقة هى ١٫٢ بوصة فى الدقيقة ولوصل طوله فى نهاية العام إلى ٣٧ ميلا .

جزيرة الكنز

والفنان الذي أحبه ملايين الأطفال

بقلم: جمال الكناني

قد يتبادر للاذهان ان الاديب الذى ينتج مثل هذه القصص الخالدة لابد وأن يكون قد كرس حياته ووقف جهوده على ناحية القصص من الادب ... لكن الواقع يخالف ذلك تماما فى حالة «روبرت لويس» لأن حصاده من الشعر الرصين مثلا ـ غير ما كتب من مقالات وكتب ـ يجعله بحق احد فحول شعراء اسكتلندة ، فهو عند مواطنيه من الاسكتلنديين لا يقل عن «روبرت بيرنز» .

ولد «روبرت لويس ستيفنسن» فى يوم ١٣ نوفمبر ١٨٥٠ فى مدينة «ادنبرة» عاصمة اسكتلندة ... وكان ابوه مهندس منارات وموان ، وهى مهنة احترفها اجداده فكان من الطبيعى بعد ان التحق الابن «روبرت لويس» بجامعة «ادنبرة» فى نوفمبر ١٨٦٧ ان يتوقع ابوه منه ، ان يدرس الهندسة ليكون كابيه وجده وجده الاكبر مهندسا للمنارات والموانى . ولكن كان للابن رأى اخر احتفظ به لنفسه اول الأمر .

كان «روبرت لويس» غلاما مبكر النضج قضى طفولته منطويا على نفسه مطمورا فى تلافيف خياله ويرجع ذلك من ناحية الى ان الغلام كان مصدورا .. وكانت اسرته لذلك تقضى فترات فى الريفييرا الفرنسية نظرا لدفء جوها .. وكان الغلام كثير القراءة ، تعرف منذ البداية على شكسبير ومسرحياته ، وكانت امه تقرأ له «ماكبث» بصـــوت مسموع .. واكتشف «روبرت لويس» بعد ذلك «دوماس» و «سكوت» و «ثاكرى» ، وبدأ يقلد فى كتاباته اساليب هؤلاء الكتاب ويكتب القصائد والمقالات واخذ ابوه يشجعه وينمى فيه ملكة الكتابة دون ان يجول بخاطره ان ابنه قد يحترف الكتابة ويتخذها مهنة لكسب قوته ... فلما دخل روبرت لويس الجامعة اصطدمت رغبته فى احتراف الادب برغبة ابيه الذى اراده ان يحتفظ بتقاليد الاسرة ويدرس الهندسة .

وتظاهر الابن اول الامر بالامتثال لرغبة ابيه ولكن ميله للادب كان شديدا لا يقاوم .. وتصادم مع ابيه وتوترت العلاقات بينهما وانتهى الامر بان اقترح الابن حلا وسطا وهو ان يدرس القانون ، وكان يعرف إذ ذاك عددا من مشاهير الكتاب ممن درسوا القانون .

ولم يقتصر الخلف بين الأب وابنه على مادة الدراسة وحدها بل تعداها الى اتجاهات الابن السياسية والاجتماعية والدينية .. وكان الأب «كالفينيا» متزمتا .. وانضم الابن لجماعة تنادى بالحرية والعدالة . ويذكر «روبرت لويس» ان جدلا شديدا حول الدين دار بينه وبين ابيه فقال الأب «لقد شقيت من اجلك وبذلت جهدى لاسعادك وفى النهاية اجد انك تعارض تعاليم السيد المسيح ..... خير لي الف مرة ان اراك مسجى فى قبرك عن ان اراك تزعزع إيمان غيرك من الشباب وتجر العار على بيوت اخرى كما جلبته على بيتنا» .

هذه هى الطريقة

وتاثر روبرت لويس نفسيا بما حدث وكتب فى ذلك لسيدة فاتنة ذكية تكبره باثنى عشر عاما كان قد تعرف عليها فى صيف ١٨٧٣ ، اسمها «مسز ستلويل» ، كانت تعيش مـــع ابنهـــا .. امـــا سبب شكوى «روبرت لويس» لهذه السيدة فهو انه كان قد اعلن لها حبه وانه وقع فى غرامها .. وحاول ان يبنى معها علاقة قوية ولكنها صدته فى رفق .. وكان اقرب اصدقاء هذه السيدة هو «سيدنى كولفن» ، النـــاقد الفنى الذى صـــادق «روبرت لويس» مدى حياته رغم علمه بانه مغرم بالسيدة التى كان هو ـ كولفن ـ يعتزم الزواج منها .. بل وتزوجها فى اخر الامر .

ووضع «روبرت لويس» لنفسه برنامجا يدرب نفسه بموجبه على الكتابة بعد ان كان قد قرأ كثيرا وجرب الكتابة باساليب مختلفة فى الشعر والنثر جميعا ... وكان على حد قوله : «يعيش منذ طفولته مع الكلمات» . ولقد حاول الكتابة اولا بالاسلوب الوصفى ولكنه ادرك انه لن يصل الى هدفه عن هذا الطريق فبدأ مرحلة التقليد .. تقليد اساليب الادباء ..

وهو يقول فى ذلك «كلما قرأت كتابا او فقرة اعجبتنى بصفة خاصة لما فيها من قوة ظاهرة ، امسكت بقلمى وحاولت تقليدها . وكنت افشل فى ذلك وادرك مدى فشلى فاحاول ثانية وافشل ... ويتكرر الفشل ، ولكنى رغم عدم توفيقى استطعت ان اكتسب الخبرة والقدرة على التحكم فى الايقاع والهارمونيا وبناء الجمل وتنسيق اجزائها وهكذا لعبت دور المقلد المجد المثابر ، لأدباء مثل «هازلت» و «لام» و «وردزورث» و «ديفو» و «مونتانى» و«بوديلير» ، وهذه شئت او لم اشأ هى الطريقة التى تعلم الكتابة ... وسواء افدت منها أم لم افد ، فهذه هى الطريقة».

ولم يكتف هذا الشاب المقلد بالتقليد بل انه عمل جاهدا على اتخاذ موقف يمكنه من مراقبة غيره من الناس ... واحس كلما اكتمل نضجه بوجود غوامض اخلاقية فى الطبيعة البشرية كما احس بالصعوبات التى يصادفها الانسان إذ يحاول ان يفرق

اجيـــال من اطفال العالم قرأوا قصـــة « الدكتور جيكل » ومستر هـــايد » لكنهم ـ ربما ـ لم يعرفوا أن مؤلف هـــذه القصـــة « روبرت لويس ستيفنسون » هو اول كاتب استطاع أن يبلور فكرة الخـــير والشر ، وأن يجمعهما فى جســـد واحـــد . ولـــو أن « ستيفنسون » لم يكتب غير هـــذه القصـــة لكتب لـــه من الخـــلود فى عـــالم الادب ما يتمتع به اليوم .. لكن «ستيفنسن» كتب ما هو افضل من «الدكتور جيكل والمستر هايد» فهو صاحب احسن قصة مغامرات كتبت للأولاد فى اى ادب .. ونعنى «جزيرة الكنز» التى ظهرت على الشاشة البيضاء افلاماً متعددة ناطقة بلغات عدة ... اما القصة ذاتها فستبقى على الدهر احب القصص الى قلوب الاولاد على اختلاف اجناسهم .. وهناك كذلك قصته المشهورة «اختطاف» ، ولها بين القراء شعبية خاصة .. اما اروع ما كتب «ستيفنسن» وهى قصة «سيد بالانتريه» والتى نشرت فى سبتمبر عام ١٨٨٩ ، بعد «الدكتور جيكل» بثلاثة اعوام ، و «جزيرة الكنز» بثمانية اعوام ، فتكاد أن تكون غير معروفة بين عامة القراء .

تفريقا مطلقا بين النواحى الاخلاقية المختلفة .

واقبل اديبنا الشاب اثناء فترات إقامته فى فرنسا على دراسة تاريخها وادبها فى القرن الخامس عشر وظهرت آثار ذلك فيما كتب من مقالات عن «تشالز اورليان» . و «فرانسوا فيون» . وفى زيارة من هذه الزيارات المتكررة لفرنسا ، قابل روبرت لويس سيدة امريكية متزوجة ، تكبره بعشرة اعوام ، تعيش فى فرنسا بعيداً عن زوجها الامريكى الذى كان يعولها رغم بعدها عنه .. وللمرة الثانية وقع «روبرت لويس» فى غرام إمرأة تكبره سناً إذ وقع فى حب هذه الامريكية ، التى كانت تدعى فرانسيس فانى ماتيلدا فان دى جريفت من مواليد ولاية إنديانا عام ١٨٤٠ ... وكان لهذه السيدة مع زوجها قصة طويلة ليس هذا مجال سردها .. وتم انفصال الامريكية عن زوجها بعد حوالى عامين من لقائها بالاديب «روبرت لويس» الذى حاول جاهداً ان يقنع ابويه بقبول فكرة زواجه من سيدة غير اسكتلندية ، تكبره سناً ، مطلقة وام لاطفال من زوجها الاول ... واستعان روبرت لويس فى ذلك باصدقائه ومن بينهم حبه الاول ـ مسز ستلويل ـ وكانت لها كلمة مسموعة عند ابويه .

ووافق الابوان فى نهاية الامر على الزواج ... وتزوج «روبرت» من «فانى» يوم ١٩ مايو ١٨٨٠ ولعلنا نذكر هنا ان هذه الزيجة رغم فارق السن واختلاف الجنسية كانت زيجة موفقة للغاية وكانت «فانى» بحكم سنها تحنو على زوجها حنو الام ، وهو ما كان فى امس الحاجة اليه بسبب العلة التى كانت تاكل صدره .

كان «روبرت لويس ستيفنسن» مصاباً بذات الرئة ، تنتابه نوبات نزيف حاد يلزمه الفراش ، وكانت حدة النوبات تهدد



روبرت لويس ستيفنسون
كتب احسن قصة مغامرات للاطفال

حياته باستمرار ، فعاش يتوقع الموت كل لحظة .. وهذه العلة ذاتها هى التى اضطرته لهجرة بلاده التى كان يتفانى فى حبها ... كان يقضى فترات من عمره فى فرنسا وسويسرا وانتهى به الامر ان رحل الى جزر ساموا فى المحيط الهادى وفيها وجد المناخ الذى يناسب صحته فقضى آخر ايامه فيها ينعم بشىء من العافية وقسط من السعادة . واحبه اهل ساموا وشيوخ قبائلها وتفانوا فى خدمته لانهم لمسوا حبه لهم ولبلادهم وعرفوا انه اوصى بان يدفن فيها على راس تل يجاور داره .... فلما وافته المنية حمل السكان فؤوسهم وشقوا طريقا على سفح التل ، وعند قمته حفروا قبره ودفنوه فى البقعة التى اختارها مستقراً له .

كان ستيفنسن اديبا لا يدع فرصة تفلت من يده ، فقد حدث مثلا ان سمع باستقالة استاذ التاريخ بجامعة ادنبرة ، ففكر فى التقدم لملء هذا المكان الشاغر وعكف لفترة على البحث فى تاريخ اسكتلندة لكى يؤهل نفسه لشغل المنصب الجامعى ... والبحوث التاريخية التى قام بها لها دلالة كبيرة ، إذ انه اكتشف حقبة من تاريخ اسكتلندة اتخذها فيما بعد اساساً نسج حوله قصته «اختطاف».

وبالمثل نجد انه افاد من مشاركته للاديب «وليام إرنست هنلى» عام ١٨٧٨ فى كتابة مسرحية «ديكون برودى» وبطلها نجار اثاث ماهر كان له مركز اجتماعى محترم فى ادنبرة ، رغم انه كان لصاً ليلياً مرعباً لم يكشف الناس سره . وما كان من ستيفنسن بعد ذلك إلا ان كتب فى عام ١٨٨٥ قصته الخالدة «دكتور جيكل ومستر هايد» التى نشرت فى يناير ١٨٨٦ وبيع منها فى بريطانيا وحدها اربعون الف نسخة خلال الاشهر الستة الاولى وقرأها من الناس من لم يقرأ القصص الخيالية من قبل واقتبس منها الخطباء وزخرت الصحف والمجلات بالحديث عنها والاشارة اليها . وموضوع الرواية هو الخير مجسماً فى دكتور جيكل والشر ممثلا فى مستر هايد ... الخير والشر معاً فى طبيعة الشخص الواحد . وتعتبر هذه القصة اقوى ما كتب عن ازدواج الشخصية او انفصامها . وهى تلقى ضوءاً قوياً على الطبيعة البشرية وتشرح بعض ما فيها من متناقضات .

قضى «روبرت لويس» فترة فى مدينة بورغاوث فى جنـــوب انجلترا سعيا وراء

الدفء والعافية قبل ان يرحل الى امريكا ومنها الى البحار الجنوبية التى زار فيها تاهيتى وهونولولو وجزر جلبرت وساموا فى نهاية مطافه ... وفى بورنماوث تعرف على عدد من الادباء وفيها كون صداقة من اقوى الصداقات واعزها ، مع شيخ الادباء هنرى جيمس ...

كان جيمس قد نشر مقالا بعنوان «فن القصة الخيالية» فى مجلة لونجمان فى سبتمبر ١٨٨٤ وقرأ ستيفنسن ذلك المقال واعجب به كثيرا لان الكاتب اكد فيه مسئولية الكاتب القصصى الفنية . وكان فى المقال ما حرك شهية روبرت لويس على معارضة بعض ما ذهب اليه هنرى جيمس .. كما احتوى اشارة تقريظ ومجاملة لرواية «جزيرة الكنز» ... ورد روبرت لويس على هنرى جيمس رداً رقيقاً مهذباً نشرته مجلة لونجمان نفسها .. واحتوى الرد راى روبرت لويس ونظريته الخاصة بالقصة الخيالية .. جاء فى المقال ..

«الحياة بشعة رهيبة ، لا نهائية لا منطقية ، مفاجئة حادة ، اما العمل الفنى فهو بالمقارنة رتيب له نهاية وحدود ، له اكتفاء ذاتى ، عقلانى ، سلس ، عاجز ..

والحياة تفرض ارادتها عن طريق طاقة وحشية كالرعد الهادر ، اما الفن فيجذب السمع كالهواء الذى تدفعه آلة موسيقار رقيق .

كان جيمس قد ذهب فى مقاله إلى ان الروائى فى الواقع ، ينافس الحياة .. ورد عليه ستيفنسن بقوله «إن النظرية الهندسية لا تنافس الحياة ، والنظرية الهندسية قرين مقبول للعمل الفنى ..

كلاهما معقول وكلاهما يدخل ضمن الطبيعة دون ان يمثلها ايهما ، وتتواجد القصة التى هى عمل فنى لا بما فيها من شبه للحياة ، وهو مادى مفتعل ، ولكن بما فيها من فروق واختلاف عن الحياة» ...

واستطرد المقال فى تحليل ما ذهب اليه جيمس والرد عليه فى ادب ورقة .. وفرح جيمس إذ وجد اديباً يستطيع ان يناقش موضوع القصة الخيالية مستعيناً بارائه



والافكار الخاصة ... فكتب الى روبرت لويس رسالة بتاريخ ٥ ديسمبر ١٨٨٤ جاء فيها «انها لمتعة حقا ، فى هذا العصر اللااخلاقى ، ان اصادف شخصاً يستطيع الكتابة ويعرف طبيعة هذا الفن الجميل تماما» ورد روبرت لويس معبراً عن امله فى ان يستمر الحوار .

بعد ذلك زار جويس ذلك الاديب الذى ادخل السرور على قلبه ، ونمت بين الاديبين صداقة متينة ، فلما اضطر ستيفنسن للرحيل عن انجلترا كان جويس الوحيد من بين اصدقائه الذى قدر تماما ضرورة ذلك الرحيل ، رغم انه اسف عليه وحزن لفراق صديقه .

قضى روبرت لويس بعد رحيله من انجلترا فترة طويلة على ظهر احدى السفن التى كانت تبحر من جزيرة الى جزيرة فى المحيط الهادى ، فكان اشبه ما يكون بملاح تائه ، وعبر هو عن ذلك بقصيدة جميلة جاء فيها :

لم يعد الوطن وطنى .. فاين اجول ؟
الجوع يدفعنى فلاذهبن الى حيث يقضى القدر
ريح الشتاء تهب صرصراً فوق التل والنجيل
والمطر يهطل مدراراً ولا سقف لى غير التراب

وحدث ان مات ابن مسز ستلويل ، حبه الأول ، فحزن عليه روبرت لويس حزناً عميقاً ونظم قصيدة تعتبر من أروع شعره ، جاء فى مطلعها :

واذكر أيها القلب المكلوم ، تذكر ، تذكر
كيف عاش احلى ايامه فى دفء الحياة
واينعت زهور نيسان ، وما هبت
ريح ديسمبر الباردة على راس او على قلب

بعيداً عن الوطن

كانت «فانى» زوجة روبرت لويس ستيفنسن لا تدخر جهداً فى العناية به ورعايته وإبعاد كل ما يمكن ان يقلقه .. وفى سبيل ذلك ، كانت تصطدم باصدقاء صباه الذين رافقهم ايام عزوبته بل وكانت تختلف مع زوجها للسبب نفسه . وكان قلقها على صحته يتجلى فيما يرتسم على وجهها من وجوم وفى إمعانها فى «الدق» على زوجها .. وكتب لويس ستيفنسن فى ذلك لصديقه جيمس فى يناير ١٨٨٧ يقول «زوجتى كما تعرف ، امراة لها فى الفن نصيب ، فن استخلاص وجوم الكسوف من ضوء الشمس ، ولقد بذلت مؤخراً فى ذلك جهداً كبيراً ... اختلفت مع زوجتى ذات ليلة فهاجمتنى فى وحشية لانى لا أريد أن اعيش كما يعيش طير الكنار ، ولا أريد ان تصبح حياتى كحياة «الملك لير» ... وسرعان ما تبينا ، انا وهى ، ان جثتى المتصارعين مطروحتان على ارض المعركة ، اردى كلا منهما سهم الحق ... فحمل كل منا جثة صاحبه فى رفق وحنان» .

فى يوم ٨ مايو ١٨٨٧ مات الاب طوماس ستيفنسن ، وكان ابنه روبرت لويس قد عاد الى ادنبرة لما علم ان اباه فى النزع الاخير .. والمؤلم انه لم يستطع الاشتراك فى جنازة ابيه لان وعكة شديدة الزمته الفراش ... وبموت الاب اصبح روبرت لويس فى حل من كل ارتباط باسكتلندة او بريطانيا باسرها فحمل ما

ورث عن ابيه ـ ٣٠٠٠ جنيه ـ وصحب زوجته وابنهـا وامه وخادمة وابحروا على ظهر الباخرة «لدجيت هل» يوم ٢٠ اغسطس ١٨٨٧ . وادرك روبرت لويس عند وصوله الى امريكا ان له مكانة مرموقة فى عالم الادب هناك وانهالت عليه العروض ، وقبل ان يكتب ١٢ مقالا فى السنة لمجلة «الكاتب» لقاء مكافاة سنوية قدرها ٧٠٠ جنيه ... والحت عليه العلة فلم يطل مقامه بامريكا بل اضطر للرحيل الى بحار الجنوب ينشد فيها الدفء والصحة والعافية .

ولم تنقطع صلة روبرت لويس بصاحبه هنرى جيمس رغم بعد المشقة ، فكانا يتبادلان الرسائل بانتظام . ونذكر أن روبرت لويس أحس وهو يكتب رائعته «سيد بالانتريه» أن القصة ستكون احسن ما كتب ولم يشا ان يحتفظ لنفسه بهذا السر فكتب لجيمس فى مارس ١٨٨٨ يقول «قصتى الجديدة تراجيديا ، اتممت منها اربعة اجزاء من ستة او سبعة ... الخمسة اجزاء الاولى عن ماساة إنسانية ، وهى جيدة ، ولكنى اسف ان اقول إن الجزئين الاخيرين ليسا على ما يرام ... انا لم احسن تصميمهما واكاد اتردد فى كتابتهما .. فيهما ما قد يشين او يحط من قيمة الاجزاء الاولى ... ليتنى اعرف العلاج ... هكذا طافت القصة بخاطرى .... الاخ الاكبر يرحل ويبقى الاخ الاصغر . ويحصل الاصغر على اللقب والممتلكات ويتزوج خطيبة الاخ الاكبر وكان يحبها ... لكنها تحب الاخ الاكبر ... هذا هو الموقف .. هل اتضح لك ؟ ... يختفى الاخ الاكبر لفترة ثم يعود ويعيش مع الاسرة ويبتز مالها .. وهنا مصدر الماساة الحقيقية .. صراع بين شقيقين !!

وتتميز القصة بما أصاب ستيفنسن من نجاح هائل فى ربط ما فيها من حركة وافعال بما لها من جو ثم ربط الاثنين بطبيعة المكان ... وقصة «سيد بالانتريه» عمل ادبى رائع افرزه جهد روائى متمكن استطاع ان يستعرض ويحقق فيها كل مواهبه ... وكتب ستيفنسن الى صديقه كولفن ـ زوج مسز ستلويل الثانى ـ فى يناير ١٨٨٩ يقول ان هذه القصة «تحتوى من العمل الانسانى اكثر مما تحتويه اية قصة من قصصى فيما عدا «اختطاف» .

كان ستيفنسن وهو فى غربته بعيداً عن وطنه اسكتلندة يحس بحنين جارف لذلك الوطن ولاصدقائه فيه ويحس فى قرارة نفسه انه خذلهم ببعده عنهم وهجره لهم فكان يكثر من كتابة الرسائل يرد بها على من يطالبون بعودته .. من ذلك انه كتب لصديقه كولفن «احس وكانى خائن للصداقة ولكن قد تغفر لي إذا عرفت كيف يصلح هذا الجو الاستوائى صحتى ... تذكر حالتى وانا فى ارض الوطن ثم تصورنى اليوم اسبح فى البحر وازرع الارض مشيا ، سعيداً محبورا ، ولابد انك ستعترف بان ما انا تحته من الاغراء ، قوى للغاية ... ولما كانت إقامتى هنا تعود علي بالنفع والفائدة فمن الجنون والحماقة ان اعود الى الوطن» .

وكتب لصديقه هنرى جيمس يشرح الموقف نفسه «انا لاشك غير مخلص للصداقة ولكن تامل موقفى ثم احكم علي .. لقد نعمت بقسط من سرور ومتعة خلال الاشهر الماضية يزيد عما شعرت به طول حياتى قبل ذلك ، واحسست بقدر من الصحة والعافية اكبر مما شعرت به خلال السنوات العشر الماضية» ... وكان جيمس وحده هو الذى قدر الموقف وفهم ما قال صاحبه المريض فكتب اليه يقول «غاية ما كان يمكن ان يصادفنى من حظ سعيد هو ان اقرا ما خطت يدك من انك تحس الآن بشىء من الصحة والعافية ، ولو انك استطعت ان تستكمل صحتك تماما خلال عام فسوف اصبر على فراقك طول اشهر عجاف ... ومع ذلك فستكون وحشتى اليك شديدة» .

عند رأس التل

واستقر المقام بروبرت لويس ستيفنسن فى ساموا واشترى حوالى ٣١٤ فدانا من الارض قررت زوجته «فانى» ان يزرع فيها الكاكاو والاناناس والفانيليا ، وعمل هو على توسيع البيت الذى كان يسكنه حتى اصبح الطابق العلوى يتالف من خمس غرف للنوم ومكتبه والطابق الارضى من ثلاث غرف وحمام ومخزن وقبو وشرفة على طول واجهة الدار ... وكان السكون يخيم على جو البيت فلا يسمع فيه إلا هدير امواج البحر وهى ترتطم وتتحطم على رمال الشاطىء .. وكانت «فانى» زوجة روبرت لويس مضيافة تكثر من إقامة الحفلات تدعو اليها قناصل الدول وكبار الموظفين وكان هو يوجه الدعوات لرجال البحرية وشيوخ القبائل واعيان الجزيرة .

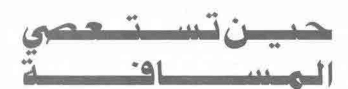
ولقد ثبت بالدليل القاطع ان روبرت لويس قضى اخر عامين من حياته فى هم وقلق على حالة زوجته العقلية وتصرفات بعض افراد الاسرة ومنهم «لويد» ابن زوجته «فانى» الذى كان يعاشر احدى فتيات ساموا معاشرة الازواج مما سبب لامه وزوج امه هما شديدا .

فى يوم ٣ ديسمبر ١٨٩٤ بدا ستيفنسن يومه نشيطا متحمسا للعمل فعكف على الكتابة ولم يتوقف إلا بعد الظهر ، ليرد على بعض الرسائل ، ثم نزل الى الطابق الارضي ليرفه عن زوجته ويطرد عنها ما كانت تحس من قرب وقوع كارثة ... ثم نزل الى القبو ليحضر زجاجة شراب للعشاء وعاد الى الشرفة حيث كانت «فانى» ... وعاد يلاطفها .. وفجاة رفع يديه الى راسه وصرخ «ما هذا ؟» ثم قال «هل ابدو لكم غريبا ؟» وما ان اتم سؤاله حتى سقط على ركبتيه امام زوجته وغاب عن الوعى .. ونقل الى فراشه ولكنه لم يعد الى وعيه ثانية ومات فى الساعة الثامنة وعشر دقائق من ذلك المساء .

ووجم اهل الجزيرة ، ثم راحوا الى سفح التـــل القريب من بيت عزيزهم الراحل وشقوا طريقا . وعند راس التل حفروا له قبرا ... وبعد ظهر اليوم التالى لموت ستيفنسن حمل الاهالى نعشه على اعناقهم ثم واروه التراب .. ونقش على القبر ابيات من قصيدة كان قد كتبها الراحل قبل ان يعرف انه سيقضى بقية ايامه بعيداً عن وطنه :

هنا يرقد حيث تمنى ان يكون
عاد الملاح لوطنه ... عاد

جمال الكنانى



شعر : عبدالرحيم عمر



بيني وبين احبتي دهرٌ من الاشواق
دلّوني على دربٍ نهايتُهُ الوصالْ .
بيني وبينهم « بريد الجسر » و « البثُّ المباشرُ » والمحال
والبعدُ : عَرْضَ النَهْرْ
والأردنّ غاص وضاق لكنَّ اجتياز الماء
حُلْمٌ بات يَخْشاهُ الرِّجالْ

● ●

ياحادي حادي العيس الذى ملأت قصائدُهُ البوادي السّاهره
من لي بحادى النّهر
يوقفه لتجتاز الجموع الصابرة ؟

● ●

جُـرِّعتُ ضيم القَهْر
فى المنفى ، وصــابَ القرّ ،
ما بين الشعاب الموحشات وبين لفح الهاجره
ودفعت اغلى المَهْرِ
اضعافاً مضاعفةً وَسلمى خلف جَهْم الافق يُغْريها التمنُّع والدلال

● ●

ادميتِ ايامي .
وانت على تخوم الضفّة الأخرى عروسٌ فى الحديدِ
وقد تناضل دونها العشاق
تبكي ، ثم تبسمُ والأحبة ينزفون وينزفون ولا كلال
وتكاد رغم الموت تترك قلبها
ليميل طوع النّار والدّم والحديدْ !

• •

يا ليت ان الفارس « البرّاق » لم ينهدْ
ولا غَدَرَتْ بمهرته الدّروبُ العاثرة !
لو جاء من دربٍ لَهُ فيه الموالي
لا فجاءات الليالي الجائرة !
يا ليته اسرى وقوصُ الغور يَحْجُبُه وتحرسه الجبالْ
فيظل حرزاً نرتجي إن حال حالْ
لو كشرت عن نابها فى ليلةٍ متامره !

• •

يا ذلّيَ الدامِي
ووِتْرى لا يزال يهزُّ نافذتي ، ويهتف بي ،
وانتِ على صليبكِ واتره !
تتناوش الآلام حسنك والزّوالْ
فاهبْ مرتاعاً وافْجَعُ ،
لم يعد فى جعبتي إلاّ ابتهالْ :

يا واهب الصبر الجميل !
أنِلْ مغنّيك المعنّىَ كلّ ما في الكون من صبرٍ جميل
فتشيعُ فى الاغوار غمغمةٌ ،
كأنّ صدًى من الاعماق راح
يُرَجّع : « الصبر الجميل » .
بِذلّةٍ مخبوءةٍ تطفو فيصفرّ السُّؤالْ

• •

عشنا وشفنا الفا معجزةٍ يحار لها الخيال
هابيلُ يُقْتَلُ كلّ يوم ،
والقاتل الجانِى الذى حطّت مراكبه على أَلَقِ النّجُوم
ما زال يعمل وِفْقَ شِرْعة جدّه قابيل فى الغاب القديم
والخيل ما زالت سنابكها تخوض دماءنا
فى القدس حتى اليوم
وكأنّها أَوْدَتْ بسالفها النّصال

• •

ولو انّ وجهك خلف ابعاد المهامه لاح
يسطع فى الدّجى
فتسابق الاحبابُ يحدوهم جمالُك والنّوالْ
ولو انّ منهم واحدا يوما بمعجزة نجا
ليحدث السّارين عن هَوْل الطريق
لرميت روحي غير غالية على ذاك الطّريق
او كنت برّرت اعتذاري بالمسافات الأبية ،
والهواجرِ ، والوجى .
لكن صوتك مستغيثا بي يُسافر فى دمي
فاراك فى عينيَّ ماثلةً ،
وفى جرحي الجديد ، وفى اغترابِي .
واراك طول الليل طارقة لبابي
واراك فى حلمي الظّمي
واراك مرثاة وملهاة تقيم على فمي
واراك فى حلقي شجى .
واراك فى شعري ، وفى كلماتي الولهى
وصوتك لا يزالْ
يستنهض الأمواتِ والأحياء .. لكن لا مجالْ
فالبعد عرض النّهر
تقطعه العصافير الصغيرة والجنادب ، والنّمال
اما لنا ، فالبعد عمق القهرِ ،
عمق البَحْرِ
عمق الدّهْرِ
ماساة يقالُ لها المالَ .

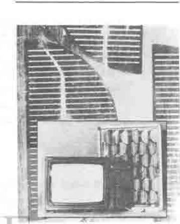
عبد الرحيم عمر ـ عمّان



العلم والمستقبل

تقديم: لبنى الريدي

تليفزيون شمسي!



التليفزيون الشمسي

أصبح استخدام الطاقة الشمسية لتشغيل العديد من الاجهزة ابتداء من السخان وجهاز التدفئة الى الراديو والالات الحاسبة امرا عاديا لا يثير ادنى قدر من الدهشة .

ولكن الفنلنديين يقدمون لنا الجديد فى هذا المجال.وهو جهاز تلفزيون يعمل بالطاقة الشمسية . ويتطلب تصميم مثل هذا الجهاز درجة عالية من الاتقان لتحقيق جميع الشروط اللازمة لعملية الاستقبال والتشغيل .

ولا تقل امكانيات التلفزيون الشمسى عن اى تليفزيون اخـــر.فهــو يستقبل الانظمة العالمية الثلاثة ويعمل بالتوجيه عن بعد . كما انه مزود بجهاز بحث اتوماتيكى عن المحطات يتيح اختيار ١٥ محطة مسبقا بحيث يحتفظ بها فى ذاكرته .

ويتصل بهذا التلفزيون الواح من الخلايا الشمسية عرضها ٤٧ سنتيمترا وارتفاعها ٥٥ سنتيمترا وهى تضم ٣٦ خلية شمسية مثبتة بين مرآتين بالاضافة الى منظم للتيار وكابل توصيل .

ويحتاج التلفزيون الشمسى الى طاقة كهربية تتراوح بين ١٢ فولت و ٢٤ فولت .

إلا ان الخلايا الشمسية لا تستطيع امداده باكثر من ١٧ فولت ولذلك يستخدم بطارية مثل المستخدمة فى السيارة تشحن بواسطة الخلايا الشمسية لتمد هى التلفزيون بالكهرباء . وتستطيع هذه البطارية تامين تشغيل التلفزيون لمدة ثلاثة ايام . اما المنظم فيحول دون تسرب الشحنات من البطارية ليلا .

ولا يحتاج هذا التلفزيون الى شمس ساطعة فهو يعمل فى ظل سماء ملبدة بالغيوم بل وفى الايام الممطرة ايضا .

جهاز إنعاش يتحدث إليك

لا غنى لفرق الاسعاف عن جهاز توليد الصدمات لدفع القلب للعمل مرة اخرى فى حالة الاصابة بازمة مفاجئة . إلا ان هذا الجهاز يحتاج الى عناية كبيرة والى تدريب على استخدامه .

ولذلك ابتكر الباحثون الامريكيــون جهازا روعى فى تصميمه امكانية استخدامه فى الاماكن العامة مثل المكاتب او الملاعب الرياضية او حتى فى منازل المرضى المعرضين لخطر الازمات القلبية .

ويتميز الجهاز الجديد بالاضافة الى صغر حجمه وسهولة نقله بامكانية ان يعمل ذاتيا دون الحاجة الى ممرض متمرن او طبيب . فبمجرد ربط اقطاب الجهاز الكهربية بجسم المريض يستطيع الجهاز تحديد ما اذا كانت انقباضـــات القلب ضعيفة بحيث لا تقوى على امداد الجسم باسباب الحياة . وفى هذه الحالة ينطلق صوت الجهاز ليطلب من الاشخاص الموجودين حول المريض ان يبتعدوا ليقوم هو خلال ثوان معدودات باعطاء المريض الصدمة الكهربية التى يحتاجها قلبه .

ويستمر الكمبيوتر الموجود داخـــل الجهاز فى مراقبة حالة المريض للتاكد من انه لا يحتاج لمزيد من الصدمات . وعند انتهائه من مهمته ينطلق صوت الجهاز مرة اخرى ليطلب ممن يقوم بتشغيله فصل الاقطاب الموصلة بجسم المريض ويشير عليه بالطرق العلاجية الاخرى التى قد يحتاجها .

وبالتالى يستطيع اى شخص غير متخصص استخدام هـــذا الجهـــاز فالتدريب عليه لا يستغرق اكثر من عدة ساعات .

احدث كاميرا فيديو



الكاميرا وجهاز التسجيل فى وحدة واحدة

الكاميرا الفيديو القادمة مصممة بحيث تشبه مجفف الشعر كما تبين الصورة . وهى اصغر واخف كاميرا فيديو انتج حتى الآن إذ لا يزيد وزنها عن ٦٩٠ جراما .

وتعتبر الكاميرا الجديدة خطوة هامة فى سبيل الوصول الى جهاز واحد يضم الة التصوير وجهاز التسجيل . فلايزال اصغر جهاز تسجيل فيديو يحمل حتى الآن على الكتف ويرتبط بالكاميرا بكابل غير عملى . ولقد سهلت اشرطة التسجيل الصغيرة المعروفة بـ ٨ ملليمتر عملية دمج الكاميرا وجهاز التسجيل معا فى وحدة واحدة بحيث تبدو وكانها كاميرا تصوير سينمائى تقليدية .

ومن ناحية اخرى تقدم شركة يابانية اخرى جهازا يضم الكاميرا وجهاز التشغيل ولكنه يستخدم اشرطة بيتاماكس عادية .

الروبوت العنكبوتى

يحلم المهندسون من فترة طويلة ببناء آلات تستطيع المشي وتسلق الدرج وتخطى الحواجز والعراقيل . ولقد نجحوا فى تحقيق هذا الحلم إلا ان هذه الآلات ظلت اجهزة تجريبية . ولذلك يعد هذا الروبوت ذو الاقدام العنكبوتية المبين فى الصورة تقدما مدهشا بالنسبة لقابلية الآلة للحركة والانتقال ذاتيا .

ولكن «اودكس» وهذا اسمه متعدد المواهب فهو يجمع بين الرشاقة والقوة . ففى العرض التجريبى الذى قام به تمكن من الصعود على قاعدة مرتفعة قطرها ٢٤ بوصة فقط دون ان يفقد توازنه . كما تسلق مؤخرة شاحنة «بيك اب» .

ومن ناحية اخرى فكل قدم من اقدامه الستة المصنوعة من الالومنيوم تستطيع رفع ٤٥٠ رطلا الى اعلى ، وفى وضع الثبات بامكانه حمل ١٨٠٠ رطل إلا ان حمولته تقل بعض الشىء اثناء الحركة لتصل الى الف رطل .

وتتميز اقدامه المفصلية بمرونة كبيرة بحيث يمكنه تغيير اوضاعها لتناسب الاحتياجات المختلفة التى تواجهه . فلتخطى العراقيل مثلا يمكنه رفع اقدامه كل زوجين معا . كما يستطيع تقريبها من بعضها .

ويعتقد مبتكروه انه مفيد جدا لأعمال المناجم وللاستخدامات العسكرية كما من المتوقع ان ينطلق «اودكس» قريبا الى الفضاء .



الروبوت العنكبوتى

مدلك آلى

يقدم اليابانيون سرير تدليك الى يدلك على الطريقة اليابانية ، وهو تدليك عميق تقوم فيه اطراف الأصابع بتنبيه نقاط ضغط معينة فى الجسم .

ولكن بدلا من اصابع المدلك الحساسة ثبت تحت الغطاء البلاستيك لهذا السرير المبتكر صف من البكرات الآلية المختلفة الاشكال والاحجام . وبتوصيل السرير بالتيار الكهربى تدب فيه الحياة وتبدأ البكرات فى الحركة والدوران فى مدار يتخذ شكل حرف «اس» فى اللغة الانجليزية . بحيث تقوم هذه الحركة المميزة الشبيهة بالنبض بملامسة وتدليك عدد من نقاط الضغط فى جسم الشخص المسترخى . وعدد هذه النقاط اثنتا عشرة موزعة ما بين العنق والقدمين .

ولقد روعى أن تكون البكرات القريبة من محيط السرير اسطوانية الشكل سطحها متعرج بعض الشىء بينما تلك المجاورة للعمود الفقرى فبيضاوية وبها بروزات مستديرة .

وعلى عكس الأسرة والمقاعد التى تهتز فقط فان بكرات هذا السرير المكسوة بالمطاط صنعت بشكل ، ووزعت على مواضع تجعل حركتها اشبه بحركة اطراف اصابع مدلك يابانى متمرس .

بالون طبى

قد تغنى بالونات صغيرة لا يزيد قطرها عن مليمترين عن اجراء عمليات جراحية خطيرة ، فهذه البالونات المصنوعة من السليكون او من الألياف الصناعية يمكنها توسيع الشرايين الضيقة وفى حالات النزيف الخطيرة تسد الأوعية الدموية لوقف النزيف . كما يمكن استخدامها لمنع وصول الدم الى الأورام السرطانية مما يساعد فى قتلها .

اما بالنسبة للأطفال الذين يعانون من ثقب فى القلب فان هذه البالونات تستطيع سد الثقب دون الحاجة الى جراحة .

ويتم ادخال البالون الى مكانه المحدد بواسطة قسطرة بلاستيكية دقيقة تستطيع الوصول الى اى وعاء دموى ومنه الى اى عضو او جزء من الجسم . ويساعدها فى ذلك استخدام التصوير بأشعة إكس إذ تظهر الصورة على شاشة تلفزيونية لتوضح للجراح الطريق

وعند وصول البالون الى موضعه الصحيح ينفخ بملئه بصبغة معتمة ويصل قطره عندئذ الى ١٢ ملليمترا كحد اقصى . وبفصل القسطرة عن البالون يظل فى مكانه على الدوام .

كما يمكن تزويد القسطرة بآلة جراحية بدلا من البالونات لتفتح اى انسداد فى القناة المرارية او الحالب .

حينما يتداعى الإنسان

قصة قصيرة

بقلم : كلثم جبر

« ١ »

« منذ الأمس وانا أزحف فوق تلال ذاتى. رمالها خشنة مزقت جلدى تراكمت فوقها .. وما زلت أزحف . جنود ذاتى حاضرة ثكلى وانا ازحف »

وهو يقبع امامى .. للمرة الألف يستنطق الحزن بداخلى والغربة بعيني .

« وانا أزحف فوق تلال ذاتى واتكوم «كقنفذ برى» فوق جحور حزنى »

الأمواج متلاطمة والملوحة تغطى وجهى .. وعينى وأدعها تتسرب الى أحداقى ، واصمت . تمتد يداه تمسح القطرات المالحة من فوق وجهى .. اغمس قدمى بالماء واخوض الشاطىء أصل الى منتصفه .. يداه أقرب الى كتفى من الأمواج المتلاطمة .. يعيدنى للشاطىء ثانية مبللة الوجه والقدمين .

«وهذا الاحتضار أليس له نهاية ؟ وسؤال امى المتكرر . أليس لهذا الحزن من نهاية ؟ كيف اضع نهاية حزنى يا امى وانا الحزن ذاته ؟ كلما حاولت أن أغرس الفرحة داخلى تموت قبل أن تصل أرضى ! »

أصابعه تعصر قطرات الماء المالحة .. العالقة باطراف شعرى .. يقترب بوجهه ...

– أتودين الغرق ؟ وتتركينني لمن ؟

« كلما حاولت غرس نبتة الفرح بداخلى تموت ! فرحتى به أثناء نقضى لمعاهدة بيننا مدتها يومان ان لا نتحادث خلالها حتى اوازن بين حزني وفرحي وأعود انسانة واعية ، عاقلة كما كنت دائما .. همست له يومها « فرحة انا لنقضى المعاهدة » صوته يزغرد ...

« نقضتها قبلك . ألم أكن البادىء بالاتصال ؟ عاقلة انت بدون أن تمتنع عن الحديث ولو لمدة يومين »

« فرحة انا بنقضى للمعاهدة » زغرد صوته ثانية .

– « نقضتها قبلك رغم اقتناعى بعقلك .. واقتناعي ايضا بأنها قد تكسر من حدة روتين الاتصال اليومى .. و . »

المياه المالحة ما زالت تقذف برذاذها فوق وجهى وتبلل شعرى ثانية ..

« اين انت امى لتشهدى إجابة سؤالك : أليس للحزن من نهاية ؟ وانا أصرخ ملء قلبى يا امى أليس للاحتضار من نهاية ؟ » واعود أغمس قدمى فى الماء وتعلو الأمواج وينساب الرذاذ فوق وجهى وعنقى .. ويضحك الوجه المحفور فى الذاكرة ، ونبرات صوته تقترب من مسامعى ...

– رحلة جميلة أليس كذلك ؟

« ٢ »

يجمعنا المنزل والصمت وصوت فيروز .. وصراخ إخوتى بفناء الدار وصوت الخادم ينادى الصغار للدخول الى الفناء ، خوفا من خطر الشارع . وانا أتكوم امامه ثانية فوق المقعد «كقنفذ برى» . نظراته الهادئة من المقعد الآخر ترمقنى .. برقة ترمقنى .. بحزن ترمقنى – للمرة العاشرة . أستحلف الحزن بداخلك أن يرحل . قاسية انت عندما تحزنين !

«حين ولادتى تناولتنى القابلة . ابتسمت وداعبت والدتى : – « إنها اول طفلة تستقبل الدنيا بابتسامة عظيمة ستكون ابنتك هذه . » وهـا أنذا أزرع الحنظل بداخلي وامتص عروقه .. بعد أن استقمت وتطاولت كجذوع النخل الباسقة وألقيت ذوائبى تئن فوق ظهرى كشلال فقد مجراه وتبعثر فوق أرض جافة ترفض الامتصاص . »

أدار وجهه .. ومن ثم عاد يرمقنى بهدوء ..

– هل تصدقين ؟ حتى حزنك أعشقه !

« تنفس الحزن بداخلى وهذا الصمت الموجع يقيدنى ، وعينا أبى تطلان من الذاكرة تغزوان حقيقتى وتحملقان فى وجهى : « مؤلمة انت حينما تصمتين ! » أسحب وجهى وذوائبى بعيداً عن نظراته وأدعها حيرى فوق وسادة المقعد كاصابعه التى يرسم بها خطوطا متوازية فوق الجدار الملاصق لمقعده .. نبراته الهادئة تحاول أن تعلو ثانية » ..

– لم تفعلين بنفسك هكذا ؟

« تذكرت بوذا فى احدى قراءاتى حينما هب فجاة من الريش الوثير والدثار وتلفع الثوب الخشن الذى اهداه له الصياد إثر مقايضة بينهما أخذ مقابله ثوبه الحرير وسار بعيداً عن قصره يبحث عن الحقيقة .. أفى عيون الصغار تسائل ؟ أم فى ذلك الرجل العجوز المثقل بالمرض والكهولة الملقى على قارعة الطريق ؟ أم ذلك المشاع المحمول فوق الأكتاف .. أم ؟ وبقى السؤال يبحث عن إجابة . »

– لماذا لاتتفاءلين ؟ الغد سيكون خيراً باذن الله ... سوف يحمل حزمة شعاعه ويلقيها تحت اقدامنا . سيعمنا النور .. لن نرى ظلا ما بعد ذلك .

« تفاءلت وانا انسق الزهور انثرها بارجاء المنزل بزغت الفرحة من خلف الجفون أطلت وضحكت .. وأضحكت الوجوه المحيطة بى فرح أبى .. وتنهدت أمى وهى تهمس .. « لابد انها تنتظر شخصاً ما . » كان يوما حارقا رغم ذلك كانت نسيماته لطيفة بداخلى القيت خلاله برحالى وجدائلى فوق السجادة الوثيرة احتضنت الهاتف وعقارب الساعة انتظر الرنين والموعد .. وأزيز الطائرة القادمة اشعر بداخلى وأرى قدمه بعين الاحساس والخيال تعانق أرض الوطن وهو يطؤها وتتعالى دقات قلبى والرنين .. التقطت السماعة بفرح طفولى .. احتضنتها وهمست بفرح « الحمد لله على سلامتك » عندها تهاوت تلال الانتظار والقلق وتفتحت براعم الفرحة واصبحت رمالا ناعمة تزحف بامسية قمرية ببرودة لطيفة تعانق عينيه وصوته من خلف الأسلاك . وأمد شوقى ولهفتى واهمس ثانية : – « فرحة انا بعودتك كما لم افرح من قبل » وغفوت وقتها بمتعة عجيبة لم اشعر بها طوال فترة غيابه . »

« ٣ »

الصوت الهادر من داخلى .. يطغى على ضجة الاصوات حولى وفيروز اعشقها واطلبها اينما كنت .. تهامست الاصوات بعدها واختفى الضجيج بعد ان تعانقت اصابعنا وابتعدت اقدامنا عن الوجوه المتواجدة .. اعشق البحر وفيروز واطلب تواجدهما اينما كنت .. وها انذا اعتلى صخرة تهدر الامواج وتضرب جذورها وهى تتعالى بكبرياء ، فوقها انا .. برودة البحر تخفف من حرقة ذاك اليوم والشمس فى محاولة

للاستسلام استعدادا للهبوط الى الأعماق . ويقبع من تحت الصخرة .. نراقب الغروب بحزن عجيب .. وقدماه تداعب الأمواج ونظراتى تترك الغروب وتغزو الوجوه المتناثرة على الشاطىء .. صوته يصلنى .. يجعل نظراتى تقطع رحلة الوجوه المتناثرة وتغزو اصابعه تمر بالخاتم الذهبى المحيط باصبعه .. « واتنفس حزنا » يحفر باصابعه خطوطا بالرمال يمحوها الموج .. تمتد يداه من فوق الصخرة تنزلنى .. تتقارب خطواتنا وتتعانق اصابعنا ونحن نودع البحر والوجوه .. اراقب اثار اقدامنا السائرة فوق الرمال .. ونبرات صوته حزينة .. وعيناى تحسبان خطواتنا فوق الرمال ...

ـ لقد اخترت الطريق الوعر . تركت العمالقة واخترت اصغر الاقزام واتيت تطرقين ابوابى . انا كالطفل الذى يعشق امه ولا يملك سوى ان يقول إنه يحبها ولايستطيع البعد عنها .

تنبت غابات بداخلى تتماوج الكلمات بشراسة عجيبة تفترسنى والامسية الغافية فوق الحلم اين هى ؟ والحلم اين هو ؟ منذ عودته والحلم لم اعد اوافيه . بحثت عن حلمى واملى طويلا ، فى دروبه فلم اجدهما . بحثت عن أصابع صغيرتى التى تسكننى منذ عرفته فلم اجدها . بحثت عن وجهها الصغير وعيونها الشبيهة بعينى وهدير شعرها كشعرى . وانفها الشبيه بانفه فلم اجدهم فعا. وجهها بعيداً عن دروبه . » يفتح الباب .. اتوارى بالمقعد الامامى فى السيارة .. يغلق الباب .. ويفتح الاخر .. امام المقود يجلس .. عيناه في مواجهتى تطلب الصفح « واناتزحف الرمال من خلف بقايا الشمس والجفاف فوق وجنتى وشعرى وتجتاح داخلى بهدير صارخ » صوته الهادىء يطرق ابواب صمتى برجاء ...

ـ استغفرك املى واهوى هدير شعرك وعينيك وحكمتك وإحساسك واستجير واطلب العفو بداخل ذاتك .

الطريق الممتد الموصل للمدينة كافعى يمتد ويتلوى امامنا .. ونحن نراقب هروب الشمس وانطفاءتها وتوغلها فى جحافل الظلام القادمة من خلف المجهول نتوسد مقعدينا فى السيارة العائدة بنا الى المدينة .

« ٤ »

« استضفت الصمت .. والمساء الموحش وانا امراة شاحبة صفراء الوجه .. جاحظة العينين ، انظر لذاتي بوحشية ، واتلذذ باحتضارها .. الف امراة فى اعماقى صرخن احتجاجا .. قبيلة النساء بداخلي هاجمت قسوتي .. وحطمت وجهي وقدمي ولكن بقيت امراة الالم » انظر الى الهاتف ،رنينه المتواصل وذاتي اللهفي بقسوة عجيبة .

انتهى الرنين المتواصل فى الصباح المبكر .. حينما رفعت السماعة والقيتها فوق السجادة وتركت صوتا ينادي خلالها .. لا ارد عليه .

« انتهت لحظتي بانهيار ذاتي وانا جاحظة العينين وايدي قبيلة النساء بداخلي امتدت حطمت وجهي .. وانبثقت دمائي ولكن فتحت فمي وابتلعت جميع النساء وبقيت امراة الصمت » .

كان اليوم ظهرا وانا لم ازل الازم جـدران غرفتي .. والرنين متواصل .. منذ الامس .. وفجاة التقطت السماعة واجبت الصوت الصارخ عبر الاسلاك بعد يوم كامل بصمت اخر .

ـ حسبت الشوق انطفات جذوره بداخلك . مخطىء انا يا ذاتي ولكن ساصلح خطئي . اعدك بذلك . ان تتركيني فهذا يعني نهايتي .. انت الفرح الذى ابحث عنه . وانا الضياع الذى اجتاح امسياتك وجعلك امراة قاسية بعد ان كانت نسيماتك تحيل الجفاف ارتواء .

« جنود ذاتي حاضرة .. ولكنها تنهار .. احسها تنهار .. منذ الف قرن وهو يسكن الذاكرة . اعشق الحلم فى عينيه كلما لذت بوسادتي وغفوت .. والثم الحزن القابع فى خطوط وجهه واصدق همسه « إن إرتباطه بالاخرى كان نتيجة ظرف ما .. يقبع بذاته حتى اليوم ولا يعرف الدرب الموصل إلى الفكاك منه » .

ـ ارجوك صدقيني ارتباطي بالاخرى يعني ظلما لي ولها وإن اخطات فساصلح خطئي .

« ٥ »

الباب يقرع .. الخادم يضع فناجين الشاى وظله فوق الطاولة الصغيرة .. تتصاعد الابخرة الساخنة وبرودة « جهاز التكييف » وصوت فيروز .. وحزني القابع بداخلي .

«تؤلم ذاكرتى الاشياء ، ولكن اجترها ببله طفولى جاوز المائة» .

صوت حزين ..

ـ كان الصمت رفيقك حتى فى سفرى . لم تكتبي شيئا ما .. ولم تقولى شيئا .. الانتظار المني .. و ..

« الانتظار رافقته منذ رحيله والصمت غزا لحظتي فور تسلمي اولى رسالته التى كانت تحمل اسما غير اسمى » .

ـ اود تواجدك بقربي ابدا حقيقة اقسم بها .

نظراتي تغزو اصابعه من جديد تلاحق الاطار الذهبي المحيط باحداها .. رفع اصابعه امام ناظري . خلع الخاتم . قربه من وجهي وهمس ..

ـ إنه اسمك .. وتاريخك لم اخلعه قط وسيكون حقيقة باذن الله .

« الاخرى تفرح .. وانا احزن .. والفرح والحزن ضدان لا يلتقيان » .

يعيد الخاتم لاصبعه .. ينتظر إجابة .. ردا مـــا ..

« وانا اجتر ذكرى تلك الامسية التى تلت مجيئه استحضر بها الحزن والنزيف واختزنها بالذاكرة » .

ـ والذى طلب مني الارتباط بها . وصمتك كان دافعا لذلك . سوف اصلح خطا ارتكبته بحق نفسي ونفسها .ساكون عادلا امام الله واصلحه .

«هببت واقفة كالاعصار» مفجوعة .. تهاوى الفرح بداخلي .. والرمال الخشنة تزحف تمزق جلدي . الحزن يتكاثف كالجليد بداخلي » .

صوته يتباعد .. وانفاسي تتلاحق .. وخطواتي واسعة مغادرة ويداه تلحقان بي . تقبضان بي .

« والحزن ينزف كادمعي وهذا الاحتضار اليس له من نهاية ؟ » .

كلثم جبر



ظاهرة جديدة في السينما الأمريكية

العزاء والأمل .. للضائعين في الزحام

بقلم: رؤوف توفيق

« ميريل ستريب » : فازت بجائزة أحسن ممثلة عن دورها فى فيلم « اختيار صوفى »



« داستين هوفمان » يتنكر فى ثياب امرأة ليحصل على دور تمثيلى فى مسلسل تليفزيونى .. إنها لقطة من فيلم « توتسى »

هنـاك خيط واحـد يجمع بين صفوة الأفلام الأمريكية التى رشحت لجائزة الأوسكار هذا العام ..

هذا الخيط .. هو الاقتراب من الانسان العادى الذى يحاول أن يثبت ذاته ، وأن يحقق التوازن والنجاح .. وسط مجتمع شديد القسوة ، تسيطر عليه الآلة ، وتدفعه لأن يجرى ويلهث دائماً ..

وطبيعة هذا المناخ الاجتماعى الحاد .. تعزز الاقوياء بالمال والنفوذ والعنف ، كما تعزز البسطاء الذين يصارعون فى كل لحظة من اجل البقاء واثبات وجودهم ..

والاغلبية بالطبع من هؤلاء البسطاء الضائعين ..

وقد اختارت السينما الأمريكية — بذكائها المعهود — ان تقف بجانب هؤلاء البسطاء ، لا لسبب انسانى ، ولكن لسبب تجارى محض .. ذلك لأن هؤلاء البسطاء يشـكلون النسـبة الغالبة من جمهور المشاهدين .

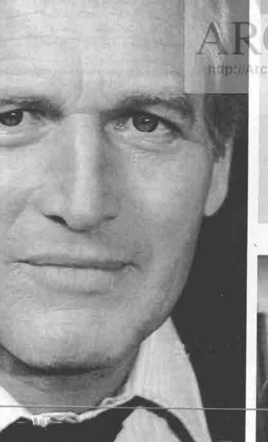
وقد أصبح الاحتفاظ بهؤلاء المشاهدين ، مسألة حياة أو موت بالنسبة للشركات السينمائية ، التى تصارع هى الأخرى فى حرب البقاء وسط ضغوط اقتصادية مختلفة .. وايضاً وسط منافسة ضارية مع شبكات التليفزيون بكل اغراءاتها وتنوعها وجاذبيتها !

بالونة اختبار

وربما كانت البدايات الأولى لهذا الاتجاه فى السينما الأمريكية .. تم اختبارها من خلال فيلم «روكى» — عام ٧٦ — والذى حقق نجاحا تجاريا ، كان مفاجأة على جميع المستويات .. ثم اكتمل تتويجه بثلاث جوائز أوسكار هامة (عام ٧٧) وهى جائزة أحسن فيلم وأحسن اخـراج وأحسن مونتاج .

وفيلم «روكى» يحكى قصة ملاكم شاب مغمور يحمل هذا الاسم .. يعيش فى قاع المجتمع الأمريكى .. يسكن وحيدا فى بيت

« سيلفستر ستالون » الذى كتب ومثل « روكى » وتحول « روكى » إلى اسطورة



« بول نيومان » المحامى الفاشل يبتسم لنجاحه فى نهاية فيلم « الحكم »

« جيسكا لانج » التى فازت بجائزة احسن ممثلة مساعدة .. فى لقطة مـع « داستين هوفمان » وقد كشف عن شخصيته الحقيقية فى الجزء الأخير من فيلم «توتسى»



العزاء والأمل.. للضائعين في الزحام

متواضع جدا ، يتكون من غرفة واحدة حيث ينام وياكل ويحدث مجموعة من الأسماك فى صندوق زجاجى صغير ، وبعض السلاحف التى ياتنس بانفاسها ..

وهو انسان قوى البنية .. يحمل مشاعر طفل برىء .. يتلعثم فى الكلام ولا يجيد المحادثة .. ولا يعرف الكذب أو المراوغة .. ليس هناك احد يهتم به .. وهو يعيش على هامش الحياة .. يكسب قوته من الملاكمة ! .. لماذا الملاكمة بالذات ؟ . يجيب هو ببراءة متناهية : «اننى لا اعرف حرفة اخرى .. فانا لا استطيع ان اغنى او ارقص .. لست رشيقا .. ولكنى اضرب بسرعة فى حلقة الملاكمة .. عندما ولدت قال لي ابى .. لم تولد بعقل راجح فاستخدم جسمك .. وهكذا اصبحت ملاكما» !

ويتعمق الفيلم فى تحليل هذه الشخصية الشديدة الطيبة والبساطة . والتى تواجَه دائما بالاهانات والسخرية ..ولهذا يبدو وكانه انسان غريب فى عالم الخبثاء والاشرار !

ولكن «روكى» من حيث لا يدرى .. يجد نفسه فى مواجهة مع بطل العالم فى الملاكمة .. إنه لم يخطط اطلاقا لهذه المواجهة ولم يفكر فيها يوما ما .. او حتى يحلم بها .. وإنما كانت حيلة دبرها خبراء الدعاية لبطل العالم فى الملاكمة والذى اصيب بشرخ فى عظام الكتف .. ان يفاجىء عشاقه بعودته الى حلبة الملاكمة ، وان يستعيد كل الدعاية والاضواء التى غابت عنه لاصابته .. ومن هنـا كانت الفكرة ان يختار ملاكما مغمورا لكى يمنحه شرف الملاكمة معه .. ووقع الاختيار على «روكى» لا لشيء .. إلا لأن له اسما مميزا له إيقاع غريب !

لقد ارادها بطل العالم ، استعراضا لقوته ، واستمرارا لشهرته ومكاسبه ..

بينما روكى يعتبرها قضية حياته .. اما الفشل التام .. وإما ان يثبت وجوده !

ومن هنا كانت المعركة عنيفة .. و «روكى» يتدرب ليل نهار .. ويقاوم .. ويدخل حلبة الملاكمة مجهولا .. ولكنه يخرج منها والاصوات تهتف باسمه .. لقد نجح ! .

ويلتقط المشاهدون انفاسهم .. فلقد اثبت واحد منهم انه يستطيع تحدى القوى الضاغطة فى المجتمع .. وان ينتصر ..

وقصة فيلم «روكى» تشبه الى حد ما ، قصة حياة مؤلفها وممثلها الذى لعب دور البطولة «سيلفستر ستالون» .. فقد حاول من قبل ان يغزو السينما ممثلا ولكنه فشل .. كما فشل فى المسرح .. ولم ييأس .. وكتب سيناريو هذا الفيلم فى ثلاثة ايام متصلة ليلا مع نهار . وكان بداخله قوة مكبوتة تريد ان تنفجر .. واصر على ان يلعب دور البطولة حتى بدون مقابل .. ووافق المخرج «جون افيلدسون» الذى قام بتصوير الفيلم فى الأحياء الخلفية بكاليفورنيا ..

وتحول نجـــاح «روكى» الى اسـطورة سينمائية .. وظهر بعده «روكى - الجزء الثانى» و «روكى - الجزء الثالث» لنفس المؤلف والممثل «سيلفستر ستالون» والذى تحول الى الاخراج .. فاخرج الفيلمين التاليين لملحمة «روكى» !

المخرج « سيدنى بولاك » يشترك فى التمثيل مع « داستين هوفمان » فى فيلم « توتسى »

ويأتى فيلم « الحكم »

ويتكرر نفس الموضوع تقريبا فى فيلم « الحكم » الذى رشح لخمس جوائز اوسكار هذا العام .. منها احسن فيلم .. واحسن مخرج (سيدنى لوميت) . واحسن ممثل (بول نيومان) .

وفيلم الحكم يقدم نموذج الانسان الذى واجه الفشل فى حياته الخاصة والعامة .. وغرق فى بحار اليأس .. حتى تلوح له بارقة امل فى ان يعيد اكتشاف نفسه واثبات وجوده .

وهذا الانسان الفاشل .. هو المحـــامى (بول نيومان) الذى خسر كل القضـــايا التى اوكلت له فى السنوات الاخيرة .. وقد تعدى الخمسين من عمره .. ولم يعد له من امل ، بعد أن تردى فى الفشل ، واصبح يلوذ بالحانات ليستهلك وقتـــــه وينسى ضياعه ..

ويفاجـــا ذات يوم بامراة متوسطة الحال تلجا إليه كمحام ليرفع قضية ضد احدى المستشفيات مطالبا بتعويض للاضرار التى لحقت بشقيقتها نتيجة علاج خطا فى هذا المستشفى ادى الى انها تعيش فى غيبوبة مستمرة .

ويتحمس المحامى للقضية الساخنة التى وقعت بين يديه .. إنه يكرس كل حياته وجهده وخبرته فى جمع الوقائع والمستندات ضد هذه المستشفى .. ولكنه يفاجـــا بمدير المستشفى يعرض مبلغ مائتى الف دولار فى مقابل الصمت وعدم المساس بسمعة المستشفى ..

ويرفض المحامى هذا المبلغ باصرار وعناد .. مما يجعل المراة التى لجات اليه لرفع القضية ، تثور ضده .. فهى لا تضمن نجاح القضية ، وقد كان هذا المبلغ الضخم حلما لم تتوقعه بهذه السرعة .

ولكن المحامى لا يريد الحل السهل .. انه حل يؤكد فشله .. وهو يريد ان يعيد الثقة الى اسمه .. ويريد ان يؤكد لنفسه انه مازال قادرا على العمل والنجاح ..

ولهذا فهو يتحدى كل الضغوط والعقبات التى تدبرها له ادارة المستشفى ، ويزيده هذا أصرارا على القتال .

انها معركة حياة او موت بالنسبة له .
وينجح المحامى فى كسب القضية ..

ويولد من جديد .. فقد اقنع الشهود بان يتكلموا ويقولوا الحقيقة .. واقنع المحلفين الغاضبين ان يحتكموا للعدل ..

وتحقيق الحرية

ويعبر الممثل الامريكى « بول نيومان » عن اقتناعه بالشخصية التى يلعبها فى هذا الفيلم بقوله : « انا هنا لست الا رجلا عاديا .. يعيش حجمه العادى الذى لا يملك ان يكون سواه » .

ويستطرد قائلا : « إن هذا الدور يعتبر بمثابة الصحوة لى بعد ادوار الفتى الاول الجذاب .. لقد اعجبتنى قصة الفيلم لأنها ليست مجـــرد قضيـــة انحراف .. انما هى قضية الانسان الذى يحاول ان يحقق الخلاص والحرية لنفسه ، بعد ان اصبح منبوذا .. ليس لانه رجل سيىء .. فهو ليس اسوا من اغلب الناس .. وانما لانه غير قادر على حل مشاكله .. وغير قادر على أن يحصل على مساعدة الأشخاص الذين يرون ما يحدث له .. ويعرفون كل الحقيقة »

اما مخرج الفيلم « سيدنى لوميت » فقد علق على النجاح الهائل الذى صادفه الفيلم عند عرضه بالولايات المتحدة .. فقال :

« ليس هناك من سر .. سوى أن هذا الفيلم عن الانسان العادى فى معركته



المخرج « سيدنى لوميت » يشرح تفاصيل مشهدا قبل التصوير .. وامامه الممثل « بول نيومان »



رغم التوقعات لم يفز هوفمان بجائزة احسن ممثل



العزاء والأمل.. للضائعين فى الزحام

اليومية مع النفس .. ومع الآخرين الذين ينكرون الحق لانهم خائفون على مصالحهم ..

ممثل مسرحى مغمور

ويتكرر نفس الموضوع بشـــــكل اخر وباسلوب ضاحك ساخر فى فيلم « توتسى » الذى لعب بطولته الممثـــــل الامـــريكى « داســتين هوفمان » مع الممثلة « جيسكا لانج » .

وقد رشح فيلم « توتسى » لعشر جوائز اوسكار .

والفيلم يقدم قصة هذا الممثل المسرحى المغمور (يلعب الدور داستين هوفمان) الذي يتكرر فشله فى الحصول على دور فى المسرح او فى التليفزيون .. والعيب ليس فيه كممثل ، فهو يستطيع العمل بدرجة كبيرة من الجودة .. ولكن العيب فى شخصيته فهو كثير الأسئلة .. يناقش كل شىء .. وله وجهة نظر .. ولا يقبل المطلوب منه الا بعد استفسارات كثيرة ترهق كل من حوله .. ولهذا يهرب منه المخرجون .

انهم يريدون الممثل المطيع .. وهو ليس كذلك .. والنتيجة انه اصبح بلاعمل .. واضطر ان يعمل كجرسون فى مقهى ليحصل على اى نقود تعاونه على الحياة .. وهو فى عمله بالمقهى لا يستطيع ان ينسى حبه للتمثيل ، فيقوم بتدريب بعض الممثلين الجدد .. إنه يحاول ان يغطى فشله الخاص .

حتى تاتيه الفرصة .. مطلوب ممثلة فى احد المسلسلات التليفزيونية .. ويقرر بسرعة ان يغير شخصيته .. ويتنكر فى ثياب امراة .. ويختار له اسما جديدا .. وينجح كممثلة .. ولكنه بينه وبين نفسه يريد ان يكون ، كما هو .. رجلا وليس امراة .. ولابد من هذه اللعبة ان تنتهى بعد ان تورط فى مواقف شائكة ..

وينتهز الممثل فرصة برنامج يذاع على الهواء مباشرة .. ويواجه جمهور المشاهدين بالحقيقة .. يخلع ملابسه .. ويزيل الماكياج .. ويكشف عن نفسه .

وتقع المفاجاة المذهلة بالنسبة لجمهور المشاهدين .. ويتعلقون اكثر بهذا الممثل ..

« داستين هوفمان » يندمج فى شخصيته الجديدة .. حتى وهو يلاعب طفلة .. لقطة من فيلم « توتسى »

ولكن اهم ما حدث له ان استعاد ثقته بنفسه وخرج من دائرة الفشل ..

يقول « داستين هوفمان » انه يقدم هذا الفيلم تحية الى الآف الممثلين العاطلين والذين يبحثون عن فرصة لاثبات مواهبهم ..فالفشل ليس فيهم .. ولكن فى المجتمع الذى يعيشون فيه .

وقد صنع المخرج « سيدنى بولاك » هذا الفيلم بحب واضح .. وانعكس هذا فى مدى النجاح الجماهيرى الساحق الذى قوبل به الفيلم .. وتصدرت صور « داستين هوفمان » وهو فى ثياب امرأة .. اغلفة المجلات .

ولعب المخرج بنفسه دورا فى الفيلم كوكيل اعمال هذا الممثل الفاشل .. والمخرج « سيدنى بولاك » يعرفه جمهور السينما من خلال اشهر افلامه : « انهم يقتلون الجياد .. اليس كذلك » .. و « ثلاثة ايام عصيبة » .

وهو فى هذا الفيلم يقدم نموذجا راقيا لفن الكوميديا التى تعتمد على المفارقات دون اسفاف او تكرار .. رغم ان مسالة تنكر الممثل فى ثياب امرأة لم تعد تثير الضحك فقد تكررت كثيرا فى الافلام الاجنبية .. والمصرية ايضا .. ولكنه هنا يستخدم التنكر كحل لمسالة انسانية .

« غاندى » .. وما يعبر عنه

وتأتى نتائج الاوسكار لهذا العام .. ليحصد فيلم « غاندى » ثمان جوائز هامة (احسن فيلم .. واخراج .. وتمثيل .. وسيناريو ..وتصوير وديكور ومونتاج وموسيقى) ..

حتى اصبح فيلم غاندى يستحق ان نطلق عليه « سلة جوائز هذا العام » .

والفيلم (راجع مقال السينما فى عدد مارس من الدوحة) يقدم قصة كفاح غاندى وثورته السلمية فى الهند .. كنموذج لكل صاحب مبدا .. ودرس لكل مؤمن برسالة .. اننا لا نستطيع ان نغير صورة المجتمع ونتحدى كل الضغوط .. الا بايمان كامل .. وصبر .. واقناع .. وقدره .. ومواصلة الكفاح مهما تعاظمت الضغوط ..

ونجاح فيلم « غاندى » .. هو صدى لحلم البسطاء الذين لا يملكون شيئا من مال او سلاح ..ولكنهم يملكون الايمان بمبدا .. والقدرة على الاستمرار .

فالذين يعملــــون للحق وبالحــق .. وينشرون السلام والعدل والحرية .. هم عماد الحياة . وبدونهم يسود الظلام وتمرح الخفافيش ويصبح الجو ملوثا تماما .

لم يفز فيلم « الحكم » باية جائزة .

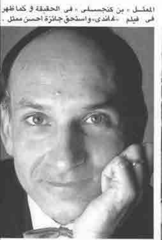
ولم يفز فيلم « توتسى » الا بجائزة واحدة ذهبت للممثلة « جيسكا لانج » كاحسن ممثلة مساعدة .

ورغم هذا .. فان نجاح فيلم غاندى وفوزه بكل هذا العدد من الجوائز .. هو نجاح لمبدا اعتنقه غاندى .. واصبح نموذجا للكفاح على مر الاجيال .

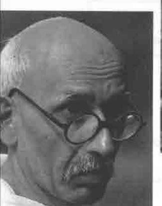
ويكفى الضائعين بين أمواج الفشل واللامبالاة من المجتمع .. والتائهين بين الأزمات الداخلية والخارجية .. يكفيهم عزاء ان السينما بدات تعبر عنهم .. وتقف بجانبهم على امل استعادة التوازن .



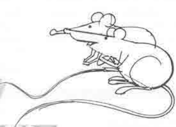
لقطة من فيلم غاندى الذى حصد اهم جوائز العام (٨ جوائز اوسكار) .



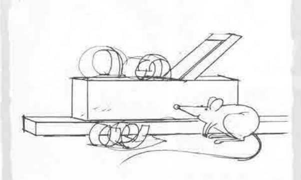
المثل « بن كنجسلى » فى الحقيقة و كما ظهر فى فيلم « غاندى » واستحق جائزة احسن ممثل .





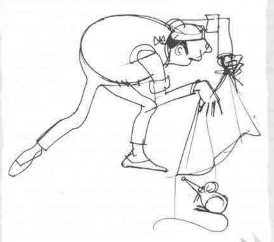


– .. رايح امريكا اشتغل ميكى ماوس .. ! !

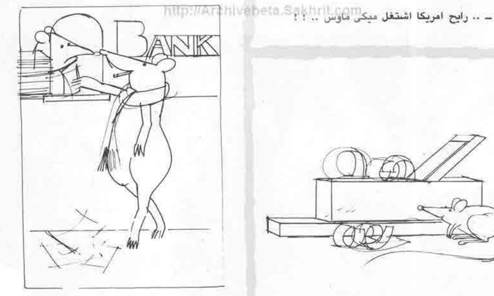


فار – تتجوزينى يا فاره .. ؟ !





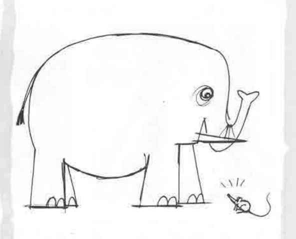
– بدون تعليق .. ! !



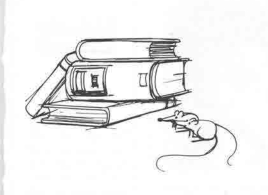
فار – « اطلب » قرضـا .. ! !

ـ .. واخده على البيت اكافحه .. على راحتى .. ! !

ـ بدون تعليق .. ! !



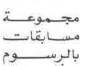
فار للفيل ـ .. يا واد .. يا تقيل .. ! !



فار لفار ـ يعجبنى قوى كتابين ...
(الفار ابى) و (ابن القارض) .. ! !

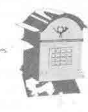
استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :



الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا





أصل وصورة





● بين اصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟

لوحة لم تتم



هذه اللوحة لصحفى عربى مشهور ، نشا فى بيت الزعيم سعد زغلول ، ولعب دورا هاما فى الصحافة العربية ، وما زال قلمه يعالج أدق القضايا المتعلقة بحرية الوطن والمواطن .. هل تستطيع اكمالها والتعرف على شخصية هذا الصحفى ؟

لأقوياء الملاحظة فقط !



● أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل أرسله الينا

دوري الكاريكاتير



اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ وسجل هدفا قويا فى مرمي الخصم .. هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟ .. إذا عرفت الحل ارسله الينا

هات أجمل تعليق :

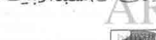
● هل تستطيع ان نجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري ... ؟ .. حاول وارسله الينا

لعبة الظلال



● هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقي ؟ .. إذا عرفت .. ارسل الحل الينا

يخلق من الشبه أربعين













الصور الست المنشورة للقائد والسياسى الفرنسى الراحل شارل ديجول ، الذى أسر فى الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٦ ، وحكم عليه بالاعدام غيابيا فى الحرب العالمية الثانية ، وانتخب رئيسا لفرنسا عام ١٩٤٥ ، واعيد انتخابه ليصبح أول رئيس للجمهورية الخامسة (١٩٥٩) .. ومن بين هذه الصور واحدة تشبهه تماما .. هل تستطيع التعرف عليها ؟

ما ينقصنا هو الصدق!

بقلم: الدكتور خليل قطاطو

يخيل لي أحيانا ان الحياة لحظتان ، لحظتان فقط ، لحظة الميلاد او الوجود ، ولحظة الموت او العدم ، وما بينهما من عمر طال او قصر ، زمن يعد بعشرات السنين ، لا يحمل وهج اللحظتين .

لحظتان تحددان لنا البداية والنهاية لحظتان قدريتان ليس لنا الخيار فيهما ، وإن كان لنا «الخيار النسبى» فيما بينهما من التفاصيل .

لحظة الميلاد تنتظرها الأم بشىء من السعادة والخوف معا ، تحلم بها ، وبالقادم الجديد ، أتراه يكون مولودا سعيدا أم بائسا ، موفقا أم متعثر الخطى ، ماذا يخبىء المستقبل له ، أترى هذا الغيم الساكن فى الأعالى يحمل مطرا ام زوابع !

ليس أمرا سهلا وصف آلام الولادة ، وليس من باب التلاعب بالألفاظ لو قلنا انه الم ممتع ، ومتى كان الألم ممتعا ؟ ليس الألم مجرد انقباضات عضلية فى جدار الرحم تصل الى مراكز الاحساس فى الدماغ فيدركها الجسم على انها احاسيس مؤلمة وحسب ، بل ان العامل العاطفى يتفاعل مع الجانب الادراكى للاحساس ليخفف من حدة الألم ، ومادام هذا الألم العظيم سينتهى بحدث سعيد ، إذا فلابد من الصبر ، واقناع النفس بالاحتمال والتعايش معه هذه الساعات المعدودة .

تعانى الأم وتكابد هذه الآلام ، وتزداد حدتها بمرور الوقت حتى تصل الذروة لحظة الولادة ، اللحظة المضيئة المتوهجة ، ثوان قليلة او جزء من ثانية يفصل بين قمة المعاناة وقمة السعادة ، يبكى الطفل معلنا مجيئه ، فيشرق وجه الأم بالغبطة .

كنت خلال دراستى للطب عندما اشاهد عملية ولادة اعتقد ان هذه المرأة لن تفكر بالحمل والولادة مرة اخرى ، وكانت بعض النساء يصرخن فعلا ان هذه الولادة ستكون الأخيرة ، وفى اليوم الثانى اشاهد العكس تماما ، الأم ممتلئة فرحا وسعادة ، وكأن يد القدر محت من ذاكرتها كل المعاناة بمجرد ان يرنو الصغير الى وجهها ويجذب الى صدرها .

لو رأى الأبناء كيف تلدهن الأمهات ، لأصبح العقوق من رابع المستحيلات .

وتسير الحياة بنا فى دروبها الوعرة ، نكد ونعمل ونبتنى احلاما وامانى ، نصارع من اجل لقمة العيش ، ومن اجل البقاء ، رويدا رويدا وبدون ان نشعر نقترب من اللحظة الاخيرة .

الانسان ، هذا المخلوق الذى يملأ **الدنيا نشاطا وحركة ، وصراخا ،** يستقبل هذه اللحظة بهدوء غريب ، ينظر متأملا العيون المحملقة فيه ، يريد أن يستودعهم سر الحياة ولكن هيهات فلسانه عاجز عن النطق ، واطرافه عاجزة حتى عن الاشارة ، أتراه فى هذه اللحظة يمر شريط حياته امام عينيه ، هل هو نادم على ما فعل ؟ ام راض قرير العين ؟

هذى هى الحياة ، لحظتان عميقتان لو تأملناهما جيدا لعرفنا كيف نعيش **دونما تكالب على ماديات زائلة ،** وتفاهات زائفة ، ولما كنا تائهين ضائعين نبحث عن السعادة فى دروب مظلمة ، نركض وراء سراب ، لماذا نقلب حياتنا الى غابة ، يأكل القوى فيها الضعيف ، هل بوسعنا أن نحول دنيانا الى جنة ، وان نكون اشباه ملائكة ، ليس هذا ضربا من المستحيلات ، ما ينقصنا هو **الصدق ، الصدق مع انفسنا ،** ومع الآخرين ، والايمان ، الايمان بغاية وجودنا ، وتحقيق الهدف الأسمى الذى من اجله خلقنا .

الخير والشر ، فى صراع ازلى ، وليست المسألة نسبية ، فالخير قيمة سامية مطلقة ، والشر صفة مطلقة ايضا . المعركة لم تحسم بعد ، ولكن دور المتفرج لا يليق بالانسان ، فلتأخذوا مواقعكم ايها السادة فعسانا نلون هذا الأفق القاتم بألوان زاهية .

